جامعة محمد الأول
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة

بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة

شعبة اللغة العربية وآدابها — وحدة التراث الشعبي في المغرب الإسلامي

صورة المرأة من خلال بعض الحكايات الشعبية في المغرب

إعداد الطالبة:
مريم مرگـــوم

تحت إشراف الأستاذ:
محمد استيتو

الرقم الوطني: 9896856062

رقم التسجيل: 01

السنة الجامعية: 2006/2005

جامعة محمد الأول
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
وجدة

بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة

شعبة اللغة العربية وآدابها

وحدة التراث الشعبي في المغرب الإسلامي

صورة المرأة من خلال بعض الحكايات الشعبية في المغرب

إعداد الطالبة:

مريم مرگـــوم

تحت إشراف الأستاذ:

محمد استيتو

الرقم الوطني: 9896856062

رقم التسجيل: 01

السنة الجامعية: 2006/2005

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى مالك السموات والأرض، الحي القيوم، الملك القدوس... ربنا ورب العرش العظيم.

إلى الرسول الكريم، سيدنا محمد عليه أزكى الصلاة وأفضل التسليم.

إلى من وهبتني الحياة، أمي الغالية رمز الصبر والحنان.

إلى الذي علمني الجد والمثابرة، وفتح لي أبواب النجاح، أبي رمز الكفاح.

إلى إخوتي: نسيرة، فاطمة، لقمان، زكرياء.

إلى جدتي الكريمة، أطال الله عمرها.

إلى أساتذتنا الكرام الذين ساندونا في مسيرتنا الدراسية.

إلى كل الأصدقاء والصديقات.

إلى كل نفس أبية ترفض العيش في قفص.

إلى كل عاشق للحرية.

إلى حاملي لواء الصدق والمحبة والعطف والحنان والتسامح.

إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

إلى هذا وذاك.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع، راجية من الله عز وجل أن يلبي المراد، ويفيد كل من اطلع على

والسلام.

المقدمة

مقـــدمـــة

بسم الله الرحمان الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ، وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1] صدق الله العظيم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث بالحق، سيدنا ونبينا محمد الأمين، عليه أفضل الصلاة والتسليم.

لقد تناولت العديد من الدراسات الأدبية[2] موضوع المرأة من جوانب مختلفة، غير أن هذه الدراسات لم تتوصل إلى شيء جوهري بين الرجل والمرأة، مما يجعل أحدهما أعلى مرتبة من الآخر. فما يختلف به أحد الجنسين عن الآخر، ما هو إلا تعلم واكتساب اقتضته محددات الدور الاجتماعي والوظائف التي يؤديها كل منهما. وبالرغم من انحياز بعض الدارسين سالفي الذكر إلى المرأة أو العكس، إلا أن منهم من توصل إلى أن الجنس الأنثوي لم يكن دائما مضطهدا، وأن النزاعات القائمة بين الرجل والمرأة، ماهي إلا وسيلة من وسائل استمرارية النوع البشري، كما أن هناك من النساء من لا يعترضن على بعض المعاملات

---

[1]– سورة النساء، الآية 1، (اعتمدنا في هذا البحث رواية ورش عن نافع).

[2]– أنظر:

– فاطمة المرنيسي، كيد النسا؟ كبد الرجال، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1982.
– نوال السعداوي، المرأة والصراع النفسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1988.
– نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
– فهيمة شرف الدين، مشكلة امرأة أم مشكلة رجل، مجلة الوحدة، العدد 9، يونيو 1985.
– محمد بخوشة، أدب المغاربة وحياتهم الاجتماعية والدينية وبعض خرافاتهم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1943.
– محمد بن شماعو، المجتمع المغربي...كما عرفته خلال خمسين سنة (1350–1400هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، الرباط، 1980.

والتصرفات، التي قد يراها البعض إجحافا في حق المرأة، ويرين أن ذلك أمرا عاديا يجعلهن ينلن الرضا والقبول.

ونظرا لأهمية دور النساء في المجتمع وقيمته وراهنية الموضوع في السنين الأخيرة، ارتأينا البحث في موضوع المرأة في التراث الشعبي المغربي، نظرا لمادته الثقافية المتنوعة التي ظلت حبيسة الذاكرة منذ أمد بعيد.

وقد جاءت فكرة الاشتغال على هذا الموضوع انطلاقا من أحد فروع هذا التراث الغني بالحكم والمواعظ، الزاخر بإبداعات أسلافنا ولاسيما منها في مجالات الحكايات الشعبية، التي تعتبر نوعا أدبيا شعبيا رفيعا يتخذ اللفظ وسيلته الأولى في التعبير، هذا علاوة على أن لهذه الحكايات الشعبية شأن كبير في حياتنا اليومية على مر العصور. وبما أن تلك الحطابات شغلت جل الدارسين الواعين بقيمة هذا الموروث الذي لا ينضب، كان لا بد من توخي الحرص في طريقة معالجة الموضوع، ومن استعمال هذه الحكايات الكتابية والشفوية منها، لنصل إلى ما نصبو إليه من إنجازنا لهذا العمل المتواضع.

ونحن نحاول أن نلم بمعالم صورة المرأة في الحكاية الشعبية للمجتمع المغربي، يكون من المفيد ألا نهمل أن هذا المجتمع ليس بسيطا كما يتبادر إلى الذهن في الوهلة الأولى، بل هو مثل أي مجتمع آخر مليء بالتنوع والتعقد والاختلاف على جميع المستويات. كما أن النظرة للمرأة تختلف فيه من شخص لآخر، ولا يجب الانحياز إلى طرف دون سواه، بل يجب أن نكون منصفين في أحكامنا وموضوعيين في تحليلنا.

إن اختيارنا لموضوع "**صورة المرأة من خلال بعض الحكايات الشعبية في المغرب**"، لم يكن وليد صدفة، بل كان نتيجة لدوافع نجملها فيما يلي:

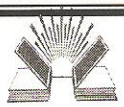

1- إنه وليد قناعة شخصية بأهميته وقيمته، لأنه موضوع شاسع، وشيق يحمل "أسرارا" عديدة في ثناياه.

2- إن البحث فيه يجعلنا نطلع على مكانة المرأة داخل المجتمع المغربي وعلى طبيعة بعض الأدوار والصور النمطية التي رسمت لها في المخيال الجماعي والتي عبرت عنها تلك الحكايات الحبلى بالحمولات الثقافية والأبعاد الرمزية المتعددة.

3- الرغبة في إثراء الحقل الأدبي والعلمي والمعرفي المتخصص في قضايا المرأة ببلادنا، لكن من زاوية النص الشعبي المتمثل في الحكاية الشعبية، ونأمل أن نتفادى إعادة إنتاج ما كتب في هذا الباب.

هذا ولإنجاز هذا البحث المتواضع كان لابد من التسلح بالصبر والأناة أملا في التغلب على جملة من المشاكل التي واجهتنا، والمتمثلة أساسا في ندرة المادة العلمية الكبيرة جدا، ثم في عامل الوقت القصير الذي لم يسمح لنا بمعالجة الموضوع كما كنا نتصوره، لذلك لم يبق أمامنا إلا نعول على القليل مما توفر لدينا من مادة،وأيضا على توجيهات الأستاذ المشرف السيد محمد استيتو، من أجل تذليل الصعوبات المنهجية التي واجهتنا، والأخذ بيدنا.

نرجو التوفيق والسداد في هذه التجربة التي نتوخى تطويرها بمواصلة البحث في هذا الموضوع مستقبلا على مستوى دكتوراه.

يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ثم ملحق خاص بالحكايات الشعبية التي جمعناها واعتمدناها مادة لعملنا هذا.

عرفنا في المقدمة بموضوع البحث وأهميته، والأسباب التي جعلتنا نخوض في غماره، ثم عرفنا في التمهيد بالمرأة، وذكرنا بعض الكتابات التي تناولتها بالدرس والنقد.

ويتناول الفصل الأول الحديث عن التراث الشعبي والحكاية الشعبية والتعريف بهما.

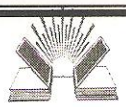

ورصدنا في الفصل الثاني صور المرأة من خلال بعض الحكايات الشعبية المغربية.

وخصصنا الفصل الثالث، لدور الحكاية الشعبية في المجتمع وتأثيرها في الناشئة سلبا وإيجابا، ثم كيفية المحافظة على موروثنا الشعبي.

وذيلنا العمل بخلاصات تضمنتها خاتمة، ثم أثبتنا ملحقا خاصا بالحكايات المعتمدة وتوثيق مصادرها، كما أثبتنا في نهاية البحث لائحة المصادر والمراجع التي قدر لنا الاطلاع عليها.

ولعلنا بهذه المحتويات والتصورات الأولية للبحث نكون قد أحطنا ببعض الجوانب المهمة في هذا الموضوع الذي نتمنى إتمامه وإنجازه في شكل أفضل وأرقى.

وشكرا جزيلا لكل من أفادنا، وساعدنا على القيام بمغامرة التنقيب في تراثنا الشعبي المغربي.

التمهيد

تمـهـيـد

إن الحديث عن المرأة يدفعنا إلى التعريف بها، باعتبارها عنصرا مهما في بناء التاريخ والحضارة الإنسانية إلى جانب الرجل. فقد أثبتت هذه المرأة ذاتها باعتبارها زوجة، تملك القدرة على الإنجاب، وأما، تساهم في تربية الأبناء وتعليمهم، وبنتا، وأختا... فلا حياة اجتماعية بدونها، ولا تاريخ ولا حضارة في غيابها، لأنها والرجل يحافظان على استمرار الجنس البشري، وارتقائه وتقدمه.

والمرأة لغة ضد الرجل، "يُقَالُ هَذَا مَرْءٌ صَالِحٌ، وَمَرَرْتُ بِمَرْءٍ صَالِحٍ، وَرَأَيْتُ مَرْءاً صَالِحاً، وضَمُّ المِيمِ لُغَةٌ، وهما مَرْآنِ صَالِحَانِ، ولا يجْمَع علَى لفْظِة. وبعضهم يقولُ: هَذِهِ مَرْأَةٌ صَالِحةٌ وَمَرَةٌ أيضا بِتَرْكِ الهمزة وبتحريك الرَّاءِ بِحَرَكَتِها، فَإِنْ جِئْت بِأَلِفِ الوَصْلِ كَانَ فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: فَتْحُ الرَّاءِ على كل حال حكاها الفراء، وَضَمُّهَا عَلَى كُلِّ حَال، وَتَقُولُ: هَذَا امْرَأُ، وَمَرَرْتُ بِامْرِإٍ. وَتَقُولُ هَذَا امرؤٌ وَرَأَيْتُ امْرأً وَمَرَرْت بِامْرِئٍ معربا من مَكَانَيْن، ولا جمع لَهُ من لفْظِه. وَهَذِهِ امْرَأَةٌ مفتوحة الراء على كل حال، فإن صُغِّرَت أسقطت ألف الوصل فَقُلْتَ مرئ وَمُرَيْئَة."[3] وجل المعاجم اللغوية لا تخرج عن هذا السياق أثناء تعريف المرأة.

وللمرأة عدة تسميات، كثيرا ما تتردد على مسامعنا في حياتنا اليومية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "أُنْثَى"، "حَوَّاء" (Eve)، "إِيشَا"، "أُمُّ الْأَحْيَاء"، "تَامَزْوَارُوتْ"، "الْوَازْنَة"، "لَكْبِيرَة"، وغيرها من التسميات التي تحمل دلالات ومعاني مختلفة.

---

[3] – أحمد عبد الغفور عطار، مقدمة الصحاح، ج. 1، مطابع دار الكتاب العربي، فصل الميم، مادة: مرأ.

إن أنثى مثلا هي عكس الذكر لقوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[4] صدق الله العظيم.

أما حواء، فقد سميت بهذا الاسم لأنها أم لكل حي، وأم البشرية جمعاء. وتطلق كلمة حواء على كل امرأة، كإطلاق كلمة آدم على كل رجل، من هنا يمكن القول، بأن آدم وحواء، هما معا رمز مسيرة الحياة الإنسانية، أو هما عناصر البشرية وأساسها، وقد جاء في سفر التكوين أن آدم أطلق على امرأته اسم حواء، "ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم لكل حي."[5]

وأما تسميتها بامرأة، فذلك لأن الإله التوراتي خلقها من ضلع آدم بعد أن أنامه، "فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدا من أضلاعه وملأ مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأته وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي، هذه تدعى امرأة، لأنها من امرئ أخذت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق بامرأته، ويكونان جسدا واحدا."[6]

ومعنى اسم Eve بالفرنسية حواء، وهي أول امرأة على هذه البسيطة، عكس اسم آدم الذي يعرف بالتراب والغبار، أي الفناء. فاسم حواء مشتق من كلمة حي Hay أي الحياة، وفيها نقتبس أفق الإنسانية، وكل ما يدب عليها، ويعطي معنى للحياة. وقد أطلق آدم اسم حواء Eve على امرأته لأنها أم جميع الأحياء. وهذا ما نستخلصه من النص الآتي:

"C'est la première pensée associée à la femme dans la Bible. On lui doit la vie, c'est le sens même du nom Eve, la première femme de

---

[4] – سورة الحجرات، الآية: 3.

[5] – سفر التكوين 20/3، نقلا عن: عابد توفيق، التربية في التوراة العهد القديم(عرض وتقويم) بميزان للإسلام، ط. 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ 1995م، ص. 42.

[6] – سفر التكوين 25/24/2، المرجع نفسه، ص. 42.

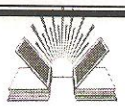

l'histoire humaine. Contrairement au nom d'Adam dérive du mot adama qui évoque la terre et la poussière, et annonce un destin de mort, le nom d'Eve est dérivé du mot hay qui signifie la vie, on y aperçoit l'horizon de l'humanité multiple tous ces vivants, hommes et femmes, qui peupleront la terre et donneront un sens à la vie ¨ Adam donna à sa femme le nom d'Eve, car elle a été la mère de tous les vivants.)) (7)

واسم إِيشَا "אִשָּׁה" بالعبرية أخذ معنى نار"אֵשׁ"، ربما لكونها تسببت في إخراج آدم من الجنة، فاعتبرت كائنا مدمرا، تفعل بالأشخاص كما تفعل النار بالحطب.

وتَامَزْوَرُوتْ بالأمازيغية تعني أيضا المرأة الأولى للرجل، فهناك مثال يقول: "أَوِيلْ مَنْ مَاتَتْ لُه مَزْوَارْتُه." وهذا كلام المشايخ المتقدمين أهل الرأي والحجة والخبرة والحنكة. وهو مثل جيد. مَزْوَارَة: مؤنث اَلْمَزْوَارْ وهي كلمة أمازيغية معناها الأولى. أصلها: أَمَزْوَارْ ج: ئِمَزْوُورَا. والمؤنث: تَامَزْوَرُوتْ ج: تِمَزْوُورَا. فمَزْوَارْتُه إذن هي امرأته الأولى، ويسميها بعض أهل الصحراء المرأة اَلْكَدِيمَة."(8) وربما من هنا أيضا جاء اسم تَامْزُوَرْتْ الذي يعني المرأة التي أنجبت حديثا.

أما كل من اسم اَلْوَازْنَة أو لَكْبِيرة، فهي أسماء ما تزال تتداول لحد الآن في أوساطنا الاجتماعية، وهي تدل على قيمة المرأة، ودورها داخل المجتمع، ولعل تسميتها بمثل هذه الأسماء لدليل واضح على تقديرنا للمرأة، واعترافنا لها بمكانتها الرفيعة إلى جانب الرجل، وذلك بقيامهما معا بما يستلزم للنهوض بالمجتمع والدفع به للأمام.

7- *La femme ou la genèse de l'homme*, par Doukhan, Genese3/20. lundi 25/02/2003.www.google.com

8 – الحسين بن علي بن عبد الله، قصص وأمثال من المغرب، جزءان، ط. 1، نشر بدعم من وزارة الشؤون الثقافية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1417هـ/1996م، ص. 305.

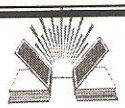

من خلال هذه التعاريف المتنوعة، نلاحظ اختلاف معاني ودلالات كلمة امرأة، فهناك من يرفع من قيمتها، وهناك من يقلل من شأنها. فإلى أي حد يمكن تبني هذه الآراء؟ وما مدى مصداقيتها؟ هذا ما سنحاول الكشف عنه انطلاقا من رحلتنا داخل عالم المرأة، من خلال بعض الحكايات الشعبية المغربية.

وبما أن موضوع المرأة مثير وشيق، لذا فإن العديد من الدارسين لم يتوانوا للبحث فيه، فما من حديث كثر فيه الكلام، وسطرت فيه السطور، مثل الحديث عن المرأة، وعالمها المليء بالمتناقضات. وقد شكلت وما تزال تشكل مجالا خصبا للكتابة والإبداع، داخل الثقافة العربية بكل أصنافها.

وصورة المرأة تحتمل قراءات ذات مستويات مختلفة ومتعددة، فهي جسد وقول وفعل، وهي إنسان مرغوب ومرهوب، مقدس ومدنس، نهابه ونتوق إليه. فجل الكتابات والدراسات والمؤلفات التي اطلعنا عليها، تشير إلى هذا التناقض والازدواج في شخص المرأة، ونذكر منها كتب ومؤلفات: "**وصف إفريقيا**" للحسن بن محمد الوزان الفاسي[9]، و"**المرأة المغربية والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري**" لمصطفى عبد السلام المهماه[10]، و"**المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي: مغربيات مواطنات الغد**" لعبد الهادي التازي[11]، و"**المرأة بين الميثولوجيا والحداثة**" لخديجة صبار[12]، و"**المرأة وإشكالية الديموقراطية: قراءة في الواقع والخطاب**" لمليكة العاصمي[13]، و"**الكتابة النسائية: حفرية في الأنساق الدالة.. الأنوثة..**

---

9 – ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، ج. 1، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983 م.
10 – ط. 1، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1398هـ/ 1978م.
11 – ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1413هـ/1992م.
12 – ط. 1، مطبعة إفريقيا الشرق، لبنان 1999م.
13 – مطبعة إفريقيا الشرق، لبنان 1991م.

الجسد.. الهوية" لعبد النور إدريس[14]، و"**إملشيل جدلية الانغلاق والانفتاح**" للحسن آيت لفقيه[15]، و"**دليل المرأة المغربية**" لعبد الحق المريني[16]، و"**الفقر والفقراء في مغرب القرنين** 16 و17م لمحمد استيتو[17]، و"**قصص وأمثال من المغرب**" للحسين بن علي بن عبد الله[18].

إن هذه الباقة من العناوين ليست إلا جزءا صغيرا في بحر شاسع من أعمال الكتاب، والتي تخوض في قضية النساء المغربيات على مر الأعوام والعصور، من مختلف الطبقات الاجتماعية. وقد أدركوا بأن صورة المرأة تحيى بالتناقض والحركة، وتموت بالتكامل والجمود، ولا استغناء للمرأة على الرجل والعكس صحيح.

فلا يخفى على كل متتبع لمسار المرأة بالمغرب، والمهتم بالتاريخ المغربي كما في أنموذج: " دليل المرأة المغربية" لعبد الحق المريني، أن المرأة وخلال فترات متتالية استطاعت أن تحقق إنجازات مهمة، تخدم المجتمع المغربي، سواء من الناحية الاجتماعية، أم الاقتصادية، أم السياسية، أم الثقافية، وذلك بموازاة مع دورها الأسري.

بالرغم من هذا كله، مازال هناك من يقتصر على كونها مجرد موضوع جنسي، ووعاء للإنجاب، فيجردها من أبسط حقوقها، فيتجاهل كونها تكيفت مع طبيعتها القاسية، طفلة، فشابة، فمسنة. ومازالت تعاني من أزمات صعبة في حياتها اليومية.

لا أحد ينكر أهمية المرأة في تصور وحياة الإنسان المغربي، لذا لا بد من الاعتناء بها، وإعطائها فرصا كثيرة لكي تبين عن مدى كفاءتها وشجاعتها، سواء في القرية أم في المدينة، وأن لا نغفل عن مساعدتها ماديا ومعنويا، لأن المرأة نصف المجتمع، وحتى يتأتى لنا فعل

---

[14] – ط. 1، مطبعة وراقة سجلماسة، مكناس، شتنبر 2004م.
[15] – ط. 1، نشر مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، يوليوز 2001م.
[16] – جزءان، ط. 1، دار المعرفة للنشر، مطبعة المعارف، الرباط، 1993م.
[17] – مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، 2004م.
[18] – جزءان، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1417هـ/1996م.

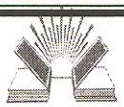

ذلك لا بد من مساءلة أنفسنا عما قدمته المرأة، وعما قدمناه لها بدورنا؟ وهل أنصفنا نصف المجتمع وأعطيناه حقه أم لا؟ كما يجب علينا أن نمحي من أذهاننا فكرة وجود صراع قائم بينها وبين الرجل، لأنه لا وجود له على الإطلاق.

الفصل الأول

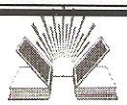

الفصل الأولـ: التراث الشعبي والحكايات الشعبية

إن الحديث عن التراث الشعبي بصفة عامة، وعن الحكاية الشعبية بصفة خاصة، عمل شاق ومضني، لأن مجالهما شاسع وعميق. لذلك لن ندعي تمام القدرة أو المعرفة الكاملة سبر أغوارهما، خاصة وأن مثل هذه المهمة تتطلب بحثا ميدانيا، نحقق من خلاله جمع المادة التي سنشتغل عليها، مباشرة من أفواه الرواة مع القيام بنقلها إلى اللغة العربية الفصحى، وكذلك البحث عن ما هو مكتوب ومدون، من قبل بعض الدارسين المهتمين بالتراث الشعبي عامة، وبالحكاية الشعبية خاصة.

والبحث المتأني من خلال مصادر تراثنا الشعبي، سيمكننا من كشف العديد من الخبايا والأسرار، ومن بناء تصور جاد، يتجاوز ما التصق في ذهن الناس من مفاهيم قدحية تضرب في التراث. لأن تاريخنا الحقيقي يكمن فيما خبأته لنا الذاكرة الشعبية عبر العصور، والتي عبرت عنه وصاغته في قوالب مختلفة ومتنوعة، تم السكوت عنها لمدة طويلة، أمام سيطرة الأدب الرسمي وسيادته، إلى أن حان وقت النهوض من جديد، للبحث في تراثنا، ليتم الكشف عن علاقته بالمناخ الثقافي العام، الذي أنتج فيه، ومن ثمة بناء تصور عام وواضح المعالم عن مدى أهميته وجديته، لأن لكل أمة تراث "هو عنوان شخصيتها الوطنية، يعبر عن قدرة عقليتها، ويحدد مدى عبقريتها، ويكشف عن قوة إرادتها."[19]

والنتاج الشعبي الذي يمكن من خلاله معرفة شعب ما، معرفة صحيحة وحقيقية، ويمكننا من تدوين تاريخه، هو نتاج الشعب نفسه. وهو عبارة عن أقوال وأفعال ينتجها، وتلازمه في حياته اليومية، تعبيرا واستجابة منه عن مواقف معينة.

ويمكن تقسيم تراثنا الشعبي إلى قسمين:

---

[19] – عباس الجراري، الزجل في المغرب: لقصيدة، مطبعة أمينة، الرباط، مارس 1970، ص. 1.

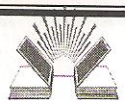

- **القسم الأول: نتاج قولي**

ويتمثل في الحكم، والأمثال، والحكايات، والأغاني، والنكت، والأحاجي...

- **القسم الثاني: نتاج حركي**

وتندرج ضمنه، الرقصات الشعبية، وألعاب الأطفال ولعبهم، والاحتفالات في الأعياد، ومناسبات الأفراح والأتراح...

وبما أن تراثنا الشعبي ـ وإلى عهد قريب ـ وصف بأنه نتاج غير راق، وبأنه نتاج العامة، ولا فائدة ترجى منه[20]، سنقوم بتعريفه، ووضع القارئ أمام الصورة الحقيقية لهذا الموروث الشعبي. خاصة وأن الالتزام بتحديد المصطلحات والمفاهيم، ليس من باب التقليد والانضباط لأعراف البحث العلمي فحسب، وإنما بسبب أهميتهما في تحديد موضوع البحث وتقييده والإحاطة بعناصره، مع التمهيد للتوجه مباشره نحو صلب الموضوع، وطرح الإشكاليات المركزية التي تساعد الباحث على الوصول إلى الطروحات الموضوعية، باعتبارها مفاتيح أساسية.

ولما كان من الصعب الإحاطة بجميع التعريفات، وتحديد جميع المصطلحات المرتبطة بموضوع البحث، ارتأينا أنه من الضروري الوقوف عند الأساسي منها، ومقاربة المفاهيم المحورية.

1- التعريف بالتراث الشعبي

إن الحديث عن التراث الشعبي، معناه الحديث عن إرث حضاري، وعن مادة خصبة تساعدنا على الإطلاع على أصالتنا. لذا لا يمكن ولوج أبواب التراث الشعبي، دون معرفة معناه ومكوناته، باعتباره مادة علمية لا تقل في أهميتها التاريخية والعلمية، عن أهمية الآثار،

---

[20]- انظر: عباس الجراري، من وحي التراث، ط. I، مطبعة الأمنية، الرباط.

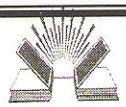

والوثائق التاريخية، والمخطوطات...، ومادة أولية، تساعدنا في الكشف عن بعض الأمور التي قد تغيب عنا، وذلك بالتدقيق في رموزها، ومحاولة فك طلاسمها.

فكلمة تراث مشتقة من فعل ورث – يرث، وكما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[21]، وقوله عز وجل: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُوهَا﴾[22]، بمعنى كل ما يرثه الناس مما خلفته لهم الأجيال السابقة. فالتراث إذن هو " ذلك الإرث الذي وصلنا على مر العصور والأزمان، والذي ما يزال ماثلا في حياتنا، متمثلا في جميع ما أنتجته عقول الأجيال السابقة، وما أوحت به قلوبهم من علوم وفنون وآداب، هي خلاصة حضارة هذا البلد، وثمرة عبقرية أبنائه."[23]

ومصطلح التراث الشعبي، من بين المصطلحات الكثيرة التي أطلقت على هذا الإرث الذي يعبر بصدق عن أحاسيسنا ومشاعرنا، ومن بينها فولكلور Folklore، وهي " كلمة إنجليزية، ترجع في تاريخها إلى أصل جرماني قديم، وهي مركبة من جزأين: فولك Folk، ومعناه الشعب أو الجماعة من الناس، ولور Lore، ومعناه العلم أو الحكمة."[24]

ومعلوم أن أول من استعمل هذا المصطلح هو العالم الإنجليزي وليام جيمس تومس William James THOMS، بحيث استعمل هذه اللفظة بمعنى الثقافة المتواترة بين أفراد الشعب، وأطلقها اصطلاحا على أحد فروع علم الأجناس، أو ما يسمى بالأثنولوجيا. وقد عرف في فرنسا بالأدب الشعبي Littérature populaire، وفي إيطاليا بالتقاليد الشعبية Traditions populaire، وفي ألمانيا أطلقوا عليه الفولكسكندي Volkskunde، بل وجد

21– سورة النمل، الآية: 16.
22– سورة الأحزاب، الآية: 27.
23– عباس الجراري، من وحي التراث، مرجع سابق، ص. 44.
24– المرجع نفسه، ص. 10.

عالم في إيطاليا سماه ديموسوكولوجيا Demosicologia، أي علم نفسية الشعب. أما في البلاد العربية، فمنهم من ينقل كلمة فولكلور بلفظها، ومنهم من يعربها.[25]

ولعل الاهتمام الذي أولاه المهتمون بالتراث، جلي في أعمال الجمعيات التي أسست من أجل صيانته، والمنظمات العالمية التي تطالب بجمعه، وتدوينه، وحفظه من الضياع. كما خصصت له معاهد ومدارس، وأصبح حاليا يدرس في الجامعات، نظرا لقيمته و فائدته، لأنه يبرز لنا خصائص الشعوب وظواهرها الاجتماعية، وكذا الإطلاع على مستواها الفني والحضاري، وتفسير ألوان حياة أفرادها وسلوكاتهم، ومن ثمة إثبات عراقة الأمة وأصالتها.

ورغم محاولات بعض المغرضين، الذين أنكروا علمية النصوص الشعبية، وأعطوا أنفسهم الحق لإبعاده عن الساحة الأدبية. فقد عملوا على جعل الأدب الرسمي مقابل الأدب الشعبي العامي، باعتباره وجها من أوجه التراث، الذي يستغرق مظاهر الحياة الشعبية قديمها وحديثها ومستقبلها، بغية خلق قطيعة فيما بينهما، إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك. كما أننا ألفنا أن نذكر مصطلح الأدب الشعبي، الذي نقصد به كل ما قيل من نثر أو نظم بالعامية، سواء عرف قائله، أم لم يعرف، ذلك الأدب الذي يعتبر "ثقافة للأميين، أو التي في حكم الأمية ممن يقال عنهم – اهْرَبْ عْلِيكَمْ ألْوَقْت–، بعبارة أخرى الثقافة التي كانت تدرسها الأنثروبولوجيا الاستعمارية"[26]، مقابل الأدب الرسمي، أو أدب الخاصة، مما كان يدرس للطلبة في المؤسسات التعليمية.

إن الأدب الشعبي أحد جوانب التراث الأساسية، الذي يصور بدقة واقع حياة عامة الشعب، من عادات، وتقاليد، وأعراف، وعقائد، وفنون، نتعرف من خلالها نفسية أفراد المجتمع، لأنه

---

[25]– المرجع نفسه، صص. 10–11.

[26] – إدريس كرم، الأدب الشعبي بالمغرب: الأدوار والعلاقات في ظل العصرنة، ط. 1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط 2004، ص. 20.

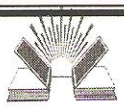

يستغرق مظاهر الحياة الشعبية عامة، فتتناقله الألسن، وتحفظه الذاكرة، لأنه أمانة عزيزة، وإرث نادر. فهو يقدم لكل فرد من أفراد الأمة على مختلف طبقاتهم الاجتماعية، فيجدون فيه غذاء وجدانهم، وتعمير قلوبهم.[27]

ولعل أهم ما يميز الأدب الشعبي، كونه تُراثا إنسانيا، تشترك فيه جميع الفئات، وهو من " بقايا القديم وثقافة ما قبل التمدين، أو هو الموروثات الثقافية في بيئة المدنية الحديثة."[28] كما أن مجال دراسة التراث الشعبي يشمل عدة ظواهر ثقافية مثل، الأدب الشعبي، والعادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية، وفنون الرقص والموسيقى والغناء الشعبي، والثقافة المادية خصوصا الحرف والصناعات اليدوية. وغالبا ما يكون مجهول المؤلف، لأن "الأدب الشعبي يبدأ في إبداعه من الفرد، ثم ينتهي إلى المجموع، لأن الأدب لا يكتب لنفسه، بل يبدعه الأفراد، ولكن حين يكون إبداع الفرد معبرا عن غيره بقدر ما هو معبر عن نفسه."[29]

فهو أدب يتناقله الأفراد، ويستخدمه كل واحد منهم حسب حاجته، كما تدخل عليه بعض التغييرات والتعديلات، مما يلائم ظروف بيئتهم ومتطلباتهم. فهو " جزء ركينا من التراث، وتعبيرا عن مقوماته الشخصية الوطنية، والذات الجماعية، والاهتمام به اهتمام بهذه الذات وبتلك المقومات."[30]

فلا خلاف على عراقة هذا الأدب الشعبي الذي يعد عند " أكثر الدارسين والمتذوقين، أهم حلقات التراث الشعبي."[31] فهو بدوره يحفظ لنا تراثا نستطيع من خلال دراسته، معرفة الحياة

---

27 – عبد العزيز الأهواني، الخيال في الأدب العربي، نقلا عن مجلة الفنون الشعبية، العدد الأول، القاهرة 1965، ص. 17.

28 – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، الطبعة الأولى، مطبعة الانتصار، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1993، ص. 3.

29 – فوزي العنتيل، بين الفولكلور والأدب الشعبي، نقلا عن مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الثاني، وزارة الإعلام، الكويت 1988، ص.204.

30 – عباس الجراري، الزجل في المغرب: لقصيدة، مطبعة أمينة، الرباط، مارس 1970، ص. 3.

31 – عبد الحميد يونس، التراث الشعبي، سلسلة كتابك 91، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ص. 21.

الفكرية، والروحية، والاجتماعية، لأجدادنا الأولين. وقد تم تقسيمه إلى عدة موضوعات حسب الباحثين والدارسين(*)، يمكن تحديدها في الآتي:

- الأغاني ومرددات المواسم والأفراح والأتراح.
- المثل السائر.
- اللغز.
- النداءات المسجوعة والمنظومة على السلع وغيرها، وكل ما يتعلق بالحرف التقليدية.
- النكتة.
- النادرة.
- الأساطير والسير والحكايات الشعبية.
- التمثيلات التقليدية.

رغم كل التعريفات التي قدمناها للتعريف بالتراث الشعبي، إلا أنه يبقى تعريفا ناقصا، بحيث لا يمكن إعطاؤه تعريفا واضحا متكاملا نظرا لشساعته وشموليته.

وبما أن الأدب الشعبي، ذلك الأدب العامي اللغة، الشفهي، المجهول المؤلف، المتوارث أبا عن جد، موضوعاته كثيرة ومتنوعة، ارتأيت البحث في الحكاية الشعبية، لكونها جزء لا يتجزأ من هذا الأدب، أدب الحياة، والعمل، والمشاعر، وخلجات القلوب، وهو ميراث أجيال، قرونا طويلة تمتد جذورها في الأعماق، والذي ما زال موشوما في ذاكرة كل فرد.

---

* - للمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى كتاب: - حسين عبد الحميد أحمد رشوان" الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع". وكتاب:- إدريس كرم " الأدب الشعبي بالمغرب: الأدوار والعلاقات في ظل العصرنة".

2 – التعريف بالحكاية الشعبية:

ما يزال المغرب في أمس الحاجة إلى البحث والتنقيب عن الملامح والمكونات التي ساهمت في تشكل عوالمه الثقافية، باعتباره فضاء ثقافيا متنوعا ومتعددا. ولعل الحكاية الشعبية من بين أهم هذه المكونات، فهي تكتسي أهمية كبرى في واقع العلاقات الاجتماعية، باعتبارها أداة تعبيرية تختزن خلجات الذاكرة الشعبية، ووعاء ثقافيا يغبر عن اللاشعور الجمعي لمجتمع ما، ويلخص حمولته الثقافية والفكرية.

جاء في لسان العرب[32]: "حَكَيْتُ فُلَاناً، حَاكَيْتُهُ أي فَعَلتُ مِثْلَ فِعْلِهِ، أو قُلْتُ مثل قَوْلِه.(...) والْمُحَاكَاةُ: الْمُشَابَهَةُ. تَقُولُ: يَحْكِي فُلَانٌ الشَّمْسَ حُسْناً وَيُحَاكِيهَا." فقد تكون الحكاية مشتقة من المحاكاة، إلا أنها لا تكتفي بمحاكاة الواقع واسترجاعه، بل تتعداه إلى النقد والتغيير.

فالحكاية قبل كل شيء، جنس أدبي سردي، ذو صلة وثيقة بالتقليد الشفهي، و" مصطلح الحكاية الشعبية جديد لا بالقياس إلى الأدب العربي وحده، ولكن بالقياس إلى الآداب العالمية. ومع ذلك تعد الحكاية الشعبية من أهم وأقدم ما ابتدعه الإنسان، فهي ذاكرة قديمة تعبر عن مشاعره، وأحاسيسه، وواقعه، وتخيلاته، وتصوراته، فهي ترتبط بالواقع وتعطيه صيغة خيالية تأملية، لتحسن التعبير عن حدوثها في الواقع."[33]

كما أن الحكاية ظاهرة عالمية الانتشار، استطاعت تسجيل حضورها القوي في كل حضارات العالم، وقد عرفت بكونها نوع "من أهم الأنواع النثرية في الأدب الشعبي. وهي ترجع في أصلها إلى المعتقدات الأولى للإنسان، وهي كذلك ما يدل على وحدة الفكر

---

[32] – ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط. 3، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد الرابع عشر، 1994، مادة: "حكى".

[33] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص. 57.

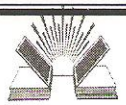

البشري."[34] وهي ما تسمى بالعامية – عند سكان شمال إفريقيا–، بالمَحَاجْيَة أو الخَرَافَة أو لَمْعَاوْدَة، وبالأمازيغية، تْحَاجِيتْ أو تَنْفُوسْتْ. وعادة ما تروى الحكايات في سهرات السمر الليلية، وبطقوس معينة، ويحرم تداولها في النهار، بدعوى أن من يرويها في الفترة الصباحية يصاب أولاده بالقرع، ولعل هذه الفكرة روجت لها الأمهات لكي لا يزعجها صغارها في الفترة الصباحية ويطلبون منها أن تحكي لهم الحكايات، ولكي تتمكن من إنجاز أشغالها المنزلية في هدوء.

كما تتسم الحكاية الشعبية بكونها "ثمرة تفكير إنساني، وهي ليست عمل فرد بذاته، بل هي من صنع الجماعة الإنسانية والمجتمع، وهي مجهولة المؤلف."[35] فالحكاية الشعبية، كانت وما تزال موضع دراسات ومقاربات مختلفة ومتباينة، منها ما هو تاريخي واجتماعي وأنتروبولوجي وإثنغرافي وسيكولوجي وسيميائي، وهي دراسات تختلف في المنطلقات المنهجية، والرهانات الفلسفية للظاهرة المدروسة. إلا أنها تتفق حول كون الحكايات منحدرة عن الأسطورة، والمعتقدات القديمة. وفي هذا الصدد تقول نيكول بلمونت (Nicole BELMONT) [36]: "إن الأسطوري في الحكايات شبيه بحجر ثمين، تفتت تحت الثرى، الذي أصبح مغطى بالعشب والأزهار، وأن الرؤية الثاقبة وحدها، دون غيرها، قادرة على اكتشاف جوهره، وأن معاني هذه الأساطير أضاعها الزمن، ومع ذلك فالإحساس بها أمر واقع وممكن، وهذه البقايا هي التي تشخص فحوى الحكاية."

إن البحث في تاريخ الحكاية، وتعريفها تعريفا جامعا مانعا، أمر معجز لا محالة. لأنها عالم فسيح، شبيه بالمتاهة، ولعل كل ما يهمنا هو دورها في حياة الفرد والجماعة، ومدى تأثير

---

34 – محمد الفاسي، من وحي البيئة، الطبعة الأولى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1970، ص. 127.

35 – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص. 58.

36 – *Poétique du contes: Essai sure le conte de la tradition orale*. Gallimard, Paris, p. 33.

حمولاتها في المبدع والمتلقي، خاصة وأنها تنهل من الواقع الاجتماعي وتصور حياة الفرد، ذاكرة لخصائصه الاجتماعية، والتاريخية، والعقائدية، والعرقية، واصفة للأحداث، والعادات، والتقاليد، وقد تجرد الأحداث وتعطيها صيغة خيالية، فهي تعتمد على السرد لإثارة المتلقي، بنقدها اللاذع، وسخريتها المرة، وفكاهتها الضاحكة، وعبرتها الرادعة. فهي تتميز بالمرونة لأنها "قابلة للتطور، إذ تلعب الحياة الإنسانية دورا في تطويرها، بحيث يضاف إليها، أو يحذف، أو يختصر منها، أو تعدل عباراتها ومضامينها وعلاقاتها، على مستوى الراوي الجديد، تبعا لمزاجه، أو موقفه، أو ظروف بيئته الاجتماعية."[37] كما تتميز ببنائها الفني، وبترابط أحداثها واستطرادها، وغالبا ما يجد فيها الإنسان متنفسه من كل أنواع الضغوط الاجتماعية، والتعبير عن كل ما يجول في خاطره دون قيد أو شرط، وكذا خروجه من قيده الزماني والمكاني. فهي "لا تهدف إلى ذكر حوادث التاريخ، بقدر ما تهدف إلى التعبير عن رأي الشعب وآماله إزاء حوادث عصره."[38]

وبما أن للحكاية الشعبية منابع كثيرة ومتعددة، مليئة بالخبرات الإنسانية التي تحيلنا على طفولة البشرية، فإنها وبكل مكوناتها وأصنافها، ليست مجرد نتاج للتسلية، وتمضية الوقت، بل قوة ثقافية على درجة كبيرة من الأهمية، وشبكة دلالية تكتسب سمة الحكمة، وهي تخضع لمجموعة من المقومات التي لا يمكن أن تستقيم بدونها:

1- كونها مادة شفهية بالدرجة الأولى، ذات مواضيع هادفة، وقواعد ثابتة.

2- اعتمادها على السرد المحكي بصيغة الماضي، وبضمير الغائب.

3- الراوي مجهول الهوية، ويحال عليه بالذاكرة الشعبية

---

37 - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص. 59.

38 - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط. 2، دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1974، ص. 113.

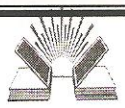

4- دور الشخصيات وحضورها باستمرار.

5- سرعة تداولها وانتشارها.

6- مرونتها وقابليتها للزيادة أو النقصان.

7- احتواؤها على مقدمات استهلالية متنوعة، وعلى خاتمة(*).

إن الحكاية الشعبية، أحد الأجناس الأدبية النثرية، المتعددة الدلالات، تختلف حسب طبيعة الفهم والحدث، ذات متون مليئة بالدروس التعليمية والأخلاقية، التي تهدف إلى زرع القيم الإيجابية وترسيخها، وتطهير السلوكيات السلبية ومحوها، هذا فضلا عن الجو الاحتفالي الذي يخلقه الراوي بحركاته وإيماءاته، ومحاولته تقمص أدوار الشخصيات الإنسانية والحيوانية التي تتكون منها الحكاية، مما يثير أحاسيس المتلقي ويشوقه.

وقد تعددت أنماط الحكاية الشعبية، وذلك حسب مواضيعها وتيماتها، فمنها ما هو خرافي، ويطلق عليه اسم الحكاية الخرافية، فـ"الخرافة Fable، قصة قصيرة تظهر فيها شخصية الحيوانات، وهي تتحدث وتقوم بأفعال مثل الآدميين، ولو أنها تحتفظ بقسماتها الحيوانية."[39] ففيها يؤكد الناس اعتقادهم في قوى خرافية وخارقة، وغالبا ما تنتهي الحكاية الخرافية بالنهاية السعيدة، "لأنها تمثل نوعا من القصص الشعبي، الذي يسعى الشعب عن طريقه إلى خلق تلك الصورة المثالية التي تحقق له الأمل الذي يراوده."[40] ويسود اعتقاد راسخ لدى علماء

*- إننا نجد لكل حكاية شعبية عدة مقدمات استهلالية، يفتتح بها الراوي كلامه مثل قوله:" كان يا ما كان في قديم الزمان، حبق وسوسان في حجر النبي عليه الصلاة والسلام". كما نجد لها خاتمة يختتم بها حكايته مثل قوله:" حكايتي مشات مع الواد الواد، وأنا بقيت مع لجواد". للمزيد من المعلومات يمكن الإطلاع على كتاب: عبد الحميد بورايو، الحكايات الخرافية للمغرب العربي: دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان 1992.

39- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص. 61.

40 - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المرجع نفسه، ص. 62.

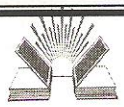

الفولكلور، بأن الخرافة قديمة قدم الخيال الإنساني، وقد كانت الأصل في تفسير الكون حتى قبل ظهور الأساطير(*).

وقد قال ابن منظور[41]: "وَٱلْخُرَافَةُ: ٱلْحَدِيثُ ٱلْمُسْتَمْلَحُ مِنَ ٱلْكَذِبِ. وَقَالُوا: حَدِيثٌ خُرَافَةٌ." أي أن الخرافة حديث لا صادق ولا باطل، فيه عجب أو غرابة، وهو نوع من الكذب المستملح، المصور للواقع بنوع من الخيال والزخرفة والتنميق.

ومنها ما يطلق عليه اسم حكايات الحيوان، وهي "حكاية شارحة أو مفسرة من حيث جوهرها، أو قل إنها حكاية ترمي إلى شرح علة أو غاية."[42] وهي مجموع الحكايات التي وردت على لسان الحيوانات، لهدف أخلاقي، عن طريق التصريح بالحكمة، أو تضمينها في السياق، وتتميز بالقصر، وبقلة الشخصيات.

أما حكايات الجان فهي "توضع في شكل قصة نثرية طويلة نوعا ما، تتضمن عددا كبيرا من الجزئيات أو الأحداث، وتغلب عليها صفة الخوارق، وتقوم بالأحداث فيها شخصيات خارقة أيضا."[43] كما أنها في تعريف العالم الإنجليزي الكزاندر هاجرتي كراب " أحدوثة متواترة بالرواية الشفاهية، منثورة، ولها قدر من "القوام"، وأنها جادة في الغالب الأعم (...) وهذه الأحدوثة تتمركز حول "بطل أو بطلة"، ويكون البطل فقيرا أو وحيدا في بداية الأحدوثة، وبعد سلسلة من المخاطرات، يستطيع البطل أن يصل إلى غرضه فيعيش حياة سعيدة إلى النهاية."[44]

---

* – أنظر كتاب: فريدريش فون دير لاين، الحكاية الخرافية: نشأتها، مناهج دراستها وفنيتها، ترجمة نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، ص. 186.

41 – لسان العرب، مصدر سابق، المجلد الرابع عشر، مادة: "خرف".

42 – الكزاندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ترجمة: رشدي صالح،وزارة الثقافة، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي، ص. 114.

43 – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص. 88.

44 – الكزاندر هجرتي كراب، المرجع نفسه، ص. 28.

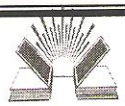

وهناك الحكاية المرحة، باعتبارها "قصة أو أحدوثة قصيرة، منظومة أو منثورة، تحكي نادرة أو سلسلة من النوادر، وهي ساخرة بسيطة في بنائها، وتندر فيها عناصر الخوارق، وتدور حول الحياة اليومية"[45]، وهي ما يعرف كذلك بالدعابة، أو الطرفة الساخرة، ووظيفتها أن تخلق القاعدة التي يقوم عليها الموقف المرح، لا أن تخلق الموقف نفسه[*].

فمن خلال هذه التعاريف الموجزة لأنماط الحكاية الشعبية، يمكن القول بأنها تفسير للحياة المعيشة وما يعتريها من تغيرات، في زحمة الحياة الراهنة. وهي وعاء حافظ لتلك القيم المتناثرة في مضامينها. وسواء كانت الحكاية شفهية، مصدرها الأول والأخير هو الذاكرة الشعبية، التي تحفظها لأطول فترة ممكنة، مع تغيرها في سياق التداول ونقلها من شخص لآخر، ومن بقعة لأخرى، أم كانت مكتوبة ومحفوظة بين دفتي كتاب، ومن ثمة اكتسابها لسمة الثبات، فإن لها وظائف نفسية، وبيولوجية، واجتماعية، وثقافية، وسياسية، يفهمها كل واحد حسب طريقته. وما زالت لحد الساعة تثير الباحثين والدارسين، وتبعث في أنفسهم حب الاستطلاع، مما جعلهم يشتغلون في حقلها، محاولين الوصول إلى نتائج تروق القراء والنقاد، وتفسيرات تفتح الطريق أمامنا، لفهم ما عسر علينا من ممارسات لطالما اعتقدنا أنها درب من الخيال، لاسيما وأن التراث الشعبي، تراث عالمي، و لكل واحد منا الحق في التعرف عليه، ليفهم قصة وجوده، ونمو وعيه، واستقلاله، وبناء كيانه، ومدى صراعه مع الطبيعة و كفاحه، وكل ما فرض عليه من أوضاع، إلى أن استطاع أن يصل إلى ما هو عليه.

---

[45] – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص. 94.

[*] – للمزيد من المعلومات، انظر: الكزاندر هاجرتي كراب، علم الفولكلور، ترجمة رشدي صالح، وزارة الثقافة، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي، ص. 94.

الفصل الثاني

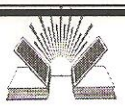

الفصل الثاني: رصد لصور المرأة من خلال حكايات شعبية مغربية.

بإلقاء نظرة أولية على أدبنا الحكائي الشفوي، نلمس أن نصوصه التي نجهل مؤلفيها، و زمان إنتاجها، و مكان وجودها أول مرة، هي تعبير صادق عن وجدان الجماعات البشرية التي تنتجها، تسرد عاداتها وتقاليدها، بطريقة تشد انتباه مستمع أو قارئ الحكاية، فتجعله أكثر تشوقا لتتبع الأحداث، ومعرفة مآلها، ولعل ما يضفي على هذه الحكاية طابعا مميزا، دور الشخصيات المتقن، ومن بينها دور المرأة الذي يحضر دائما في الحكايات إلى جانب دور الرجل، فنجدها توظف لأداء أدوار متنوعة ومتعددة، حسب تيمة وموضوع الحكاية.

إن المرأة ركن أساسي في الحكاية الشعبية، وعامل رئيس من عوامل حيويتها وجاذبيتها، فهي تقوم بدور داخل الحكاية يضفي صبغة مميزة على أحداثها، فتبعث قوة إضافية عند سرد الأحداث، مما يشد انتباه المتلقي. فتارة تظهر بصورة المرأة البطلة أو الأميرة، ذات الجمال الخلاب، والحس المرهف، فتكون عنصرا فعالا في تنشيط دور البطل، المعروف برجولته وفروسيته وشجاعته، وتارة أخرى تظهر في صورة شقيقات البطلة الشريرات، أو صورة زوجة الأب... بل يتعدى وجودها إلى نماذج كثيرة من النساء، أنيط لكل منهن دور خاص، وأداء عمل معين داخل الحكاية، سواء كان هذا العمل له تأثير كبير في سير الأحداث، أم كان ثانويا يقوم بتوضيح موقف ما، أم تفسير سلوك معين.

من خلال هذه الأدوار التي أنيطت بالمرأة، يمكن التمييز بين صورتين أساسيتين لها، تتضحان من خلال عناصر تنتمي إلى عدة مجالات، منها ما هو موضوعي مثل الصفات الجسدية، وقيمي منتمي إلى مجال الذوق الجمالي والحس الأخلاقي، ثم المجال الاجتماعي المرتبط أساسا بالوظيفة والفاعلية. وهاتان الصورتان هما وجهان لعملة واحدة، الأولى إيجابية، والثانية سلبية. وهذا ما سنستخلصه ونستدل عليه، من خلال قراءتنا للحكايات التي

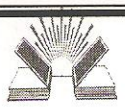

سنشتغل عليها، وعددها أربعة وعشرون حكاية، منها ما هو شفوي استقيته من أفواه بعض النساء والرجال من مختلف الفئات العمرية والمدن المغربية، وقد نقلته من العامية والامازيغية إلى اللغة العربية، ومنها ما هو مدون استقيته من بعض الكتب والمجلات.

1- صورة المرأة البطلة أو الأميرة

لعل أشهر الأدوار التي أسندت للمرأة داخل الحكاية الشعبية، هو دور البطلة، أو الأميرة التي يهواها البطل، ويسعى جاهدا لتخليصها من القوى الشريرة، سواء من بين أيدي الأشرار، أم العمل على فك السحر الذي وضع لها، أم فك الألغاز التي تطرحها عليه...، وذلك للزواج منها وبناء أسرة سعيدة في نهاية المطاف.

فهذا الدور الذي أنيط بها تتميز فيه بكونها رهيفة الحس، ذات أخلاق حسنة، وسمعة جيدة. ونجد في حكاياتنا الشعبية نماذج كثيرة تقوم فيها المرأة بهذا الدور، ولعل ذلك راجع للأحداث والمغامرات التي تتخلل الحكاية، مما يجعل المستمع أو القارئ متلهفا على سماعها ومعرفة أحداثها، خاصة وأن نهاية الحكاية غالبا ما تتوج بزفاف البطل بالبطلة، وموت الأشرار، أو معاقبتهم أشد عقاب طول الحياة. ولعل أدل مثال على ذلك حكاية "**لِيلَى**" أو كما تعرف عند البعض بـــ"**تُونْجَا**"، وقد روتها لي السيدة قضاض فاظمة، من مواليد 1889، القاطنة بمدينة أبركان، وهي امرأة فائقة الذكاء، تتميز بذاكرتها القوية بالرغم من كبر سنها وعدم قدرتها على الحراك. وحكايتنا كالآتي:

الحكاية الأولى

"كان يا ما كان في قديم الزمان رجل عجوز متزوج بامرأتين، إحداهما مجنونة، رزقها الله ببنت إسمها "**لِيلَى**"، والأخرى سوية العقل لديها ابن. كان زوجهما يطلب منهما في كل صباح أن يعطوه نصيبا من الفول ليزرعه، فيخرج مبكرا ويذهب لغار بعيد، فيأكل ذلك الفول فيعود

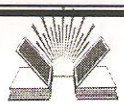

إلى منزله متصنعا التعب، ثم يخلد إلى النوم. مرت أيام وهو على هذه الحال، وفي يوم من الأيام طلبت منه زوجتاه الذهاب للحقل الذي زرع به الفول لجلب ما تيسر منه، حينها أعطاهما الزوج عصاه وقال لهما:

– اذهبا وابحثا عن الفول، فإذا وجدتما حقلا به فول طوله مثل طول هذه العصا، فإنه ملكنا، فخذا منه ما شئتما.

ذهبت المرأتان فبدأتا البحث عن الحقل إلى أن عثرتا عن الفول الذي يوازي طوله طول العصا، فأخذتا تجنيانه، وفجأة سمعتا صوتا يناديهما قائلا:

– "أَلشْرِيكَاتْ بْلاَ زَرِّيعَة"، أي، أيتها النساء الغريبات، إنزعا الفول ما استطعتما، وتعالا نقتسم فيما بيننا.

حينها جمعت المرأتان الفول، ووضعتاه على ظهر الحمار، وذهبتا تجاه الصوت الذي ناداهما. وحينما وصلتا هناك وجدتا غولة، بثديين كبيرين، وشعر مشعث وكثيف، وأسنان كبيرة، ذات وجه مرعب. فأمرتهما بالدخول إلى منزلها، لتهيئ الطعام لهما، فدخلتا إلى المنزل، فذهبت الغولة إلى الحمار وقتلته، ووضعت رأسه في إحدى النوافذ المطلة على فناء المنزل، ثم هيأت لهما الطعام المتكون من عدس مليء بالقمل والدود ولحم الحمار، فقالت لهما:

– كلا واشربا، إن حماركما ينتظركما.

حينها أخذت المرأة المختلة عقليا تأكل بنهم، أما المرأة العاقلة، فقد أحست بالخطر، فتظاهرت بأنها تأكل. ولما همتا بالنهوض قالت لهما الغولة:

– أتركاني أساعدكما على حمل طفليكما.

حملت المرأة العاقلة إبنها بين ذراعيها، أما المجنونة فقد أعطت إبنتها للغولة لكي تساعدها في وضعها على ظهرها، لكن الغولة استبدلتها " بِمِهْرَاز"، دون أن تحس المرأة بذلك. فخرجتا متجهتين إلى منزلهما.

أما الغولة التي كانت تسكن في غار مرتفع عن مستوى الأرض بعدة أمتار، حملت "لِيلَى" بين ذراعيها، لتأكلها، فقالت:

- "إِلَى كْلِيتَكْ تَحَّصْلِيلِي فَالسَّنِّينْ وِإلاَ خَلِّيتَكْ تَخُّرْجِيلِي عِلَّة." أي إذا أكلتك فلن أشبع منك، وإذا تركتك فلن آمن شرك. فأجابتها الطفلة قائلة:

- أرجوك لا تأكليني، وأعدك أن أكون لك عونا عندما أكبر. وفعلا لم تأكلها الغولة رفقا بها. فمرت السنوات وكبرت ليلى فكانت فائقة الجمال، ذات شعر طويل، أسود فاحم. فكانت الغولة حينما تريد الذهاب إلى الغابة، تطلب من ليلى أن تعطيها شعرها الطويل لكي تنزل قائلة: "لِيلَى يَا لِيلَى مَدِّيلِي سَالْفَكْ نَنْزَلْ"، وحين عودتها تطلب منها أن تعطيها شعرها لكي تصعد، قائلة: " لِيلَى يَا لِيلَى اعْطِينِي سَالْفَكْ نَطْلَعْ "، وحينما تصعد تعد شعر ليلى شعرة شعرة، وهكذا. وفي يوم من الأيام كان أحد أبناء عمها يلعب بالكرة فسقطت له الكرة في قصعة الطعام الذي كانت تعده جدته، فقالت له: "ألْخِيرْ آللِّي إِدِّيرْ، رُوحْ وْسَلَّكْ بَنْتْ عَمَّكْ آللِّي رَاهَا عَنْدْ لَغْوَالْ أُو لَهْوَالْ" أي ألا تخجل من نفسك، أتحسب نفسك رجلا؟ إذا كنت كذلك، اذهب وانقذ ابنة عمك التي اختطفتها الغولة. فذهب الولد إلى أمه وأمرها بأن تعد له قصعة من "بَرْكُوكَشْ(*)" للعشاء، وحينما حظرت ما طلبه منها، نادى جدته لتأكل معه، حينها أمسك يدها وأمرها بأن تخبره بقصة ابنة عمه كاملة، وإلا وضع لها يدها في الطعام الساخن. وبعد جدال طويل

* - بَرْكُوكَشْ: أكلة مشهورة بالمغرب، تسمى بالأمازيغية "أَحْرِيرْ" أو "أَحَارْبِيضْ"، وهو شبيه بالكسكس، إلا أن حباته ذات حجم كبير، وطريقة تحظيره مختلفة تشبه طريقة تحظير الحريرة المغربية.

اضطرت الجدة إلى أن تحكي له القصة كاملة. وحينما عرف الحقيقة، قرر البطل الشجاع أن يذهب وينقذ ابنة عمه.

خرج البطل في رحلة للبحث عن مقر الغولة، وبعد عناء طويل استطاع أن يجد مقرها، فراقبها، وعرف طريق الوصول إلى ابنة عمه، فانتظر إلى أن خرجت الغولة، فذهب إلى غارها ونادى قائلا:

- "لِيلَى يَا لِيلَى مَدِّيلِي سَالْفَكْ نَطْلَعْ."

فقالت له ليلى: أنت لست جدتي الغولة، فأجابها قائلا:

- أنا ابن عمك لا تخافي، ساعديني لكي أصعد وسوف أحكي لك القصة كاملة.

وفعلا أعطته شعرها فصعد، فتبادلا أطراف الحديث، فعرفت من تكون. ولما أحست بقدوم الغولة، خبأته تحت قدر كبير، فنادتها الغولة كعادتها، ولما صعدت وبدأت تحسب شعرها، وجدت خصلة ناقصة، حينها صرخت الغولة في وجهها قائلة:

- "شْكُونْ مَنْ غِيرِي جَا وْدَخَّلْتِيهْ لْدَارِي، رَاهْ شَعْرَكْ نَاقَصْ؟"، أي من أدخلت إلى المنزل، وقد فقدت خصلة من شعرك؟. فردت ليلى قائلة:

- لقد هممت لإنقاذ الدجاج لأنه كان يتصارع فيما بينه، لذا فقدت خصلة من شعري.

ومع ذلك لم تقتنع الغولة بتبريرها وقالت لها:

- "رِيحَتْ الْقَصْلَة وَالْبَصْلَة فِي دَارْنَا." بمعنى أنني أشتم رائحة طعام غريب كالذي يحضر للغرباء؟. فقالت لها ليلى :

- ما هذا المزاح يا جدتي، من سيزورني غيرك، وأنا كما تعلمين مقطوعة من شجرة، لقد مللت طعام كل يوم! فقررت تجهيز أكلة جديدة لنتمتع بها سويا.

وهكذا استطاعت ليلى أن تقنع الغولة، فجلست أمام الطاولة لتناول الطعام، فنادت كل القدور لتجتمع وتشاركها الطعام و إلا كسرتها كلها قائلة:

- "أَدِّيوَمْتْ آ ثِيوُذَارْ ثَنْ يَقِّيمَنْ أَتَرَّزْ." أي إقتربي أيتها القدور وشاركينا الطعام، وإلا كسرتك.

اقتربت القدور نحو المائدة، إلا قدرا كان معزولا في أحد الزوايا لم يستطع الاقتراب، لأنه كان يخبئ ابن عم ليلى. وحينما أمرت بكسره، سارعت ليلى إلى دق مسامير كثيرة على جوانب ملابس الغولة دون أن تشعر بها، وقالت لها:

- أرجوك لا تكسري القدر المسكين لأنه تقدم في السن مثلك، لأنك لا تستطيعين بدورك النهوض. وحينما حاولت الغولة التحرك من مكانها ولم تستطع، تراجعت عن قرارها، وطلبت من ليلى أن تقدم الأكل للقدر العجوز.

وبينما هما يتحدثان، قالت ليلى:

- لماذا يا جدتي لا تدعيني أرى كل ما تملكينه من قوة؟. فبدأت الغولة تخرج رزما تخبئ بها قوتها وتقول:

- هذه قوة الريح، وهذه قوة الثلج، وهذه قوة التراب، وهذه قوة المطر، وهذه قوة الإبر... إلى أن أرتها جميع قواها، فغلبها النوم وتركت تلك الرزم على الأرض.

فقامت ليلى مسرعة، و أحضرت مهرازا، وبصقت فيه، ثم سرقت رزم القوى العجيبة، وهربت رفقة ابن عمها. حينها بدأ الديك يصيح قائلا:

- "كُوكُو عُوعُو لِيلَى يِوِيتْ أُو عَامِّيسْ"، مخبرا بذلك الغولة بهرب ليلى.

لكن الغولة نادت ليلى:

- "لِيلَى آ لِيلَى". فرد اللعاب المنفوث في المهراز:

– نعم.

فنهضت وأكلت الديك لأنها اعتقدت أنه كاذب، دون أن تزعج ليلى. وكررت نفس الشئ مع جميع حيواناتها، إلى أن استفاقت من نومها، ونادت ليلى، لكن اللعاب كان قد نفذ فلم تسمع الرد، وحينما أزاحت الغطاء عن مكان ليلى لم تجدها، فأدركت أنها هربت وقد سرقت قواها السحرية، فقالت غاضبة:

– "بُومْ دَارَتْهَا بِيَّ قْبَلْ مَا نْدِيرْهَا بِهَا"، فأسرعت لكي تلحق بها، وفي هذه الأثناء أخذت ليلى تسأل القمر عن موقع الغولة قائلة:

– "أيَوَرْ آ يُورْ مَانِي ثَلاَّ حَنّ ثَامْزَة" أي أيها القمر أخبرني أين هي جدتي الغولة؟ فيجيبها القمر قائلا:

– "أيُوَرْ أيُورْ ثْلَحَكْدْ أَخَمْ"، أي أسرعي فإن الغولة على وشك أن تمسك بك.

فأخرجت ليلى رزمة الريح ورمتها على الأرض، واضطرت الغولة لجمع الريح، ثم سارعت لتلحق بها، ثم أخرجت ليلى رزمة الثلج، فألقتها على الأرض، واضطرت الغولة لجمع الثلج، ثم سارعت لتلحق بها، وهكذا إلى أن أتمت الرزم كلها، فكانت آخر رزمة هي رزمة المطر، فتعبت الغولة ولم تستطع جمعه، ففصل بينهما واد كبير، شديد السيلان، فقالت الغولة لليلى:

– بحكم إرضاعي لك، و تربيتي لك، أتمنى أن يصيبك المرض، ولا تستطيعين المشي مجددا.

فوقعت ليلى أرضا، وردت على الغولة:

– بحكم اعتنائي بك كل هذه السنوات، أتمنى أن تسقطي أرضا دون حراك.

وفعلا لم تستطع الغولة الحراك.

ولما يئست الغولة من كل شيء، تمنت الشفاء العاجل لليلى، وفعلت ليلى نفس الشيء، فقالت لها الغولة:

- اذهبي فأنت حرة الآن، لكن إذا وجدت رجلا وقد سقط له حمل الشعير من فوق ظهر حماره فلا تساعديه، وإذا وجدت صقرين يتشاجران فلا تساعديهما.

وهكذا ذهبت ليلى رفقة ابن عمها، وبينما هما في الطريق وجدا رجلا وقد سقط له كيس الشعير من فوق ظهر الحمار، فهبا لمساعدته وسارا مرة أخرى، ولما لم يبق لهما إلا القليل لكي يصلا المنزل، وجدا صقرين يتشاجران فذهبا لمساعدتهما، لكن الصقر التهم ابن عم ليلى، وطار عاليا، فبقيت ليلى وحيدة تبكي وتنتحب، فقال لها ابن عمها:

- ابحثي عن جلد كلبة وارتديه لكي لا يصيبك أي مكروه، ثم دلها على منزله. وكانت أسرتها تقدم لها الطعام على أساس أنها كلبة، وكلما حل الظلام يناديها ابن عمها قائلا:

- "لِيلَى يَا لِيلَى، وَاشْ عَشَّاكْ ٱللِّيلَة"، أي ماذا قدموا لك من طعام؟ فتجيبه قائلة:

- "عَشَّانِي ٱلنُّخَّالَة وَرْكَادِي فَٱلْخَالْفَة"، وتقصد بذلك أن الطعام كان رديئا، وأن نومها كان في عتبة الباب. حينها يرد قائلا:

- "قَرْحْ مَّا قَرْحْ بَّا قَرْحْ ٱلْخِيمَة لَكْبِيرَة"، وبذلك يستنكر على أهله فعلتهم.

في يوم من الأيام قررت الأم أن تغير الطعام لليلى، وحينما سألها ابن عمها عن نوع طعامها قالت:

- "عَشَّانِي ٱلرَّفِيسَة وَرْكَادِي فْلَقْطِيفَة"، أي أن أهلها قد قدموا لها طعاما جيدا، وفراشا وثيرا.

فرد ابن عمها قائلا:

- "فَرْحْ مَّا فَرْحْ بَّا فَرْحْ ٱلْخِيمَة لَكْبِيرَة"، معلنا بذلك عن فرحته. شكت الأم في الأمر، فذهبت عند أحد الحكماء وأخبرته بما تسمعه كل ليلة، فأشار عليها الحكيم بأن تذبح جديا، وتضع له الكثير من الملح، وتتركه أمام النهر القريب من منزلها، وتراقب ما سيحدث.

قامت المرأة بما طلبه منها الفقيه الصالح، فلما اشتم الصقر رائحة اللحم، نزل إلى الأرض وأخذ يأكل ويشرب الماء، إلى أن انتفخت بطنه، فلم يستطع التحمل، فتقيأ كل ما أكله، وقد سقط من جوفه ابن عم ليلى، ففرحت الأم وعانقته.

ولما وصل البطل رفقة والدته إلى المنزل طلب منها أن تزوجه بالكلبة، لكنها رفضت ذلك واتهمته بالجنون، لكنه أصر على الزواج منها، وفعلا تزوج ابنة عمه المتنكرة في زي الكلبة. وفي الصباح الباكر خرجت ليلى من خيمتها في أبهى حلة، وقد أذهلت الجميع بجمالها. وحينما رأى أحد الشبان الغيورين ذلك، قرر هو الآخر أن يتزوج كلبته، لكن في الصباح الباكر وجده أهله ميتا، وقد التهمت الكلبة أحشاءه. وهكذا عاشت ليلى في رفاهية مع أسرتها.

"وْ حَجَّايْتِي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ."[46]

إن هذه الحكاية مليئة بالشخصيات، وبالأحداث المثيرة، تحمل بين ثناياها العديد من العبر والمواعظ، ودور المرأة البطلة جلي بها، فقد ظهرت في الوهلة الأولى في صورة الطفلة البريئة التي لا تعي شيئا، سوى رغبتها في البقاء على قيد الحياة، لتنتقل إلى صورة الفتاة اليانعة التي تطيع أوامر من ربتها واعتنت بها، والقيام بكل الشؤون المنزلية دون كلل أو ملل، ثم في الأخير تظهر في صورة المرأة الحريصة على تحقيق رغبتها، فتعمل جاهدة على

[46] - هذه الحكاية روتها لي، السيدة قضاض فاطمة، من مواليد 1889، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الأربعاء 10 مارس 2006، على الساعة التاسعة ليلا.

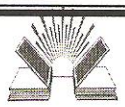

الفرار، من أجل الزواج بابن عمها، ومن ثمة التحرر من كل القيود، والاستقلال بذاتها، وتكوين أسرة جديدة، تكون تحت مسؤوليتها.

ولعل هذه المراحل الثلاث الموجودة داخل هذه الحكاية، أو الصور الثلاث التي ظهرت فيها المرأة هنا، هي نفسها التي نجدها في واقعنا اليومي المعيش، ولعل هذه الحكاية التي تروى للصغار، لدليل على تكييفهم على ما هو آت، وإخبارهم بما سيواجههم في مستقبلهم، ومن ثمة تهييئهم لمواجهة الصعاب والمزالق التي قد تعترض طريقهم.

إن دور المرأة البطلة في هذه الحكاية، دور إيجابي، بحيث تقدم لنا صورة المرأة المطيعة، التي تسعى جاهدة إلى انتزاع حقها، والوصول إلى هدفها، دون أن تؤذي أحدا، مع محاربة اليأس و«الدونية»، والتسلح بالصبر والقيم النبيلة، رغم مرارة الصراع، وعدم تكافؤ مواطن الضعف والقوة، بين قوى الشر، وقوى الخير. كما أن مواصفاتها "لِيلَى"، سواء الجسدية أم الروحية هي مطلوبة في المرأة المغربية، فالشعر مثلا هو مصدر الخير والشر، والمرأة تنكح لشعرها أيضا، فـ"الشعر رمز للتبرك، وبالتالي وجب تحديد المفاهيم بالأمازيغية، فالشعر المرتبط بالجمال يسمى "أَشَكُّوكْ" أو "أَزَّارْ"، والشعر المرتبط بالتبرك يسمى "أَدَلَّالْ". (...) و شعر المرأة في اعتقاد سكان الأطلس الكبير الشرقي، يتصل مباشرة بعالم الأرواح، فيجلب الخير الذي يتجلى في المال والبنين ووفرة الماشية وازدهار الأسرة، بشرط أن يكون من نوع "أَدَلَّالْ". ويحدث العكس إذا كانت المرأة تحمل شعرا آخر مناقضا لـ"أَدَلَّالْ" ذي علاقة بالأرواح الشريرة، يطلق عليه "أَوَنْزَا"، حيث تدخل بيت زوجها فتأتي الويلات من كل حدب

وصوب."[47] فـ"لِيلَى" هنا صورة للمرأة الصالحة التي تجلب الخير لزوجها، فتشاركه الحلو والمر، دون كلل أو ملل.

الحكاية الثانية

إن حكاية "**صَابْرَة**" و"**الْغُولْ**"، تعرض قيم الوفاء، والصبر، والإخلاص، التي تتميز بها البطلة، ذات الجمال الفائق، والتي تعمل جاهدة على الحفاظ على شرفها وعذريتها، رغم كل الصعاب التي تمر بها، حينما أراد الغول استغلالها. وقد روتها لي الآنسة مركوم فاطمة، من مواليد 1969، القاطنة بمدينة أبركان، وهي تمتهن الخياطة. وحكايتنا هي:

"أَعْطِيوْنَا وَذْنِيكُمْ الله يْجَازِيكُمْ، وِلاَ مَا حْكِيتوَهَاشْ لْوْلِيدَاتْ التَّقْلِيدْ عْلِيكُم.

يحكى في غابر الأجيال أن فتاة تدعى "**صَابْرَة**" كانت تعيش تحت كنف والدها في غابة نائية، وكانت تربي قطة، فذهب والدها إلى الحج، وتركها وحيدة مع القطة، دون معين. فكانت صابرة تقتسم طعامها بالتساوي مع تلك القطة، لكن القطة لم تكن تبالي بالفتاة، فتأكل كل ما اصطادته وحدها.

وذات يوم من الأيام وجدت صابرة تفاحة، فأكلتها دون أن تعطي القطة شيئا، فرأتها القطة، وتوعدت بأن تنتقم منها، فسرقت لها عود الثقاب، فلم تجد صابرة ما توقد به لكي تطهو الطعام. وبينما هي تفكر في الحل، رأت نورا منبعثا من وسط الغابة، فاتجهت نحوه، وحينما وصلت إلى مكان الضوء، وجدت غولا يشوي لحم حمار، فقالت له:

- السلام عليك يا عمي الغول. فرد قائلا:

- ماذا تريدين؟. أجابته قائلة:

---

[47] - لحسن آيت لفقيه، إملشيل: جدلية الإنغلاق والإنفتاح، ط. I، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة أمبريال، الرباط، يوليوز 2001، صص. 62- 63.

– أريد قبسا من النار.

كان الغول ينتعل رجلي الحمار، ويضع جلده على ظهره، وأمعاؤه على رأسه. فقدم لها الغول النار وانصرفت.

لكن الغول اقتفى أثرها، وعرف محل سكناها، فبدأ يتردد عليها في الليل، وهي ترتجف من الخوف. فيقول لها:

– يا صابرة، عندما زرتني ماذا وجدتني أشوي؟ فتجيبه قائلة:

– وجدتك تشوي لحم الخروف. فيقول لها:

– وماذا وجدتني انتعل؟ فتقول له:

– بلغة السلطان. ثم يسألها:

– وماذا كنت أرتدي؟ فتقول له:

– كنت ترتدي لباس الملوك. ثم يضيف قائلا:

– وماذا كنت أضع فوق رأسي؟ فتقول له:

– عمامة الحكماء.

وهكذا دواليك، إلى أن طلب منها في يوم من الأيام أن تقبله زوجا. فأمضت الليل كله تبكي، وتطلب من الله أن يعود والدها في أقرب وقت، وكان الغول قد أعطاها مهلة ثلاثة أيام، لتفكر في الأمر وتجيبه.

وفي صباح اليوم الثالث، عاد أبوها من الحج، برفقة شاب وسيم التقى به أثناء رحلته، ففرحت كثيرا، وأخذت تبكي، فحكت لهما قصتها مع الغول، فطمأنها الشاب الوسيم، ووعدها بأن يجد حلا لمشكلتها، فقام في حينه، فحفر أخدودا عميقا، وملأه حطبا، وغطاه بالعشب، فأمرها بأن تثير غضب الغول حينما يأتي ويسألها كالعادة.

ولما اقترب الغول، خرجت الفتاة، فرآها، وناداها قائلا:

– يا " صَابْرَة "؟. فأجابته قائلة:

– ماذا تريد أيها الحمار؟. فقال لها:

– إذا لم تقبلي بي زوجا فسوف ألتهمك. فقالت له:

– أنت مجرد جبان ولا تقوى على فعل أي شيء. فقال لها:

– عندما زرتني ماذا وجدتني أشوي؟. قالت ضاحكة:

– وجدتك تشوي لحم حمار أيها الحمار. فقال لها:

– وماذا وجدتني انتعل؟ قالت له:

– وجدتك تنتعل رجلي حمار. ثم قال:

– وماذا كنت أرتدي؟ قالت:

– كنت ترتدي جلد حمار. فقال لها:

– وماذا كنت أضع فوق رأسي؟ قالت:

– كنت تضع أحشاء الحمار أيها المعفون.

فثار غضبه، وهرول مسرعا نحوها فسقط في الفخ الذي نصب له، فأشعل الشاب النار في الحطب، فمات الغول. وقد أعجب الشاب الوسيم بـــ " صَابْرَة "، فطلب يدها للزواج، فعاشت صابرة في سعادة وهناء، رفقة زوجها ووالدها. " وْخَبّيْرْتِي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ، وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ."[48]

[48] – هذه الحكاية روتها لي الآنسة مركوم فاطمة، من مواليد 1969، بمدينة أبركان، يوم الجمعة 8 يونيو 2006، على الساعة الحادية عشرة ليلا.

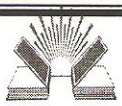

إن هذه الحكاية كما سبقت الإشارة، دليل على صبر المرأة، وتحملها لكل الصعاب التي تواجهها في الحياة، وذلك من أجل الوصول إلى مبتغاها. ولعل اسمها ــ صَابْرَة ــ لدليل واضح على صبرها، وتحملها للإهانة، وانتظارها للفرج القريب. وهذه الصورة المثالية للمرأة كثيرا ما نصادفها على أرض الواقع، بحيث نجد بعض النساء، يعملن جاهدات على تخطي الصعاب، والصبر على ما يصادفهن من مشاكل، دون كلل أو ملل.

من خلال ما سبق، نلاحظ كيف تكشف الحكاية الشعبية أعماقا خفية من وجودنا، وكيف صيغت الأدوار بدقة متناهية، وقد استطاعت نقل مضمون الحكاية بصورة واضحة للمتلقي.

وهذا النوع من الحكايات التي تقوم فيه المرأة بدور البطلة، يعتبر من الأنواع الهادفة، التي تحمل بين ثناياها عبرا كثيرة، وحكما بليغة تساعد المتلقي على فهم بعض الأمور العالقة في الحياة، وذلك باكتسابه لمهارات كانت قد استعملتها الشخصيات في الحكاية، من أجل الخروج من مأزق أو شرك ما.

الحكاية الثالثة

لعل حكاية "**حَسَنْ وحَبَّة ٱلزِّينْ**" من بين الحكايات التي تحمل العديد من المعاني التي تشير إلى صورة المرأة الإيجابية، وقد رواها لي السيد الصحراوي لحسن بن محمد الصحراوي، من مواليد 1938، القاطن بمدينة طاطا، حارس بإحدى المؤسسات التعليمية، وحكايتنا هي:

"كان يا ما كان في قديم الزمان، مِينْ كَانْ لَحْبَقْ وَٱلسّوسَان فِي حْجَر النَّبِي العَدْنَانْ عَلَيْهِ الصّلاة والسّلام.

كان هناك رجل متزوج بامرأة رزقهما الله ولدا ذكرا، فكانا سعيدين جدا بهذا المولود، كبر الولد وترعرع في كنف أسرته، إلى أن أصبح شابا يافعا. مرض أبوه واقترب أجله، وفي لحظات احتضاره نادى زوجته وابنه الوحيد، فأخذ يوصيه بأن لا يأكل أموال الغير، مهما

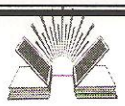

حصل. وفعلا امتثل الابن البار لوصية والده الهالك. توالت الأيام والشهور والأعوام، واشتد عود الشاب، فأخذ يشتغل في الفلاحة بالحقل الذي ورثه عن أبيه، وأصبح قادرا على إعالة نفسه وأمه.

وذات مرة، وبينما هو منهمك في سقي بستانه، وإذا بقنوات الري تحمل معها رمانة كبيرة، وقد طفت بجانبه. فأخذها والتهمها بنهم شديد، حينها تذكر وصية أبيه وندم عل فعلته، لأنه ظن أن أكلها تطاول على ملك الغير. فحزن الابن حزنا عميقا ولم يجد سبيلا للتكفير عن خطيئته.

عاد الفلاح الشاب متذمرا إلى منزله، وأخبر أمه بكل ما حدث، فنصحته بضرورة البحث عن صاحب الرمانة والاعتذار له عسى أن يغفر له فعلته، ولكي يهدأ باله.

وذهب الشاب باحثا عن صاحب الرمانة، فأخذ يسأل كل من يصادفه في طريقه، إلى أن التقى برجل عجوز فأخبره بقصته، وطلب منه المساعدة.

توسم الشيخ في الشاب صورة الإنسان المثالي الذي يسعى وراء القيم النبيلة، فأراد مساعدته فقال له:

- لا تحزن يا بني إن الرمانة ملك لي.

أخذ الشاب بكلام الشيخ وسر لذلك، فطلب منه العفو. لكن الشيخ اشترط من أجل الصفح عنه أن يتزوج بابنته قائلا:

- فليكن في علمك يا بني أن ابنتي مريضة ولا تقوى على المشي، لكنها تستخدم يديها بمهارة.

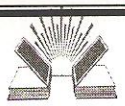

وضع الشاب أمام خيار صعب، ولكنه لم يستطع رفض طلبه، وطلب من الشيخ السماح له باستشارة والدته. ولما ذهب وسألها ترددت في بادئ الأمر، ولكنها قبلت في النهاية أن توافق على زواج ابنها بالفتاة المعوقة، معللة قبولها بقولها:

– يكفي أن تكون قادرة على فعل بعض الأعمال البسيطة، مثل إطعام الدجاج.

ذهب الابن رفقة أمه لخطبة ابنة الشيخ وكان الاتفاق على موعد الزواج ومتطلباته. وفي يوم العرس وجد الشاب أمامه مفاجأة جميلة، ألا وهي كون عروسه من أجمل البنات. اسمها "**حَبَّة الزِّين**"، وليست بها أي علة كما ادعى الشيخ. ملأت الفرحة قلب الشاب والأم، فدام الحفل ثلاثة أيام، وبعدها استمرت الحياة، وتنامى الحب بين العروسين.

وفي يوم من الأيام، والشمس على وشك الغروب، طرق باب منزل العروسين، هم حسن بفتحه، فوجد رجلا غريبا لم يسبق له أن رآه من قبل، استفسره عن مراده، فطلب منه الغريب "ضيف الله"، أي استضافته. رحب به حسن وطلب من زوجته أن تعد طبقا من الكسكس، احتفاء بالضيف وإكراما له. لكن الضيف انبهر بجمال "حبة الزين" الذي لم ير مثله. فبدأ يفكر في تدبير مكيدة للزوج من أجل الفوز بها. وفي اليوم الموالي انصرف الضيف وباله مشغول بالتفكير فيما سيفعله للاستيلاء على زوجة حسن.

مرت أيام وعاد الضيف إلى زيارة حسن، وقد جلب معه قطيعا من الجمال، والخيل، والبقر، وقال:

– يا حسن إن هذا كله لك. فأجابه حسن مشدوها:

– من أين لي هذا؟ ما هذه المزحة؟. فأجابه الضيف مبددا اندهاشه:

– إن والدك كان شريكا لي في التجارة، وهذه حصتك من الشراكة.

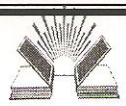

لكن حسن لم يقتنع بالأمر بدعوى أن والده لم يخبره بشيء عن هذه الشراكة وهو على فراش الموت، فطلب من الضيف استشارة أمه.

قصد حسن والدته واستفسرها، فأجابته قائلة:

– لم يسبق لوالدك أن أخبرني بأنه شريك أحد، لذلك كن حذرا من أن تأخذ ما ليس لك.

لذا قرر حسن أن يرفض ما عرضه عليه الضيف. ولما كانت الشمس على وشك الغروب، طلب الضيف من حسن أن يسمح له بالمبيت، كل هذا ونفسه تسول له بخطف "حبة الزين".

قبل الزوج استضافته، وقد أعدت لهما الزوجة وجبة العشاء، ومن دون أن ينتبه الزوج أخرج الضيف عشبا مخدرا، ودس منه في جهة الزوج. وبمجرد ما شرعا في الأكل، أحس الزوج بثقل رأسه، ثم أغمي عليه، آنذاك قام الضيف مسرعا واختطف "حبة الزين"، وتوجه إلى دياره.

ولما استفاق الزوج من إغمائه، لم يجد في البيت غير أمه التي كانت تبكي، وسرعان ما اكتشف الشرك الذي وقع فيه، وبعد أن استرجع قواه من وقع الصدمة، أخذ يفكر في حل لاستعادة، زوجته.

لجم الزوج فرسه، ليخرج للبحث عن أعز أصدقاء أبيه بعدما نصحته أمه بذلك، من أجل طلب يد العون. فأخذ يتساءل كيف السبيل إلى هذا الصديق المجهول؟. أمرته والدته بملء أحد طرفي "إِغْرَيْنَنْ"(*) أي الأكياس التي توضع فوق ظهور الدواب، بخبز الشعير، والطرف الآخر بخبز القمح، ثم ينطلق في رحلة البحث، وفي طريقه سيلتقي بأناس سيشتهون أكل ما

---

* – إِغْرَيْنَنْ: كلمة بالأمازيغية، وتسمى بالعامية المغربية: لُخْرَاجْ، وهي تعني تلك الأكياس المصنوعة من نبات الحلفاء، وتوضع فوق ظهر الدواب لحمل الأمتعة.

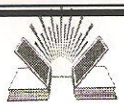

بـــ"إِغْرَيْنَنْ"، فمن طلب خبز القمح فهو ليس صديقا لأبيه، ومن طلب خبز الشعير، فهو الصديق الحقيقي لوالده.

عمل حسن بنصيحة والدته، وفعلا التقى بأناس كثيرين، إلى أن صادف رجلا طلب منه أن يعطيه من خبز الشعير، فسر كثيرا لأنه وجد صديق والده، فحكى له ما وقع له. فسارا معا للبحث عن "حبة الزين". وجالا المدن والقرى بحثا عن الزوجة دون جدوى، وبينما هما منهمكان في البحث، التقيا راعيا فوصف له الزوج خاطف زوجته، وحكى له القصة بأكملها، فدلهما الراعي على مكانها، بعدما أخبرهما بأن مختطفها ادعى أنها زوجته، وبأن "حبة الزين" منذ أن وصلت لم تنبس ببنت شفة، بالرغم من كل المحاولات التي قام بها مختطفها لكي يجعلها تتكلم، قد أحضر لها السحرة والكهنة، وقدم لها جميع وسائل الإغراء، إلا أنها أبت التكلم مع أي أحد. و انتشرت أخبارها في المنطقة بأسرها، فباتت لغزا محيرا.

انطلق حسن ورفيقه العجوز مسرعين تجاه منزل الغريب الذي اختطف الزوجة، وقررا أن يتقمص الشيخ شخصية فقيه أوتي الحكمة في معالجة الصم البكم، بينما يقوم الزوج بدور المساعد، ولما وصلا إلى المنزل تنكر الشاب والعجوز كما خططا لذلك، وطرقا باب المحتال ففتح لهما، وأخبراه بأنهما سمعا بقصة زوجته المريضة، فجاءا بغية معالجتها.

رحب الزوج المزعوم المحتال بالضيفين وأدخلهما بيت الضيافة، ثم أخذ يتجاذب أطراف الحديث معهما، وأخذ يحدثهما عن ممتلكاته الكثيرة ويفخر بما لديه من ثروة لا تعد ولا تحصى، وأنه يملك فضلا عن ذلك جملين نادرين، فقال:

- إني أمتلك جملين نادرين، أحدهما يستطيع أن يقطع مسافة ثلاثة أيام في ساعة واحدة، أما الثاني فأسرع وأخف، إذ بمقدوره أن يقطع مسافة سبعة أيام في ساعة واحدة.

واستمر المحتال في سرد حكاياته، كل هذا والشيخ وحسن ينصتان له بتركيز شديد، إلى أن أخذ يعرض عليهما قصة "حَبَّة ٱلزّينْ" قائلا:

– منذ أن تزوجتها، وهي ممسكة عن الكلام، وتصدني عن الفراش، فأتيت بأشهر الفقهاء والسحرة، ولكن لم يستطع أحد حل المشكلة، واكتشاف علتها. قاطعه الشيخ قائلا:

– لا تخف، كل شيء سيكون على ما يرام، وسوف تعود زوجتك على الصورة التي تشتهيها نفسك.

فرح المحتال، ووعدهما بمجازاتهما، وإغداق النعم عليهما، إن استطاعا معالجتها. فقام لتوه، وأحضر "حَبَّة ٱلزّينْ"، وما إن رأت زوجها أصابتها الدهشة، وكادت تصرخ من شدة الفرح، لكن حسن أومأ إليها بإشارة خاطفة لالتزام الصمت، ثم شرع الشيخ في رسم بعض الطلاسم على ظهر ورقة، ــ من دون أن تكون لتلك الخطوط أي معنى ــ وأمر المحتال بأن يضع الورقة في يد "حبة الزين" لتشفى.

وما أن وضعت الورقة في يدها، حتى شرعت الزوجة في الكلام، فعمت الفرحة أرجاء المنزل، وطلب المحتال من الضيفين اشتراط كل ما يريدانه، فطلبا أن يشاركا بقية الأسرة تناول طبق شهي من الكسكس، فأمر المحتال والدته بتهييء الكسكس، لكن "حَبَّة ٱلزّينْ" فهمت خطة زوجها والشيخ، فقامت لإعداد الكسكس بنفسها، لكي تنتقم من المحتال وتضع له العشب المخدر في الجهة التي سيأكل منه، وفعلا نجحت الخطة. سارع الثلاثة بامتطاء أحد الجملين النادرين، ومضوا في طريق العودة للمنزل.

وحينما استفاق المحتال، حكت له أمه ما حدث، فسألها:

– أي الجملين امتطوا؟. أخبرته بأنهم سرقوا الجمل البطيء فقرر اللحاق بهم.

أخذ المحتال الجمل السريع، وخرج في اقتفاء أثرهم، لكن الشيخ الذي كان يراقب الطريق من حين لآخر، رأى المحتال يقترب من مكان استراحتهم، فاقترح على حسن وزوجته متابعة السير، بينما يبقى هو، ويخدش وجهه ومناطق من جسده، ويتظاهر أمام المحتال بأنه ضحية رجل وامرأة مرا من أمامه على متن جمل، نفذ الشيخ خطته، ولما رآه المحتال طريحا مطليا بالدم، سأله:

– من الذي فعل بك هذا؟. فأجابه الشيخ:

– لقد كنت ضحية رجل وامرأة مرا من هنا، وقد تركا المكان قبل قليل. قال المحتال غاضبا:

– اركب ورائي، فإن عدوك هو عدوي، يجب أن نثأر لما حل بنا.

ركب الرجل خلف المحتال، وفي لحظة شرود من المحتال، أخرج الشيخ سكينا من تحت جلبابه وطعنه في ظهره فأرداه قتيلا، ثم واصل مسيره إلى أن لحق بصاحبه فأخبره بما حل بالمحتال.

وبينما هم في طريق العودة، مروا بأحد الأسواق، فخطر ببال حسن أن يبيع الجمل البطيء لكي لا يعرقل سيرهم، ويحتفظ بالسريع. نزل حسن من على الجمل وترك "حبة الزين" على متنه، وطاف بها أرجاء السوق، فأخذ الناس يساومون الجمل، ومنهم من بهره جمال الزوجة، فاجتمعوا حول حسن وزوجته، فبدأ أحدهم يستفسر عن ثمن الجمل، ولما اتفقا على القيمة الواجب أداؤها، قال المشتري:

– "أَنَا غَادِي نَشْرِي ٱلْجْمَلْ أُو مَا حْمَلْ"، أي شراء الجمل والزوجة، ومن دون أن ينتبه حسن *لقوله أجابه*:

– نعم بالطبع.

تمت الصفقة، وذهب الزوج ضحية تسرعه، وقد حاول عبثا الاحتجاج على ذلك، مبلغا المشتري نيته في بيع المطية دون الممتطي، لكنه لم ينجح في ذلك أمام شهادة الشهود الذين حضروا الصفقة.

ذبح الجمل لأن المشتري كان جزارا، أما "حبة الزين" فقد أخذها إلى منزله. أخذ حسن والشيخ يفكران في كيفية استعادة "حبة الزين"، ووعد حسن بأن يكافئ الشيخ إن استطاع إنقاذ زوجته. فذهب الشيخ رفقة حسن إلى الجزار الذي أخذ الزوجة، فوجدا عنده رأس جمل معروض للبيع في المزاد العلني، فما زال الناس يتزايدون في ثمنه حتى اقترح الشيخ ثمنا خياليا، وقد قال للجزار:

– " أَنَا غَادِي نَشْرِي رَاسَكْ"، أي سأشتري رأسك. وقد رد الجزار أمام الملأ دون تفكير:

– وأنا قبلت بيعك رأسي. ولما أعطاه الشيخ الثمن المتفق عليه، أراد الجزار تقديم رأس الجمل في المقابل، لكن الشيخ رفض ذلك وأخبره بأنه اشترى رأسه وليس رأس الجمل، وهكذا اضطر الجزار إلى التنازل عن " حَبَّة الْزِّينْ " مقابل رأسه.

آنذاك شكر الزوج لصديق أبيه الراحل صنيعه، مذكرا إياه بأنه سيكون تحت إمرته كلما أراد ذلك. ثم ذهب كل منهما إلى حال سبيله.

مرت سنوات وسنوات، وقد رزق الله حسن ثلاثة أبناء، وذات يوم فكر الشيخ في امتحان حسن، إن كان وفيا لعهده، فأرسل زوجته عند حسن، مدعية بأنه مصاب بداء خطير، وأن الأطباء نصحوه بشرب دماء الأطفال الصغار، لذا لا بد وأن تقدم أطفالك لكي يشرب دماءهم.

كان وقع الطلب بمثابة الصاعقة على الزوج والزوجة، لكنهما لم يستطيعا مخالفة القدر، والنقض بعهدهما. في جو من الحزن والخوف سلما أبناءهما الثلاثة لزوجة الشيخ، وقلبهما يتمزق حزنا.

مرت سنوات عديدة، وكبر الأطفال الثلاثة، واشتد عودهم، وتعلموا الحكمة والنباهة من الشيخ الحكيم، وأخبرهم قصته مع والدهم، وقرر أخيرا بأن يعيدهم إلى أبويهم الحقيقيين بعدما اطمأن عليهم، وقد تأكد له وفاء حسن وإخلاصه في وعده، فذهبوا جميعا عند حسن و"حَبَّة الزِّينْ"، ولما شاهد الأبوان الشبان الثلاثة وأخبرهم الشيخ الحقيقة، سر حسن وزوجته كثيرا، فأقاموا حفلا كبيرا، وعاشوا في سعادة وهناء." خَبِّيرْتِي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ وْأَنَا بْقِيتْ مَعَ لَجْوَادْ."[49]

إن الدور الذي أنيط للمرأة في هذه الحكاية لا يخرج عن تجسيده لصورة الوفاء والإخلاص والصبر، فـ" حبة الزين"، هي صورة المرأة الجميلة اللطيفة ذات السمات الإيجابية، التي تسعى جاهدة للحفاظ على شرفها، والعمل على طاعة ولي أمرها وتلبية رغباته، ومحاولة الحفاظ على الوعد وكلمة الشرف، مهما كلف ذلك من ثمن.

الحكاية الرابعة

أما حكاية "**شُبّ ٱلْحَيَاةْ**" فهي أيضا تدخل في إطار الحكايات التي تعرض لصورة المرأة الجميلة التي يهواها الرجال، ويتخطون جميع الصعاب من أجل الزواج بها، لكنها بدورها تعمل على الحفاظ على وعدها لحبيبها الأول، فتتمنع عن كل من يحاول المساس بشرفها، بالرغم من كل الإغراءات التي تقدم إليها. وقد رواها لي السيد الصحراوي لحسن بن محمد الصحراوي الذي سبق وأن أشرنا إليه، وحكايتنا هي:

"كان يا ما كان في قديم الزمان، ملك رزقه الله سبعة أبناء، وكان كلما تنجب زوجته ابنا، أنجبت له بغلته مهرا، ولما كبر أبناؤه أعطى لكل منهم الحصان الذي كان في سنه، ماعدا ابنه الصغير وكان اسمه أحمد، فلم يشأ أن يمنحه حصانه، بل خبأه في مكان بعيد من ضيعته،

---

[49]- الصحراوي لحسن بن محمد الصحراوي، من مواليد 1938، بمدينة طاطا.

وقدم له حصانا عاديا، وكان كلما كبر أحمد إلا وازداد حسنا وبهاء، وكان شبان القبيلة يغارون منه لحدة ذكائه وكثرة جماله، أما إخوته فكثيرا ما حاولوا التخلص منه أثناء ذهابهم للصيد، لأنه كان يصطاد أكثر مما يصطادونه، لكنهم لم يفلحوا في ذلك لأنه كان شديد الحرص والحذر. وقد طلب من والده أن يتركه ليذهب لتعلم المبارزة على يد أحد المبارزين المشهورين، ولما عاد من تدريبه، أصبح بطلا لا يهزم، فاشتدت غيرة الشباب، خاصة وأن كل فتيات القبيلة كن يحلمن به زوجا، فقرر الشبان، باتفاق مع إخوته، أن يذهبوا عند عجوز لتشير عليهم بطريقة للتخلص منه. وافقت العجوز، وطلبت منهم مهلة، لتدبير خطتها.

وفي يوم من الأيام خرج أحمد للصيد رفقة إخوته، وجلب طرائد كثيرة، في حين أن إخوته لم يظفروا بأي شيء، فطلبوا منه أن يعطيهم قليلا مما اصطاد لأنهم خجلوا من أن يرجعوا إلى القصر بخفي حنين، فوافق على ذلك بشرط أن يعطيه كل واحد منهم أصبعا، فاضطروا لقبول شرطه لكي يحفظوا ماء وجوههم.

ولما عادوا توجهوا لمقر العجوز ليستخبروا عما وصلت إليه، فوعدتهم بأنها ستجعل أحمد يبتعد عنهم غدا وإلى الأبد، وفي الصباح الباكر خرج أحمد كعادته يتجول في أرجاء القبيلة، فأوقفته العجوز وقالت له:

- إنك جميل وقوي ووالدك لديه المال الوفير، إذا لماذا لا تتزوج؟. قال لها:

- أنا لم أفكر بعد في الزواج. فقالت له:

- اذهب واسأل والدك فإذا وافق على تزويجك عد إلي.

ذهب أحمد عند والده وفاتحه في الأمر، فأجابه:

- اختر يا بني من بنات الملوك والأمراء من تريد وأنا مستعد لأزوجها إياك.

رجع أحمد عند العجوز فأخبرها بما قاله والده، فقالت له:

– أنت أجمل من هؤلاء كلهن لذلك أنصحك بالبحث عن"شُبُّ ٱلْحَيَاةُ" فهي من أجمل خلق الله، وهي الفتاة التي تلائمك.

ذهب أحمد عند والده بعدما أغرته العجوز بجمال "شب الحياة"، فأصر على الخروج للبحث عنها، رغم محاولة الملك منعه، لأنه يعلم جيدا هول المخاطر التي سيواجهها، ومع إصراره، أمر الملك حراسه بأن يحضروا له الحصان الذي كان مخبأ، فلما ذهبوا لم يستطيعوا وضع اللجام له لأنه كان قويا، فذهب أحمد وعاين الحصان، وكان حصانا جميلا وقويا، لم يسبق له أن رأى مثيلا له، وبمجرد اقترابه منه أطاعه وأخذ يشتم رائحته. وقبل خروجه في رحلته أهداه الملك جوهرة ثمينة، وأمره بأن يقدمها "لشب الحياة" لكي تقبل به زوجا. خرج أحمد بعد أن ودع والده وإخوته الستة، وبينما هو في طريقه، التقى جماعة من الناس يستقون الماء، وهم يتدافعون من أجل ذلك، فطلب منهم أن يسمحوا له بملء إنائه لكي يشرب ويتوضأ، رفضوا تلبية طلبه لكنه أصر، فملأ الإناء رغما عنهم وشرب، وأروى حصانه، وتوضأ، وصلى. ولما انتهى من الصلاة، توجه نحو أحدهم وقال:

– لماذا تتزاحمون بهذه الطريقة على الماء؟. فأجابه:

– إن هذه العين يحرسها عفريت، وهو يفتحها مرة كل عام ويسمح لنا بأخذ ما نحتاجه من ماء.

قرر أحمد أن يساعد أولئك القوم، ولما غابت الشمس، حضر العفريت ليغلق العين، خرج إليه أحمد ومنعه من فعل ذلك، فشرعا في المبارزة، حتى تعبا، فاقترح أحمد أن يرتاحا قليلا وبعد صلاة الفجر يستمرا في المبارزة. توضأ أحمد وصلى، وأخذ يطلب الله أن يمده بيد العون، واستمر في صلاته، إلى أن أشرقت الشمس، تأخر العفريت عن الحضور، فذهب أحمد لإيقاظه، ولما وصل وجد امرأة خارقة الجمال، لها شعر طويل افترشت نصفه، وتغطت

بالنصف الآخر. ناداها أحمد، فاستجمعا قواهما، وعادا للمبارزة مرة أخرى، ولكن هذه المرة أسقطها على الأرض، وطلبت منه العفو ووعدته بأن تترك العين على حالها، وطلبت منه أن يتزوجها، لكنه رفض وقال:

– أنا ذاهب للبحث عن " شُبْ ٱلْحَيَاة "، فهي المرأة التي سأتزوجها.

حاولت العفريتة منعه، لكنها لم تفلح في ذلك، ومع إصراره قالت له العفريتة:

– خذ هذا السيف فإنه سيساعدك في مهامك. ووعدته بأنها ستنتظره أمام العين إلى حين عودته، وبأنها ستسمح لكل من يأتي إلى المكان للسقي، لأنها لن تغلق العين مرة أخرى.

شكرها أحمد وودعها، وانطلق في رحلة البحث. وبعد مسير عدة أسابيع، وجد في طريقه ثلاثة رجال جالسين في بستان من أجمل البساتين التي رآها أحمد، ألقى عليهم التحية، فردوا عليه بمثلها، ودعوه للجلوس. عرفهم بنفسه، وحكى لهم قصته، فقال لأحدهم:

– ما اسمك أنت؟. أجابه:

– أنا سَلَّاكْ ٱللَّحْيَة مَنْ ٱلسَّدْرَة، وقال للآخر:

– وأنت؟. قال له:

– أنا فَهَّامْ ٱلطُّيُور، وقال للثالث:

– وأنت؟. أجابه: أنا غَطَّاسْ ٱلْبْحُور.

فهم من كلامهم أنهم رجال لهم قوى خارقة، فأعجب بهم وأعجبوا به، لأنه مصر على اختراق المصاعب من أجل الحصول على ما يريد، فقالوا له:

– إن بهذه الشجرة التي أمامنا أربع فروع، فليختر كل منكم فرعا ليسمى باسمه، وإذا ما افترقنا، وأراد أحدنا معرفة أحوال الآخرين فليعد إلى هذه الشجرة، وإذا ما رأى فرع أحدنا قد

ذبل، فليعلم أنه في خطر، ومن ثم يبحث عنه لينقذه.اتفق الأصدقاء الأربعة على الأمر، وانصرف كل منهم إلى حال سبيله.

وبعد مسير سبعة أيام، رأى أحمد أضواء على مسافة بعيدة، ولما اقترب منها، وجد قصرا كبيرا محاطا بأسوار ضخمة، وانتظر إلى الصباح، وبينما هو يتأمل القصر، رأى فتاة جميلة تطل من إحدى الشرفات، فعرف للتو بأنها "شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، ولما انتبهت إليه، استغربت وقالت في نفسها:

– ماذا يفعل هذا المتسول في هذا المكان، إنه لا يعرف خطورة الموقف الذي وضع فيه نفسه، لو وجده هنا إخوتي الأربعون لقطعوه إربا إربا.

أرثت لحاله، فنادت وصيفتها الوفية، وأعطتها عدة جواهر، وأمرتها بأن تعطيها لذلك الغريب وتأمره بالانصراف لكي لا يعرض نفسه للهلاك. فعلت الوصيفة ما أمرتها به سيدتها، فشكرها وأخرج من جيبه الياقوتة التي أهداه إياها والده، وأمرها بأن تهبها لسيدتها. أخذت الوصيفة الجوهرة، وقدمتها لـــ" شُبْ ٱلْحَيَاةْ "، فاستغربت فعله، وعرفت بأنه شخص نبيل، لأن تلك الجوهرة نادرة لا يملكها إلا الأمراء.

ذهبت "شُبْ ٱلْحَيَاةْ" إلى حديقة القصر وأرسلت له غزالا، ولما أمسك أحمد بالغزال شق بطنه، وأخرج منه الكبد، وأعاد لها الغزال، ولما رأت ذلك فهمت أنه يريد الزواج منها. فأمرت وصيفتها وقالت لها:

– اذهبي واخبريه بأنه إذا ما رأى غبارا في السماء فليعلم بأن إخوتي قادمون، ثم قولي له اطلب منهم استضافتك لكي لا يؤذوك.

فعلت الوصيفة ما أمرت به، فشكر أحمد صنيعها، وأخذ ينتظر قدوم الإخوة. ولما أوشكت الشمس على المغيب، رأى غبارا كثيفا في السماء، ما هي إلا لحظات حتى رأى رجالا كثرا

على أحصنتهم، فتوجه نحوهم، وألقى عليهم التحية، وطلب منهم استضافته، فرحبوا به وادخلوه إلى القصر، ولما جلسوا حول مائدة الطعام، وجدوا بها واحدا وأربعين صحنا بدل أربعين صحنا. فاستغربوا كيف علمت أختهم بوجود غريب بينهم، فأكلوا وشربوا، وبدأوا يتجاذبون أطراف الحديث، ففهم أحمد بأنهم يخوضون حربا. وطلب منهم مساعدتهم، سخروا منه في الوهلة الأولى، لكنهم قرروا أن يأخذوه معهم لكي يتأدب.

وفي الصباح الباكر، توجهوا إلى معركة القتال، وفي مدة قصيرة استطاعوا هزيمة أولئك القوم. فاستغرب الإخوة وفهموا بأن السر يكمن في أحمد.

عادوا إلى القصر، وفي اليوم الثالث سألوا أحمد عن سبب زيارته لهم، فقال:

– أريد الزواج بأختكم " شُبّ ٱلْحَيَاةْ ". استغربوا لجرأته، فلم يعجبهم ذلك، وأرادوا قتله، وقال كبيرهم:

– سنناقش الأمر ونجيبك.

وفي اليوم الموالي طلبوا منه مرافقتهم للصيد، ولما أخذوه إلى مكان بعيد أرادوا قتله، لكنهم لم يستطيعوا فتبارزوا إلى أن قتلهم جميعا، وعاد إلى " شُبّ ٱلْحَيَاةْ "، فأخبرها بما حدث، فأخبرته بأنها كانت تعرف ما سيحدث، فصارحها بحبه لها، وطلب الزواج منها فوافقت على ذلك، وقررا العودة إلى موطنه ليقيم عرسا لا مثيل له.

كان يفصل بين قصر " شُبّ ٱلْحَيَاةْ " و قصر حاكم جائر يدعى " ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ"، نهر كبير. ولما علم بوفاة إخوة "شُبّ ٱلْحَيَاةْ"، قرر اختطافها ليتزوجها وينتقم لنفسه لأنه سبق وأن رفضه الإخوة. لذلك أرسل جيشا كبيرا لإنجاز المهمة، إلا أن أحمد كان لهم بالمرصاد، فرجع من نجا منهم خائبا، وأخبره بقوة ذلك البطل، فأعاد المحاولة عدة مرات، إلا أنه كان ينهزم كل مرة. فأذاع بين قومه، أنه من استطاع أن يجلب له " شُبّ ٱلْحَيَاةْ "، فإنه سيمنحه كل ما يريد.

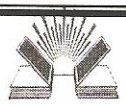

وصل نبأ المكافأة إلى عجوز شمطاء، فتوجهت نحو قصر الملك وأخبرته بأنها ستنفذ رغبته، بشرط أن يمهلها ثلاثة أيام، فأرسل معها من يوصلها إلى قصر "شب الحياة"، ولما وصلت، كانت ترتدي ملابس رثة، فطلبت من الحراس مقابلة صاحبة القصر، فلما رأتها "شب الحياة"، أرثت لحالها وأدخلتها إلى القصر، وطلبت من وصيفاتها الاهتمام بها، وإطعامها، وفي مساء اليوم الثالث، توجهت "شب الحياة" إلى العجوز وبدأت تروي لها قصتها مع أحمد، كل هذا والعجوز الشمطاء تفكر في حيلة تمكنها من القضاء على أحمد، فقالت:

– كيف تمكن أحمد من هزيمة كل هؤلاء؟ لا بد وأن في الأمر سرا؟. قالت " شُبّ ٱلْحَيَاةْ":

– أنا لا أعلم شيئا فأحمد لم يخبرني بشيء. قالت العجوز:

– كيف يقول بأنه يحبك وهو يخفي عنك أمرا بهذه الخطورة، اسأليه لكي تتمكني من معرفة الحقيقة. واصلتا الحديث، والقيل والقال، إلى وقت متأخر من الليل، ولما توجهت "شُبّ ٱلْحَيَاةْ" نحو غرفة أحمد، تبعتها العجوز من دون أن يراها أحد، فبدأت تتلصص عليهما، فسألت " شُبّ ٱلْحَيَاةْ " أحمد:

– لماذا لم تخبرني كيف استطعت هزيمة إخوتي، وأولئك الجنود الذين أرسلهم "ٱلْمَلِك لَصْلَعْ"؟.

أجابها قائلا:

– لا داعي للحديث عن هذا الآن. ألحت "شُبّ ٱلْحَيَاةْ" مرددة:

– إذا كنت تحبني فعلا، فاخبرني ما السر في ذلك؟ لم يجد أحمد ما يقوله، فردد قائلا:

– إن السر يكمن في السيف الذي أهدته لي الجنية التي أخبرتك عنها، فإذا فقدته فسوف أهلك. شكرت "شُبّ ٱلْحَيَاةْ" أحمد لأنه وضع ثقته فيها، وأخذا يتبادلان أطراف الحديث إلى أن خلدا للنوم. أما العجوز الشمطاء، وبعد سماعها كل شيء، دخلت الغرفة خلسة، وسرقت السيف،

وخرجت متسللة من القصر، وألقت بالسيف في البحر، ثم عادت إلى "ٱلْمَلِك لَصْلَعْ"، فأخبرته بكل ما حدث، وأمرته بأن يرسل جيشه لإحضار "شُبّ ٱلْحَيَاةْ".

فعل الملك ما أمرته به العجوز، ولما وصل الجنود إلى القصر استفاق أحمد على وقع السيوف، ولما بحث عن سيفه لم يجده، فأغمي عليه من وقع الصدمة، أما الجنود فقد اختطفوا "شُبّ ٱلْحَيَاةْ"، وقادوها إلى "ٱلْمَلِك لَصْلَعْ".

ولما وصلوا رحب الملك بها، وأحضر لها كل غال ونفيس، وطلب الزواج منها، لكن "شب الحياة" سكتت عن الكلام، ولم تنبس ببنت شفة، فأحضر لها السحرة والكهنة لعلاجها، لكنهم لم يفلحوا في ذلك، هذا ما كان من أمر "شب الحياة"، أما أحمد، فهو الآخر هام على وجه الأرض وأخذ يفكر في حل لمشكلته، لكن دون جدوى.

وبينما هو على هذه الحال، كان أصدقاؤه الثلاثة، "سَلَّاكْ ٱللَّحْيَة بَٱلسَّدْرَة" و"غَطّاس ٱلْبُحُور" و"فَهّامْ ٱلطُّيُور"، قد عادوا إلى الروضة التي التقوا بها أول مرة، فلما وجدوا غصن أحمد قد ذبل، قرروا الذهاب للبحث عنه وإنقاذه، وبينما هم في طريق البحث عنه، وجد "فَهّامْ الطُّيُور" سربا من الحمام في طريقه، فسأل قائدهم:

- ألم تر شابا هائما على وجه الأرض؟. فأجابه:

- لا لم أر أحدا، لكن إذا أمهلتني بضع دقائق سآتيك بالخبر اليقين.

طار قائد الحمام بعيدا، وبعد برهة عاد ومعه أخبار أحمد، وهكذا سار الأصدقاء الثلاثة في الاتجاه الذي أخبرهم به قائد الحمام، بعد أن شكره "فَهّامْ ٱلطُّيُور"، لأنه الوحيد الذي يفهم لغته.

وبينما هم في طريقهم وجدوا أحمد هائما لا يدري ما يفعل، فعانقوه وبكوا كثيرا، فأخبرهم بما جرى له، وأخبره "غَطّاسْ ٱلْبُحُور" بأنه قادر على إعادة سيفه، فتوجهوا نحو النهر العميق، فغطس "غَطّاسْ ٱلْبُحُور"، وبعد مدة وجيزة صعد وبيده السيف السحري، ولشدة فرحته، أخذ

يلوح بالسيف، فطار من يده عاليا، فسقط في سدرة كبيرة كانت أمامه، لكن "سَلَّاكْ ٱللَّحْيَة بِٱلسَّدْرَة" تبسم، ودخل في تلك السدرة غير مبال بأشواكها المتشابكة، فأخرج السيف بسهولة، وقدمه لأحمد.

فرح أحمد كثيرا وشكر لهم صنيعهم، وودعهم مرة أخرى، وركب الباخرة التي تغادر إلى بلاد "ٱلْمَلِك لَصْلَعْ" من دون أن يفصح عن هويته، ولما وصل إلى المكان المقصود، جال في أرجاء البلاد، فسمع الناس يتحدثون عن "شب الحياة"، وعن مرضها الذي عجز الأطباء والسحرة عن إيجاد دواء له.

فكر أحمد كثيرا في حيلة يستعيد بها " شُبّ ٱلْحَيَاةْ "، فقصد نجارا، وقال له:

- أتريد أن تكون حاكم هذه البلاد؟. ضحك النجار المسكين وقال:

- أتسخر مني أيها الغريب، لا بد أنك لم تسمع ببطش " ٱلْمَلِك لَصْلَعْ "؟. أجاب أحمد قائلا:

- بلا. ولكن سمعت بأن الفتاة التي يرغب الزواج منها مريضة، وأن من يشفيها سينال كل ما يطلبه، وأنا أستطيع أن أدلك عن طريقة لمعالجتها، لكن بشرط، أن تسمع كلامي بالحرف الواحد، ومن ثم سأجعلك حاكم هذه البلاد.

وعد النجار أحمد بأن ينفذ كل أوامره، فأمره أحمد بأن يرسل والدته إلى الملك، فتخبره بأنها تستطيع معالجة "شب لحياة"، فإذا ما سمح لها بالدخول، تقدم هذه الجوهرة لـــ" شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، فإنها ستتكلم، وحينما يريد الملك مكافأتها، تطلب منه أن يسمح لك بصنع أجود أثاث بمناسبة زواجه بـــ"شُبْ ٱلْحَيَاةْ".

وافق النجار على كل ما طلبه منه أحمد، وفي الصباح الباكر، أخذت الأم من أحمد الجوهرة وتوجهت لتنفيذ المهمة المنوطة بها. ولما رأت " شُبْ ٱلْحَيَاةْ " الجوهرة فهمت أن أحمد مازال على قيد الحياة، وبأنه يعمل على إنقاذها، ففرحت كثيرا وأخذت تتكلم.

فرح الملك كثيرا، وكافأ والدة النجار، ونفذ كل ما طلبته، وأخذ يستعد لإقامة عرس كبير لم تشهده البلد من قبل. أما النجار فصنع كل ما أمره به أحمد، ولما انتهى من ذلك، اختبأ أحمد في إحدى الخزائن، وأمر النجار أن يأخذ الأغراض إلى القصر، وأن توضع في غرفة "شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، ولما كان الجميع منشغلا بالتحضير للعرس، سمح للنجار بالدخول من دون تفتيش. أما أحمد فبمجرد أن سمع كلام "شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، واطمأن بأن لا أحد يراه، خرج من مخبئه وعانقها، وأخبرها عن الذي جرى له، ففرحا كثيرا، وبقي في غرفتها إلى أن قدم إليها "ٱلْمَلِك لَصْلَعْ"، فأخرج أحمد سيفه وقطع رأسه ووضع الجثة في صندوق، ورمى به في النهر، فارتدى ملابس الملوك و خرج رفقة "شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، متوجها نحو شعبه الذي كان ينتظره للاحتفال بزفافه، فلما رأوه وقد تغير شكله، أخبرهم أحمد مبددا اندهاشهم:

– يا قوم أنا ملككم، فبمجرد أن قبلت "شُبْ ٱلْحَيَاةْ" عدت عشرين سنة للوراء، وأنتم الآن ترون بأنني عدت أقوى من ذي قبل، لذا يجب أن تقدموا لي الولاء والطاعة.

فحياه الجميع، وقبلوا الأرض التي يقف عليها، فاسترسل في الكلام قائلا:

– سأذهب رفقة زوجتي في رحلة طويلة، وسأترك مسؤوليتكم لهذا النجار الشجاع، ووالدته التي استطاعت أن تشفي "شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، لذا يجب أن تطيعوهما و إلا نلتم ما تستحقون. ردد الجميع:

– السمع والطاعة يا مولاي الملك.

غادر أحمد المدينة رفقة "شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، بعدما أوفى بالوعد الذي قطعه للنجار، وودعه قومه ووعده النجار بأنه سيكون حاكما عادلا. ولما وصل أحمد إلى قصر "شُبْ ٱلْحَيَاة"، جمع أغراضه واستمر في رحلة العودة برفقة زوجته.

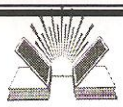

وفي طريقه مر بأصدقائه الثلاثة، فرآهم جالسين في الروضة، فسلم عليهم وشكرهم مرة أخرى، وعرفهم على زوجته "شُبْ ٱلْحَيَاةْ"، وودعهم واستمر في رحلته، وبينما هو في طريقه، وصل إلى عين الماء، فوجد الجنية في انتظاره، وأصرت على مرافقته، ووعدته بأن تكون وصيفة وفية لـــ"شُبْ ٱلْحَيَاة"، فعانقتها " شَبْ ٱلْحَيَاةْ " وقررت بأن تكون صديقتها الوفية.

ولما وصل أحمد إلى أرض والده، سألته العفريتة عن المكان الذي يرغب أن تبني له به قصره الخاص، فلما وصل مسجدا، أمرها أن تبني له بالقرب منه قصرا لم ير له مثيل. ففعلت الجنية ما أمرت به، وفي الفجر نهض الفقيه ليأذن للصلاة، ولما شاهد ذلك القصر الذي لم ير مثله من قبل بدل أن يقول: الله أكبر، أخذ يردد:

- الله ينصر ما أصبح!.

سمع الناس كلامه ولما خرجوا شاهدوا بأم أعينهم ما لم يشاهدوه من قبل، وصل الخبر إلى الملك، وأخذ جنوده وخرج يتحقق الأمر، ولما وصل إلى القصر، رحب به الحراس وأدخلوه، ولما رأى أحمد سقط مغشيا عليه، ولما استفاق أخذه بين ذراعيه، أما إخوته الستة، فقد ازدادوا غيضا. ولما رأوا زوجة أحمد وجاريتها العفريتة، أخذوا يلحون على والدهم بأن يطلب من أحمد تزويجه بالعفريتة، ويكتفي هو بـــ " شُبْ ٱلْحَيَاةْ "، كل هذا لينشب صراع بين أحمد وأبيه ويستفيدوا هم في الأخير.

ذهب الملك لزيارة أحمد وطلب منه تزويجه بالعفريتة، ولما رفض أحمد ذلك، غضب منه والده، وعاد إلى قصره، وأرسل جيشا كبيرا ليقضي عليه، لكن أحمد استطاع أن يلحق به هزيمة لا تنسى، فاشتد غضب الأب وأرسل أضعاف مضاعفة من الجنود، لكن دون جدوى.

ولما سمع أحد اليهود بالقصة، ذهب إلى الملك وأخبره بأنه قادر على مساعدته للقضاء على أحمد.

سر الملك كثيرا، ووعد اليهودي بأنه سيغدق عليه العطايا إن هو استطاع بالفعل القضاء على أحمد.

نصح اليهودي الملك بالذهاب عند أحمد وطلب العفو منه، ففعل الملك ما أمر به، فاستعاد أحمد الثقة بوالده، وبعد مرور عدة أسابيع، طلب اليهودي من الملك بأن يأمر أعوانه بذبح عدة أغنام، وأن يضعوا لها الكثير من الملح، فعل الأعوان ما أمروا به، وبعد أن جهز كل شيء، قال اليهودي للملك:

– يجب أن تقنع ابنك بالخروج معي في رحلة قصد معرفة أملاكك، وعدها.

ذهب الملك عند أحمد واستطاع إقناعه بذلك، فخرج أحمد في رحلة مع اليهودي، بعد أن أمر العفريتة بحراسة القصر. وبينما هم في الطريق، أخذ اليهودي يطعم أحمد من لحم الغنم المالح، من دون أن يسقيه ماء، ومرت أيام وهم على هذه الحال، وكانا قد ابتعدا كثيرا عن القصر، أغمي على أحمد، فتركه اليهودي بدون ماء ولا طعام ولا دابة، ولكن لحسن الحظ لم يأخذ أحمد السيف معه في رحلته. هذا من جهة، أما والد أحمد فبمجرد غياب ابنه، أخذ جيشه متجها نحو قصر ابنه بغية الاستيلاء على "شُبّ ٱلْحَيَاةْ" والجنية، لكن هذه الأخيرة كانت له بالمرصاد، وبالرغم من كل المحاولات لم يستطع هزيمتها واقتحام القصر. أما أحمد وبينما هو فاقد للوعي، مر به طائر كبير، فأخذ يصيح بصوت مرتفع إلى أن استفاق، فقال له الطائر:

– تماسك قليلا، فسوف تجد على مسافة قريبة منك، نباتا يعيد لك قوتك.

أخذ أحمد يحبو والألم يمزقه، إلى أن وجد نباتا أخذ يأكل منه، شعر بتحسن، وشكر الطائر لمساعدته. لما استعاد قوته، أراد العودة إلى بلاده، وفي طريقه وجد عجوزا تسكن وحدها، طلب منها المبيت، ووافقت على طلبه، وفي الصباح الباكر وجدها تمخض الحليب، وطلب منها أن تتركه ليساعدها، وفعلا استطاع أن يحصل على زبد كثير، استغربت العجوز لذلك

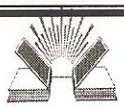

وعرفت بأنه رجل كريم، لأنها هي نفسها لم تكن تحصل على تلك الكمية من الزبد، فطلبت منه أن يحكي لها قصته، روى لها ما جرى له، فأعجبت ببسالته وقوته وصبره، ودلته على طريق العودة، وقد منحته حصانها.

ولما وصل إلى قصره ساعدته العفريتة على الدخول، فأخذ سيفه، وخرج ليساعد الجنية على محاربة والده الذي كان يحيط القصر بكل ما يملك من جنود، وقد استطاع القضاء على كل من وقف في طريقه ابتداء من إخوته، وفي الأخير بقي والده وحيدا، فطلب منه العفو، فعفا عنه أحمد لأنه إنسان نبيل، وهكذا أقام حفلا كبيرا احتفاء بزوجته، وبالنصر الذي ناله، وعاش حاكما عادلا رفقة أصدقائه الأوفياء."[50]

نستنتج من خلال قراءتنا لهذه الحكاية بأنها لا تختلف كثيرا عن الحكايات السابقة، من خلال الدور الذي لعبته "شب الحياة"، فهي تمثل صورة المرأة الأميرة، أو البطلة التي تسعى جاهدة إلى مساعدة البطل، لكي تتمكن في نهاية المطاف من الزواج منه. وقد تجلت هذه المساعدة، في فتح الطريق أمامه للتعرف على إخوتها، وتمكنه من دخول القصر، وكذلك صمتها وتصنعها المرض بين يدي "اَلْمَلِك لَصْلَع"، وذلك للمحافظة على شرفها وعفتها، إلى أن استطاع أحمد مساعدتها.

إن هذه النماذج من الحكايات التي عرضناها، باعتبارها تمثل صورة المرأة البطلة أو الأميرة، هي نماذج تحمل قيما نبيلة تجسدها هذه المرأة، وتعبر عن صورتها النزيهة، وذكائها، وفطنتها، هذه الصورة البعيدة كل البعد عن الانحراف والفساد. وهذا دليل على أن "المرأة تختلف عن الرجل بطبيعتها، فهي خلقت للحب، ولذلك نراها أكثر رقة ووفاء. وفي هذا

---

[50] – الصحراوي لحسن بن محمد الصحراوي، من مواليد 1938، بمدينة طاطا.

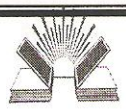

تأكيد على أن إخلاص الحبيبة أقوى من إخلاص الرجل"[51]، لأنها تقوم بمساعدته أثناء خروجه للقيام بالمهمات الصعبة، وذلك بحبها له، وبصبرها، و محافظتها على شرفها وأبنائها. "فالمرأة وفق نظرة الطبقات الشعبية، خلقت من الحب وللحب تعيش، وبه تتنفس."[52] فصورة المرأة الإيجابية، تلخص من خلال قاموس الأخلاق الحميدة، والجمال الفتان، فهذان المعجمان نجدهما بكثرة في تراثنا الشعبي، سواء في الحكاية الشعبية، أم في الملحون، أم في الأمثال. ولعل خير دليل على ذلك قول الشاعر" محمد بن سليمان:

اَلشَّمْسْ مَنْ ضْيَاهَا غَـــــــــــــــارَتْ

وَاللِّي يْكُونْ عَقْلُه ثَابَـــــــــــــــتْ

تَارَا يْقُولْ حَمْـــــــــــــــــــرَا

تَارَا صَفْـــــــــــــــــــــرَا

وْلُونْ فَجْـــــــــــــــــــــرَا

مَا شِي نُقْرَا مَنْ اَلْأَصَلْ مَا هِي مَطْبُـــــــــوعْ

وْلاَ هِي فَخْزِينْ عَنْدْ عُثْمَانِـــــــــــــــي

نْوَرِّيكْ سُومْهَا؟! مَا هِي مَشْرِيـــــــــــــــا

مَنْ جَنَّتْ رَضْـــــــــــــــــوَانْ

هِيَ : " غَرْفَا مَنْ بَحْرْ اَلْتُفَّاحْ " صَافِي مَجْرَاهَا

أَبْهَا وَعْلاَ مَنْ اَلْبَدْرْ يَاقُوتَا مَحْضِيـــــــــــــا

فِي جِيبْ اَلسَّلْطَـــــــــــــــــــانْ

---

[51] – طلال حرب، بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ط. 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999م، ص. 230.

[52]– المرجع نفسه، ص: 231.

وْفَانِي بَـــ: ٱلرْافَا بْلاَ شْمُوعْ رْسَامِي ضْوَاهَـــــــــــا"[53]، بحيث نجد الناظم، يصف جمال المرأة الذي يسلب العقول، "لأن جمال المرأة جمال حسي جنسي، وصورتها عادة تجسد مثال المرأة التي تغوي الرجل، وتسحره بحيث لا يملك بعد رؤيتها زمام نفسه"[54]، كما يتباها بأخلاقها الحميدة التي ليس لها مثيل. ويضيف قائلا في السياق نفسه:

" " اضْوَى مَنْ الْمَصَابَحْ فِي دَاجْ إِلَى كْحَـــــالْ

وَبْهَى مَنْ الثُّرَيَّا تَكْـــــــــــــــــــــدِي

وَبْهَى مَنْ " ٱلْبَدْرْ ٱلْمُبْـــــــــــــــــــدِي "

" عْلَى ٱلْتْمَامْ هَذَا قَصْـــــــــــــــــــدِي " "[55].

أما الأمثال الشعبية المتداولة، والتي ترمز للأخلاق الحميدة للمرأة، وبأنها عماد البيت، ومدبرة أموره، وضامنة شرفه واستمراريته، فهي كثيرة لا تعد ولا تحصى، سنعرض منها النماذج الآتية:

- "لَمْرَا قْفَلْ ٱلْبِيتْ"، أي أن المرأة عماد المنزل، وكاتمة أسراره، فهي تعمل على إسعاد أسرتها، وتنظيم شؤونهم، والسهر على متطلباتهم، موازاة مع دور زوجها.

- "لَمْرَا مْحَالْ ٱلصِّينِيَّة إِلَى حَضْرَتْ حْضَرْ لَعْقَلْ، وِيلاَ غَابَتْ غَابْ "، فهذا المثل دليل على مكانة المرأة داخل الأسرة، وتشبيهها بالصينية رمز لقيمتها، و دليل على خاصيتي المؤانسة والمجالسة التي تتميز بهما، ومن ثم إشباع رغبات الزوج.

---

[53] - أحمد سهوم، المرأة في الملحون، مجلة المناهل: " قضية المرأة III"، عدد 45، سنة 19، صفر 1415 يوليوز 1994، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، صص. 123- 124.

[54] - طلال حرب، بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ط. I، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999م.

[55]- المرجع السابق، ص. 124.

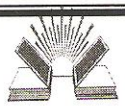

- "إِلَى مَاتْ ٱلْأَبْ وَسَّدْ ٱلرُّكْبَة، وِيلاَ مَاتَتْ ٱلْأُمْ وَسَّدْ ٱلْعَتْبَة"، فهذا المثل كثير التداول في أوساطنا الشعبية، وذلك راجع لما يحمله من قيم ذات أبعاد متعددة، فهو يوضح لنا قيمة المرأة ودورها داخل الأسرة، لأنها تعتني بأبنائها، وتعمل على إسعادهم، حتى وإن غاب زوجها فهي نادرا ما تتزوج، بل تبقى وفية له ولأبنائها، فتعمل على تنشئتهم وتربيتهم تربية حسنة، عكس الرجل الذي لا يمكنه البقاء بدون زواج. زيادة على هذه الباقة من الأمثال التي نقلتها على لسان السيدة شيخي رحمة:

" - ٱلْبَنْتْ مْلِيحَة وْلاَ وَلَدْ فْضِيحَة

- ٱللِّي سْعَدْهَا زْمَانْهَا تْجِيبْ بْنَاتْهَا قْبَلْ وْلَادْهَا

- لَمْرَا عْمَارَة وَخَّا تْكُونْ حْمَارَة

- ٱلْبَنْتْ بْسَبْعَة نْتَاعْ ٱلْحَسَنَاتْ

- أَلِّي وْلَدْ ٱلْوَلَدْ ٱلْأَوَّلْ بَالْفَرْجْ فَرَّجْ ٱللَّهْ عْلِيهْ."[56]

إن هذه الأمثال وغيرها دليل على مكانة المرأة داخل المجتمع، خاصة وإن كانت من أصل طيب، لأنها تعين عائلتها، فلا يمكن الاستغناء عن خدماتها الجليلة، وهي بدورها ستتمكن من إنشاء أسرة صالحة، ومن ثم صلاح المجتمع.

[56]- السيدة شيخي رحمة، من مواليد 1955، القاطنة بمدينة أبركان.

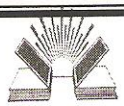

2- صورة شقيقات البطلة وزوجات إخوتها

من الأدوار الأخرى التي أنيطت بالمرأة داخل الحكاية هي دور شقيقات البطلة، ودور زوجات إخوتها، وغالبا ما يبرز هذا الدور الصورة السلبية للمرأة، لأنها تقوم بأعمال شريرة تهدف من خلالها الإساءة للبطلة أو الأميرة، بغية الاستيلاء على منصبها. وهذه الصورة التي سنشاهدها من خلال بعض الحكايات الشعبية، نجدها أيضا في واقعنا المعيش، الذي يضم فئات متعددة من الناس، ومن ضمنهم هؤلاء الحاقدون على الغير، الراغبون في الحصول على كل شيء من غير بذل أي جهد يذكر، ولعل هذه الحكايات تساعدنا على فهم حقيقة هؤلاء، مع محاولة إبراز العواقب التي قد تلحق بهم، لعلهم يعتبرون و يحاولون التغيير من تصرفاتهم من الأسوإ إلى الأحسن.

الحكاية الأولى

حكاية "**شَعْبَة خَضَّارْ**"، وقد حكتها لي التلميذة مركُوم غزلان، من مواليد 1989، القاطنة بمدينة أبركان، وهي:

"كَانْ يَا لَجْوَادْ حَتَّى كَانْ، كانت في إحدى القرى النائية عائلة فقيرة تعيش على رعي بعض المواشي، وكان لهذه العائلة فتاتان، إحداهما شريرة، والأخرى فتاة صالحة، كانت الفتاة الشريرة تكره شقيقتها، وكثيرا ما حاولت التخلص منها، وكانت تفتعل المشاكل لتنال الفتاة الطيبة العقاب مكانها، فتضحك منها.

وفي يوم من الأيام وكعادتهما، خرجتا للرعي، فتعبت الفتاة الصالحة، وكان اسمها "**شَعْبَة خَضَّارْ**"، فطلبت من أختها أن تسمح لها بالاستراحة قليلا، رفضت الأخت الشريرة، ولكن سرعان ما وافقت، وكل هدفها التفكير في حيلة للتخلص منها. وبعد برهة غاصت "**شَعْبَة خَضَّار**" في النوم لأنها كانت متعبة جدا.

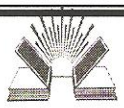

استغلت الأخت الفرصة، فربطت شعر أختها بسدرة كبيرة، وأحكمت وثاقها من دون أن تشعر "**شَعْبَة خَضَّارْ**" بذلك، أخذت الماشية وعادت إلى منزلها، وأخبرت والديها بأن شقيقتها قد هربت بعد أن أخبرتها بأنها ملت من العيش في الفقر. أما الفتاة المسكينة، لما استفاقت من نومها العميق، وجدت الظلام قد حل، فبقيت متصلبة في مكانها من شدة الخوف.

وفجأة! رأت نورا منبعثا من بعيد، فصرخت قائلة:

- "آ دِيكْ ٱلنَّارْ، إِلاَ انْتِ أَنْتَاعْ أَمَّا وَبَّا قَرْبِي قَرْبِي، وِيلاَ أَنْتَاعْ لَغْوَالْ أُو لَهْوَالْ بَعْدِي بَعْدِي." أي إذا كان النور المنبعث هو لأحد أفراد أسرتها فليقترب، أما إذا كان لأحد غريب فليبتعد. فأخذ النور يبتعد شيئا فشيئا، ثم أعادت النداء من جديد قائلة:

- "آ دِيكْ ٱلنَّارْ إِلاَ انْتِ أَنْتَاعْ مَّا وَبَّا بَعْدِي بَعْدِي، وِيلاَ أَنْتَاعْ لَغْوَالْ أُو لَهْوَالْ قَرْبِي قَرْبِي." أي إذا كان النور لأحد أقاربها فليبتعد، أما إذا كان لأحد الغرباء فليقترب. وهكذا أخذ النور يقترب منها شيئا فشيئا، فأخذت ترتجف من الخوف، ولما تمكن لها مشاهدة صاحب الضوء الذي نادت عليه، عرفت بأنها الغولة، وهي قبيحة المنظر، لها أسنان كبيرة، وشعر مشعث، وثديان كبيران، ومع ذلك أسرعت "**شَعْبَة خَضَّارْ**" نحو الغولة، وأمسكت ثديها وبدأت ترضع منه، حينها تكلمت الغولة قائلة:

- "لُوكَانْ مَاشِي حْلِيبْ عِيسَى أُو مُوسَى، نْدِيرْ لَحْمَكْ فِي لُكْمَة، وَعْظَامَكْ نَكِّي بِهُمْ سَنِّيَ." بمعنى لولا حليبي الذي شربته، لكنت قد أكلت لحمك، ونظفت أسناني بعظامك.

وهكذا نجت الشابة من بطش الغولة، فأخذتها معها إلى المنزل، وأخذت تعتني بها وتساعدها في الشؤون المنزلية، مرت الأيام والشهور، وذات يوم خرجت الفتاة بإذن من الغولة إلى الغابة لتتنزه قليلا، فرآها والدها الذي كان يرعى الماشية بالقرب من المكان، فناداها، لكنها أجابته بأنها لا تستطيع العودة معه، لأن الغولة ستراها، وستأكلهما معا.

لكن الأب استطاع بعد جهد كبير إقناع ابنته بالعودة معه، فلما ابتعدا عن منزل الغولة، تعانقا وبكت "**شَعْبَة خَضَّارْ**"، فحكت لوالدها كل ما جرى، فوعد بالانتقام لها ومعاقبة شقيقتها، وما إن وصلا إلى المنزل، اقتفت الغولة أثرهما، لكن الأب حفر حفرة كبيرة ورمى بها حطبا كثيرا وغطى الحفرة، ولما سقطت بها الغولة أشعل النار في الحطب فاحترقت، أما شقيقة " شَعْبَة خَضَّارْ"، فقد ضربها والدها ضربا مبرحا، إلى أن وعدته بالإقلاع عن التصرفات السيئة " وَاللهْ يَغْفَرْ لِنَا، مَا سْمَعْنَاهْ كُلْنَاهْ."[57]

إن هذه الحكاية تحمل بين ثناياها صورة واضحة للمرأة الشريرة، التي تعمل على التخلص من البطلة، بدافع الحسد والغيرة، فربطها لشعر "**شَعْبَة خَضَّارْ**" مع السدرة، جاء نتيجة الغيرة والحسد اللذين تكنهما لها، بالإضافة إلى أنها كذبت على والديها حينما أخبرتهما بأن شقيقتها قد هربت ولم ترد العودة إلى المنزل، لأنها سئمت العيش في حياة الفقر، فنفسها الشريرة دفعتها إلى التخلي عن شقيقتها دون أن تفكر في عواقب الأمور، وذلك من أجل أن تنعم لوحدها بحياة سعيدة مع أسرتها، وبأن لا تقاسمها شقيقتها حب والديها. فالغيرة والحسد صفتان لصيقتان بالإنسان، وكثيرا ما تتغلبان عليه، فتجعلانه يتصرف من دون وعي، من أجل الوصول إلى مبتغاه، ولو كان الأمر مضرا بالآخرين. لذا يجب التخلص من الأخلاق الذميمة، وأخذ العبرة من أولئك الذين يلقون مصيرهم ويعاقبون على أفعالهم السيئة.

الحكاية الثانية

وفي السياق نفسه تدور أحداث حكاية " هَنْدَة "، التي روتها لي السيدة قضاض فاظمة، وهي كالآتي:

---

[57]– مركوم غزلان، من مواليد 1989/11/03، القاطنة بمدينة أبركان، روتها لي يوم الخميس 4 ماي 2006، على الساعة العاشرة ليلا.

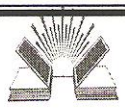

"حَاجِيتَكْ. كان لرجل فقير سبعة بنات، أصغرهن تدعى "**هَنْدَة**" وفي يوم من الأيام، قرر زعيم القبيلة أن يذبح بقرة، ويفرقها على أهل عشيرته، ولما ذبحت البقرة، ذهب الأب الفقير فسرق قطعة من اللحم، ولما أراد الزعيم تفرقة اللحم، وجد قطعة مسروقة، فطلب من عشيرته أن يجتمعوا، فسألهم عن الذي تجرأ وسرق قطعة اللحم، لكن لم يجبه أحد، فطلب منهم أن يصطفوا، وأن يضع كل واحد منهم يده على صخرة كبيرة كانوا يعبدونها، وأن يقسموا بأنهم لم يسرقوا اللحم، فعلوا ما طلبه منهم الزعيم، ولما وصل دور الأب المسكين، ما إن وضع يده على الصخرة و أقسم بأنه لم يأخذ شيئا، حتى التصقت يده بالصخرة، فكان جزاؤه أن يبقى هناك إلى أن تأكله وحوش الغاب.

عرف بناته بما جرى لوالدهم، فجاءت البنت البكر، وبكت أمامه قليلا، وودعته ورحلت، ثم جاءت الثانية، ففعلت مثل شقيقتها، ثم الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، ولما جاء دور أصغرهن، وهي "**هَنْدَة**"، رفضت ترك والدها لوحده، والسفر مع باقي العشيرة. وقالت لهم:

- "إِيلاَ بْكَا بُويَا نَبْكِي، وِيلاَ سْكُتْ بُويَا نَسْكُتْ." أي إذا بكى والدي سأبكي، وإذا سكت سأسكت.

حاول والدها إقناعها بالرحيل وتركه وحيدا، لكنها أبت، وجمعت رزمة من الحطب، وأحاطتها بوالدها، وغرست نواة تمر، فكبرت الشجرة، فكان كلما حل الظلام، صعدت إلى النخلة وهي تقول:

- "طْوَالِي يَا نَخْلَة أَمَّا أُو بُويَا"، فتصعد النخلة عاليا، أما في النهار فتقول:

- "هَوْدِي يَا نَخْلَة أَمَّا أُو بُويَا "، فتنزل النخلة وتذهب وتطمئن على والدها، و كلما كانت فوق النخلة، إذا رأت حيوانا قد اقترب من والدها تناديه قائلة:

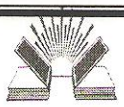

- "وَاشْ ذَاكْ اَلِّي جَايَّكْ آ بِيِّي حْنِينِي آ بِيِّي حْنِينِي إِلَى لَسْمَاحْ." أي ما هذا الحيوان الذي يقترب منك يا أبتي، فيجيبها الأب قائلا:

- "هَذَا اَلْكَلْبْ اَلِّي مَا يْخَافُو ابَّاكْ آ هَنْدَة أَبْنِتِي آ هَنْدَة ابْنِتِي إِلَى لَسْمَاحْ"، أي إنه مجرد كلب، وأنا لا أخافه فلا تخشي من أن يصيبني مكروه، وكانت كلما رأت حيوانا تردد ذلك، فيجيبها والدها لترتاح.

وذات يوم، وبينما هي فوق النخلة، رأت أسدا مفترسا يقترب من والدها، فارتعدت فرائصها. وصاحت قائلة:

- "وَاشْ ذَاكْ اَلِّي جَايَكْ آ بِيِّي حْنِينِي آ بِيِّي حْنِينِي إِلَى لَسْمَاحْ." فأجابها الأب قائلا وقد عرف بأنها نهايته:

- "هَذَا اَلْسْبَعْ اَلِّي يْخَافُو ابَّاكْ آ هَنْدَة ابْنِتِي آ هَنْدَةابْنِتِي إِلَى لَسْمَاحْ." أي إنه الأسد يا ابنتي، و أنا أخاف منه.

ولما وصل الأسد زأر زأرة مرعبة، وقفز فوق سور الحطب الذي كانت قد بنته " هَنْدَة "، وبدأ يمزق جسم والدها، فبدأت تصرخ وتقول:

- "فِينْ وْصَلَّكْ آ بِيِّي حْنِينِي." أي ماذا أكل لك الأسد؟. فيجيبها قائلا:

- "كْلَالِي رَجْلِي آ هَنْدَة ابْنِتِي"، بمعنى أنه التهم رجله، فبدأت تسأله وهو يجيبها، إلى أن التهم الأسد كل أطراف الأب، فلما وصل إلى الرأس لم تسمع "**هَنْدَة**" جواب والدها، فعرفت بأنه قد مات.

بكت بحرقة، وحزنت حزنا عميقا على والدها المسكين، مما جعلها ترفض النزول، وبقيت فوق النخلة، ورغم محاولة الأسد تسلق النخلة وأكل "**هَنْدَة**"، إلا أنه لم يستطع، فمات الأسد من

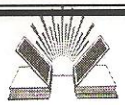

الحسرة والتعب، وقد ظهر في المكان الذي كان يجلس به والدها نبع ماء، فكانت كلما شعرت بالعطش نزلت وشربت منه.

وفي يوم من الأيام، كان أمير يتجول في البلاد، ولما وصل إلى ذلك المكان نزل ليروي عطشه، وبينما هو ينظر في حوض النبع، رأى وجها كالبدر على صفحة الماء، فأعجب به لكنه لم يعرف صاحبه، فذهب واختبأ في الجوار، وبعد برهة، رأى فتاة جميلة تنزل من فوق النخلة وتشرب من النبع، وتتسلق النخلة من جديد، ولما طلب منها النزول، رفضت ذلك، وطلبت منه الانصراف.

غادر الأمير المكان وهو حزين، ولما وصل إلى قصره، وقد بدت عليه علامات الحزن، سألته جدته:

– ما بك يا بني؟. أخبرها الأمير بعد أن ألحت عليه بما جرى له، وأخبرها بأنه وقع في حبها، فقالت له:

– أنا سأساعدك يا بني، ما عليك إلا أن تخبرني بمكانها.

رافق الأمير جدته إلى المكان المعلوم من دون أن تراه "**هَنْدَة**"، وكانت الجدة قد أخذت معها دجاجة، وخضرا، وكسكسا، وإناء لتهييء الطعام، فجلست أمام العين، وأمسكت الدجاجة من رجلها وأرادت أن تذبحها، كل هذا و"**هَنْدَة**" تراقبها، فصاحت "**هَنْدَة**":

– "مَنْ رَقْبَتْهَا آ حَنَّة لَعْكُوزَة." أي من رقبتها يا جدتي.

فلما سمعت العجوز صوت الفتاة قالت:

– إن كنت من الإنس فتعالي وساعديني، وأما إن كنت من الجن فاغربي عن وجهي!.

لم تستطع "**هَنْدَة**" رؤية العجوز المسكينة وهي منهمكة في إعداد الطعام، خاصة وأنها لا تجيد تحضيره فنزلت "**هَنْدَة**"، وسلمت على العجوز الطيبة، وأخذت تساعدها في إعداد

الكسكس بالدجاج، وتبادلا أطراف الحديث، فسألت العجوز "**هَنْدَة**" عن قصتها، فأخبرتها بكل ما جرى، كل هذا والأمير يسمع حديثهما، فاقترب منهما، وطمأنتها الجدة فقالت لها:

– إن هذا الشاب حفيدي، فبمجرد أن رآك وقع في حبك، فهل تقبلين به زوجا؟. فكرت الفتاة قليلا، ووافقت على طلب الأمير، بشرط أن يجد شقيقاتها الستة.

وافق الأمير على شرطها، وعادوا إلى القصر، وأرسل أعوانه للبحث عن شقيقات "**هَنْدَة**"، ولما تم العثور عليهن، استقبلتهن شقيقتهن بفرحة كبيرة، وحكت لهن قصتها كاملة، وبعد مرور عدة أيام أعلن الأمير عن قيام حفل زفافه بـ"**هَنْدَة**"، لكن الأخوات الستة لم تعجبهن الفكرة، فقررن الانتقام من "**هَنْدَة**"، وفي يوم زفافها طلبن منها أن يمشطن شعرها، ومن دون أن تدري، غرزن في رأسها سبع إبر سحرية، فتحولت للتو إلى حمامة، فطارت في السماء وحطت على غصن شجرة في حديقة القصر، فلما سأل الأمير عن عروسه، أخبرته شقيقاتها بأنها تركت القصر متوجهة نحو الغابة.

خرج الأمير للبحث عنها، أما " هَنْدَة " فكانت كلما حل الظلام قالت:

– "وَاشْ سِيدِي جَا وَلاَّ مَازَالْ؟ شُوفْ لَحْدِيدْ مَادَارْ فِيَّ، ٱلنَّخْلَة رَبَّاتْنِي، وَخْوَاتَاتِي دَارُوهَا بِيَّ"، أي هل عاد سيدي من السفر، أنظروا ما جرى لي من قبل شقيقاتي. فيجيبها حارس القصر وهو لا يعلم من المتكلم:

– إن سيدي لم يعد بعد.

فكانت كل يوم على هذه الحال، إلى أن عاد الأمير من رحلة البحث، وحكى له الحارس ما يسمعه كل ليلة، فانتظر الأمير إلى أن سمع ذلك الصوت، فطلب من صاحبه الاقتراب، فحطت الحمامة على كتفه، فأخذ يمسح على رأسها، وأخذ ينزع الشوك منه وهو يقول:

– مسكينة هذه الحمامة، الله وحده يعلم ما بها وما هذه الأشواك التي برأسها؟. ولما انتهى الأمير من نزع الإبر السبعة من رأس الحمامة، تحولت من جديد إلى "**هَنْدَة**"، حبيبته التي لطالما بحث عنها، فعانقها، وأخبرته بما فعلته بها شقيقاتها، فأمر أعوانه بربطهن بأرجل الخيل، وضربها لتجري إلى أن يمتن، فكان عقابهن عسيرا. أما "**هَنْدَة**" فقد عاشت مع زوجها في سعادة وهناء. "وْخَبِّيرْتِي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ."[58]

إن الحكاية استطاعت بتناسق أحداثها، أن تجعل القارئ يسبح في عالمها الأسطوري الخرافي، المستقى من الواقع الدنيوي، كما أنها رسمت لشقيقات البطلة صورة واضحة المعالم، تدل على قسوة قلوبهن ومكرهن، ابتداء من ترك والدهن في الخلاء مع شقيقتهن الصغرى، غير مباليات بما قد يحدث له، وانتهاء بنصب المكيدة لشقيقتهن التي فعلت المستحيل من أجل العثور عليهن، واقتسام نصيبها من حياة الرفه معهن. فصورة شقيقات البطلة في هذه الحكاية، هي صورة سلبية ترمز للمرأة الشريرة التي تملأ الغيرة قلبها، ولا تعترف بالجميل، بل تتسلح بالمكر والخديعة من أجل الوصول إلى مبتغاها.

الحكاية الثالثة

أما بالنسبة للكراهية التي تحملها، زوجات الإخوة للبطلة، فحكاية "**زوجات الإخوة السبعة وكنتهن**" خير دليل على ذلك، وقد روتها لي السيدة خضرة الطاهري، ربة بيت، من مواليد 1941، القاطنة بمدينة أبركان :

---

[58]– هذه الحكاية روتها لي، السيدة قضاض فاظمة، من مواليد 1889، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الخميس 11 مارس 2006، على الساعة السابعة مساء.

"كَانْ حَتَّى كَانْ، في قديم الزمان، إمرأة رزقها الله سبعة أولاد ذكور، وأنثى واحدة سمتها "غْزَالَة"، فكانت الفتاة آية في الجمال، وكان للذكور سبعة نساء، وسبع عبيد، وسبعة إبل، وسبعة بغال. وكانت أختهم مدللة غاية الدلال، لأنها الصغرى، لا ينقصها أي شيء.

كانت الأسرة تعيش حياة الترحال، وكلما حان موعد الرحيل إلا وجهز للأخت "لَعْطُوشْ" أي الهودج، لكي لا تتعب أثناء الرحلة، وكان يقدم لها كل ما تشتهيه، من دون أن تتعب نفسها بالقيام بأي شيء.

اتقدت نار الغيرة في صدور الزوجات السبعة، وأخذن يفكرن في نصب مكيدة لها، وفي يوم من الأيام طلبن منها مرافقتهن للغابة من أجل الاستجمام، وبعد جدال طويل استطعن إقناعها لمرافقتهن، وفي الغابة انفردت بها إحداهن، أما الأخريات فأخذن يبحثن عن بيضة ثعبان، وما إن وجداها، حتى اجتمعن مرة أخرى، فأخذن يضحكن ويتحدثن معها، إلى أن حان موعد العودة إلى المنزل. ولما عدن إلى المنزل، نهضت إحداهن وجهزت " لْزَّمِّيطَة(*)" لـ"غْزَالَة"، وقد دست بداخلها بيضة الثعبان، وقالت لها: إذا كنت تحبين إخوتك فعليك أن تبتلعي هذه الزميطة دون مضغها. ففعلت "غْزَالَة" ما طلبته منها زوجة أخيها دون تردد، فصفقن لها لأنها نجحت في فعل ذلك، وأخذت تضحك دون أن تعرف عواقب ذلك.

ومع مرور الأيام، أخذ بطن "غْزَالَة" في الانتفاخ، حينها توجهت النسوة السبع إلى أزواجهن، وقالت إحداهن:"انْتُمَا فْدَارْ غَفْلُونْ، وْخُتْكُمْ دَايْرَا مَا عْلِيهَا، خُتْكُمْ رَاهَا مْثَقْلَة"، أي أن أختكم التي تتباهون بها تنتظر مولودا، فبطنها ينتفخ يوما بعد يوم.

*- الزميطة: أكلة مغربية تحظر بدقيق القمح الذي يتم نزعه طريا، فيحمر فوق النار، ويطحن برحى اليد، وتتم غربلته، فيخلط الدقيق بالماء والزيت، والملح، وتصنع منه كويرات متوسطة الحجم، فيقدم مع الشاي.

ثار غضب الإخوة وقرروا ترك أختهم لوحدها، وقاموا ببناء غرفة لها ووضعوا بها " غْزَالَة "، فشرعت الشابة في البكاء سائلة أخاها الأكبر:

– ماذا فعلت يا أخي؟. أجابها الأخ بعد أن أدخلها الغرفة، وقد أحكم إقفالها:

– انظري لنفسك، لقد شوهت سمعتنا، و خنت الثقة التي وضعناها بك.

توسلت الفتاة وبكت وهي لا تعرف ما يدور حولها، أما إخوتها فقد انطلقوا متجهين نحو المجهول.

كانت الأيام تمر وكأنها سنوات، وفي اليوم السابع، مر رجل بجانب الغرفة التي كانت مسجونة بداخلها، فسمع بكاءها، وصاح قائلا:

– يا أهل الدار، هل أنتم من الجن أم من الإنس؟. فأجابته:

– أنا من الإنس يا عماه، أرجوك أخرجني من هنا.

كسر الرجل الباب الموصد بعد عناء كبير، وأخرج "غْزَالَة" التي كادت أن تلقي حتفها، فسألها عن قصتها، فحكت له كل ما جرى لها.

سمع الرجل القصة كاملة، وطلب منها أن تنتظره قليلا، ذهب الرجل ولم تمر الساعة حتى عاد إلى "غْزَالَة"، وهو يحمل شاة، وكمية كبيرة من الملح، وعصا كبيرة.

قام الرجل بذبح الشاة وطهيها بعد أن وضع لها ملحا كثيرا، وطلب منها أن تأكل، فأخذت تأكل بنهم شديد دون أن تشعر بملوحته، إلى أن شبعت فشعرت بالعطش الشديد، ولما طلبت الفتاة الماء رفض الرجل أن يسقيها، بل أرغمها على أكل المزيد. ولما شعرت بالتخمة، أخذت تتقيأ، فخرج ثعبان ضخم من فمها، فهوى عليه الرجل بعصاه وأرداه قتيلا ووضعه في كيس، فرحت الفتاة المسكينة، وذهبت مع الرجل إلى منزله، وحكى لقومه حكاية "غْزَالَة" بعد أن أراهم الثعبان.

كان للرجل ابنا بارا، فزوجه بـ"غْزَالَة"بعد أن أخذ موافقتها. مرت السنوات وأنجبت ولدا، وفي يوم من الأيام مرت قافلة رحل بالدوار، وطلبوا المبيت، فصادف أن نزلت القافلة بخيمة "غْزَالَة"، وما إن لمحت إخوتها حتى تعرفت إليهم، لكنهم لم يعرفوها. أخبرت زوجها بذلك، فأكرموهم غاية الكرم، ولما ذهب الجميع إلى النوم، جعلت ابنها يبكي، فأخذت تسكته بالموال الآتي: "أَرَ أَرَ عْلَى وَلْدْ لَغْرِيبْ، مِّيمْتْ مْوَحْلَة، اَلِّي خُوتْهَا سَبْعَة، وَنْسَاهُمْ سَبْعَة، وْعَنْدْهُمْ غِي خُتْ وَحْدَة"، بمعنى أسكت يا ابن الغريبة التي حملت، وكان لها سبع إخوة وزوجاتهم سبعة. رددت موالها مرارا وتكرارا، فلما سمعها الإخوة، افتكروا شقيقتهم، فعرفوا أنها هي. فعانقتهم وحكت لهم ما جرى، فاعتذروا لها، أما زوجاتهن السبعة، فربطوهن بسبعة خيول، وتركوهن والخيل يجرهن، حتى قضين، وتزوج الإخوة السبعة من قبيلة صهرهم واستقروا بها، وعاشوا جميعا في سعادة وهناء. "وَافْهَمْ يَا اَلْفَاهَمْ، حَجَّايْتِي كَمْلَاتْ وَانْتَ بَاقِي سَاهَمْ."[59]

إن دور زوجات الإخوة السبعة، دور سلبي، لأنهن يمثلن قوى الشر، وذلك يتجلى في معاملتهن السيئة لكنتهن، وهذه الصورة التي لا تخلو من أفعال الشر، وتدبير المكائد، لطالما التصقت بالمرأة، ويرى البعض أنه مهما عوقبت المرأة من أجل العدول عن أفعالها فإن حالها لا ينصلح، لذلك قيل عنها الكثير من الأمثال والحكم التي لا زالت موشومة في الذاكرة، مثل قول عبد الرحمان المجذوب:

"" سُوقْ اَلْنْسَاء سُوقْ مَطْيَارْ يَا دَاخْلْ رَدْ بَالَـــــــــــــــــكْ

يْوَرِّيوْ لَكْ مَنْ اَلْرِبَحْ قُنْطَارْ وَاَلدَّرْكْ(*) رَاسْ مَالَـــــــــــــــــكْ " [60].

---

[59] – السيدة خضرة الطاهري، من مواليد 1941، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الثلاثاء 18 أبريل 2006، على الساعة الثالثة بعد الزوال.

*- اَلدَّرْكْ: هو الحمل الثقيل، وكثرة المتاعب.

[60]- عبد الرحمان المجدوب، القول المأثور من كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب: مع مقدمة وشروح، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ص.16.

أي إن سوق النساء لا فائدة ترجى منه، بل داخله يلقى المتاعب والخسران، كما تعتبر المرأة سبب المشاكل والخصومات بين الأهل والأحباب، ونستنتج ذلك من خلال قوله:

"" يَا اِلّي تْعَيَّطْ قُدَّامْ ٱلْبَـــابْ عَيّْطْ وْكُونْ فَاهَـــــــــــمْ

مَا يَفْسَدْ بِينْ الاحْبَـــــابْ غِيرْ ٱلْنْسَاء وَٱلْدْرَاهَـــــــــــمْ " ([61]).

كما نجده ينبه من جمال المرأة، وينصح بأخذ الحذر والحيطة، وذلك في قوله:

" لاَ يْعَجْبَكْ نْوَّارْ دَفْلَـــى فَالْوَادْ دَايَرْ ظْلاَيَـــــــــــلْ

لاَ يْعَجْبَكْ زِينْ طَفْلَـــــة حَتَّى تْشُوفْ لَفْعَايَـــــــــــلْ " ([62]).

فالمطلوب قبل الجمال، هو حسن الأخلاق والأفعال، لأن الجمال وحده لا يكفي لبناء أسرة متماسكة، خالية من العيوب النفسية.

ومن الأمثال المتداولة التي ترسم لنا صورة المرأة الشريرة، التي لا تعرف معنى للتسامح والإخاء ما يلي:

" – ٱلْخِيرْ مْرَا وَٱلْشَّرْ مْرَا

– اَمْرَا تْعَلِّيكْ وَاَمْرَا تْعَرِّيكْ

– لَمْرَا ضَلْعَة عَوْجَة

– ٱلْشِّيطَانْ كَالْ: أَنَا نْقَرِّي ٱلْرْجَالْ وْنَتْعَلَّمْ مَنْ ٱلْنْسَا

– لَمْرَا لَفْعَة وَمْخَزْمَة بْإِبْلِيسْ

– ٱلْتَّالْيَة فَالنْسَا تْعَرِّيكْ مَنْ لَكْسَا

– ضْرَبْ لَمْرَا حَتَّى تْبُولْ وَالِّي فْرَاسْهَا مَا يْزُولْ

– لَمْرَا مُرَّة

---

[61]- المرجع نفسه، ص. 17.
[62]- المرجع السابق، ص. 22.

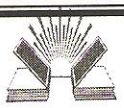

- إِيلاَ حَلْفُو فِيكْ ٱلرْجَالْ بَاتِ نَاعْسَة وِيلاَ حَلْفُو فِيكْ ٱلنْسَا بَاتِ كَالْسَة."[63]

وبالرغم من الازدواجية التي تحملها بعض الأمثال الشعبية، إلا أنها غالبا ما تضرب لأخذ الحيطة من المرأة باعتبارها سلاح ذو حدين، فهي خير وشر، ربح وخسارة، سمو ودونية، ومن ثمة تبقى صورتها في وضعية غير مستقرة، مما يدفع الطرف الآخر إلى التعامل معها بحذر شديد، خاصة وأنه "لا يمكن إدراك ما تدبره المرأة الشريرة التي تتفوق في الشر، باستخدام أساليب خاصة بالمرأة، فضلا عما يلجأ إليه الرجال الأشرار عادة، فتصبح أكثر تأثيرا وأبعد فعلا وأشد إيقاعا للشر، بين البطل وقومه أو بعضهم."[64]

3- صورة زوجة الأب

من الأدوار الأخرى التي أنيطت بالمرأة داخل حكاياتنا الشعبية، دور زوجة الأب، ولعله من الأدوار المهمة التي نصادفها أثناء قراءتنا لمتن الحكايات التي نشتغل عليها، لأنه مرتبط أشد الارتباط بواقعنا اليومي، خاصة لما تمثله زوجة الأب داخل المجتمع، مما يجعل صورتها شبيهة بالصورة التي تحملها لنا الحكايات، باعتبارها عنصرا لا يخلو من الصفات السلبية، سواء تعاملها القاسي مع أبناء الزوجة الأولى إن كانت قد توفيت، وتفضيل أبنائها عليهم، أم شجارها الدائم مع الزوجة الأولى. فبالزعم من أنها هي أيضا زوجة، و" ليست أقل إخلاصا من الحبيبة، فهي ترعى زوجها وتخدمه وتحافظ على نفسها في غيابه، فتصون شرفها، ولا تقبل بما يسيء إلى سمعتها وسمعته"[65]، إلا أنها فيما يتعلق بأبناء زوجها فهي تعاملهم معاملة سيئة، فكما يقول المثل الشعبي:"ٱلْرْبِيبْ مَا يْكُونْ حْبِيبْ"، ولا تكتفي بهذا القدر، بل تحرض الأب على معاقبتهم، ومعاقبة الزوجة الأولى، مدعية بأنهم قد أساؤوا معاملتها وداسوا على

---

63 – السيد بلعمران بوفلجة، من مواليد 1970، القاطن بمدينة أبركان.

64 – طلال حرب، بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ط. 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999م، ص. 249.

65 – المرجع نفسه، ص. 231.

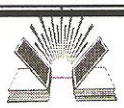

سمعتها، وغالبا ما تتمكن من إقناع الأب بأكاذيبها، ففي الواقع "لا تأنف المرأة الشريرة من استغلال أنوثتها، ولا تخجل من إبداء محاسنها، بل تتوسل ما وهبها الله من جمال وفتنة، لنيل مرادها"[66] وهذا ما تشير إليه حكايتنا "ٱلطِّيرٌ ٱلبَيُّوضْ" التي حكتها لي السيدة الزغلي منانة، من مواليد 1950، القاطنة بمدينة أبركان:

الحكايـــة الأولـــى

"يحكى أنه كان هناك رجل يعيش مع ابنته الوحيدة بعدما فقد زوجته، فألح عليه جيرانه وأصحابه بأن يتزوج، لكي تنشأ ابنته في جو عائلي ملائم، واختاروا له امرأة من القبيلة، فتزوجها ورزقهما الله بفتاة، حينها بدأت الزوجة تكره ربيبتها، وأخذت تفكر في طريقة للتخلص منها. كبرت الأختان، وكانت زوجة الأب تعامل ربيبتها بقسوة، وتأمرها بغسل الصحون، وسقي الماء من العين، وجلب الحطب من الغابة، في حين كانت ابنتها لا تقوم بأي شيء، ومع ذلك كانت تتأثر بتلك المعاملة التي كانت تلقاها شقيقتها، فكانت تشفق عليها كلما غابت أمها، وفي يوم من الأيام، وبينما كان الأب غائبا، خرجت الأم برفقة ربيبتها باتجاه الغابة، بغية جمع الحطب.

ولما وصلتا إلى الغابة قادت المرأة ربيبتها باتجاه عين، يقال إن من شرب منها يتحول إلى حيوان، وأرغمت المرأة الشريرة ربيبتها على الشرب من تلك العين، فتحولت الفتاة المسكينة إلى بقرة.

ولما عادت المرأة إلى المنزل وجدت زوجها قد عاد، فلما سألها عن ابنته، قالت:

– إن ابنتك قد هربت بعدما ضربتني وشتمتني. وأخذت تبكي وتنتحب إلى أن استطاعت إقناع زوجها بالقصة، كما أخبرته بأنها وجدت بقرة في الغابة وقد جلبتها إلى المنزل. كل هذا

---

[66] – المرجع نفسه، ص. 252.

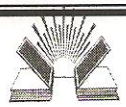

وابنتها لم تصدق الأمر، فكانت تعتني بتلك البقرة وتقدم لها الطعام، وفي يوم من الأيام قررت الأم أن تذبح البقرة، بدعوى أنها أصبحت عالة عليها لأنها لا تذر الحليب، وفعلا أذعن الرجل لطلبها وذبح البقرة، فأخذت شقيقة الفتاة التي تحولت إلى بقرة تبكي، أما المرأة الشريرة فلم تأبه بالأمر.

تم سلخ البقرة ولما حضرت المرأة الطعام، لم يستطع الأب والفتاة الأكل من لحمها، أما الأم فقد أكلت ولم تبال، لأنها كانت قاسية القلب. أما شقيقتها فكانت كلما أعدت أمها الطعام وأكلت، أخذت العظام وجمعتها، ولما انتهت من جمع كل العظام، حفرت حفرة، ودفنت العظام بها، وكانت تذهب كل يوم وتسقي تلك العظام، وبعد مرور سبعة أيام، حفرت لإخراج تلك العظام، فخرج من الحفرة طير جميل المنظر، حط على كتفها، وأخذ يغني قائلا:

- "أَنَا ٱلطِّيرْ ٱلبْيُوضْ، أَنَا ٱلطِّيرْ ٱلبْيُوضْ، أَبَّا ذْبَحْنِي يِبدُو، وَمَّا كْلَاتْ لْحِيمِي، وَاخْتِي لَعْزِيزَة لَوَاهْ لَوَاهْ." بمعنى أنا الطائر الأبيض، أبي ذبحني، وأمي أكلت من لحمي، وشقيقتي لم تفعل بي شيئا.

حلق الطائر عاليا، وهو يردد الكلام نفسه، وجال في القرية بأكملها فسمعه الأب، وذهب عند رجل حكيم، وأخبره بغياب ابنته، وبما يسمعه كل يوم على لسان الطائر، فنصحه الحكيم بأن يذهب عند زوجته، ويرغمها على أن تخبره بالحقيقة، وبعد عدة محاولات استطاع أن يعرف ما صنعته زوجته الشريرة بابنته المسكينة، فندم ندما شديدا، وأخذ يضرب زوجته إلى أن قتلها، أما هو فقد مات من شدة حزنه على ابنته.

وهكذا بقيت البنت برفقة الطائر الذي كان يؤنس وحدتها، وقد تقدم لها شاب من القرية فتزوجها."[67]

لعل هذه الصورة التي تحمل معاني واضحة، تدل على قسوة زوجة الأب، التي سمحت لنفسها بتحويل ربيبتها إلى بقرة، ولم تكتف بذلك بل وصلت بها الجرأة إلى اتهامها دون شفقة أو رحمة. ربما كانت هذه المعاملة الشنيعة، إخبارا عما تقوم به بعض النساء أثناء معاملتهن لأبناء أزواجهن، فالحكاية تحاول محاكاة ما يجري في الواقع اليومي الاجتماعي. ولتوضيح الصورة أكثر، سنعرض حكاية " بُو سَبْعْ بْنَاتْ " وهي على النحو الآتي:

الحكـايـة الثـانيـة

"حَاجِيتَكْ لُوكَانْ مَاهُمَا مَاجِيتَكْ. كان لرجل سبع بنات، وقد توفيت زوجته وتركته يتحمل مسؤوليتهن، فلم يستطع، لذا تزوج بامرأة أخرى، لكنها كانت تعاملهن بقسوة، وسعت جاهدة للتخلص منهن. وفي أحد الأيام، طلب منها زوجها إعداد طبق من الكسكس باللحم، لكنها رفضت، مدعية أن بناته قد خربن "ٱلْكَانُونْ"(*) وكسرنه، لذا طلبت منه طردهن لأنهن لا ينفعن لشيء.

استجاب الزوج لطلبها، لأنه كان مغلوبا على أمره، وفي الصباح الباكر طلب من بناته أن يرافقنه لجمع الحطب من الغابة، وبينما كن منهمكات في جمع الحطب، انسحب ببطء، وعاد إلى البيت، ولما حل الليل علقت الفتيات السبعة في الغابة، لكن لحسن حظهن، كانت ترافقهن الكلبة، فاستطعن بمساعدتها العودة إلى المنزل، وبما أنهن وجدن الباب مغلقا دخلن من النافذة،

---

67 – السيدة الزغلي منانة، من مواليد 1950، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الاثنين 3 أبريل 2006، على الساعة السادسة مساء.

*– ٱلْكَانُونْ: اسم يطلق على موقد النار، المتكون من ثلاث صخور، وهو يستخدم لطهي الطعام بالطريقة التقليدية، ولا زال يستخدم في بعض المناطق المغربية لحد الساعة.

وقد ارتطمت إحداهن بقصعة مليئة بالكسكس وكسرتها، وأيقظت زوجة أبيها التي صرخت في وجهها، وأمرتهن بجمع حبات الكسكس قبل أن يخلدن إلى النوم، عقابا لهن.

وفي يوم من الأيام، أصرت الزوجة مرة أخرى على التخلص من بنات زوجها، لكن هذه المرة ربطت الكلبة أمام المنزل، وأرسلت زوجها وقد أمرته بأن يترك بناته في الخلاء.

ومرة أخرى أوهمهن بأنه لن يبتعد بعيدا عنهن، فانهمكن في جمع الحطب، ولما بحثن عنه لم يجدنه، فعرفن بأنهن قد بقين وحيدات في الغابة ولن يستطعن العودة أبدا. وبينما هن يسرن في الطريق، حزينات على فراق والدهن، وجدن عين ماء، فشربن منها، وواصلن سيرهن، لكن في منتصف الطريق، تذكرت أصغرهن بأنها قد نسيت دملجها بالقرب من منبع الماء، فطلبت من أخواتها أن تسمحن لها بالعودة لجلبه، في البداية رفضن لأنهن خفن أن يصيبها مكروه، وبما أنها أصرت لأن الدملج كان هدية من والدتها المتوفاة، فأشفقن لحالها وتركنها تذهب لإحضاره، وقبل أن تذهب، قطفت غصنا من إحدى الأشجار، وأعطته لأختها الكبرى، وقالت:

– راقبن هذا الغصن، إذا بقي على حاله، فأنا بخير، أما إذا اصفر وذبل، فاعلمن أن مكروها ما قد أصابني.

ودعت الفتاة شقيقاتها وذهبت إلى العين، ولما وصلت وجدت الغول هناك، فانقض عليها ووضعها في كيسه، وسار بها وسط الغاب، وطلب منها أن تغني وإلا أكلها. أما شقيقاتها لاحظن بأن غصن الشجرة بدأ يذبل، فعرفن بأن شقيقتهن الصغرى في خطر، ومع ذلك واصلن مسيرهن إلى أن وصلن إلى منزل كبير، ولما دخلن اكتشفن بأنه منزل الغولة، فطلبن منها استضافتهن.

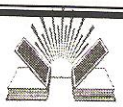

أشفقت عليهن الغولة، وقررت تركهن معها، بشرط أن يختبئن في المطبخ كلما رأين أبناءها قادمين من عملهم، وقد كان للغولة سبعة أبناء.

قبلت الفتيات شرط الغولة، وكن يساعدنها في شؤون المنزل وإعداد الطعام، ولما عاد أبناؤها من العمل، وبمجرد دخولهم قالوا لوالدتهم:

- "أَمْ أَمْ ٱلرِّيحَتْ نَبْنَاذَمْ." أي إننا نشم رائحة الآدميين. لكن الغولة أقنعتهم بأن لا أحد غريب في المنزل، ومع مرور الأيام أحس أبناء الغولة بأن منزلهم أصبح نقيا، وأن الأكل لذيذ، فشكوا في الأمر، وقرروا مراقبة والدتهم، وترك أكبرهم سنا ليرى ما يجري أثناء غيابهم، فتظاهر الابن الأكبر بالمرض، لكن الغولة عرفت نيته، فوضعت له مادة منومة في الطعام، فنام ولم ير شيئا.

ولما عاد إخوته وسألوه، أخبرهم بأنه لم يستطع التوصل إلى أي شيء، وفي اليوم الموالي تركوا في البيت الأخ الموالي للكبير، لكنه حصل له نفس الشيء، وهكذا إلى أن جاء دور الابن الأصغر، وقد كان محتالا ماكرا، فتظاهر بالنوم، وهكذا استطاع رؤية الأخوات الستة. وعند عودة إخوته أخبرهم بما رآه، فاندهشوا لذلك، فأرغموا أمهم على إخبارهم بالحقيقة، فوعدتهم بأن تطلعهم على سرها، بشرط أن لا يؤذوا الفتيات الستة.

وعدها أبناؤها، فأمرت الفتيات بالخروج من مخبئهن، وحكت لهم القصة كاملة. وبمجرد رؤية الفتيات قرر أبناء الغولة الزواج بهن، فوافقن على ذلك، فتزوجن وعشن في سعادة وأمان.

لكن الغول الصغير، كان حزينا لأنه لم يجد شريكة حياته، فحكين له قصة شقيقتهن الصغرى، مما جعل أبناء الغولة يشكون في الغول، الذي لاحظوا بأنه يحدث شخصا ما يحمله في كيسه، ففكروا في استضافته، ولما وصل إلى منزلهم، طلبوا منه الدخول، فأعدوا له وجبة

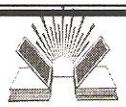

شهية، وبينما هو منهمك في الأكل، أخذ الإخوة الكيس وفتحوه، فوجدوا به الشقيقة الصغرى وكانت أجملهن، فأخرجوها من أسرها ووضعوا في مكانها سلوقية، ولما غادر الغول المنزل، وسار وسط الغابة، طلب من الفتاة أن تغني كالمعتاد، لكن السلوقية لم تحدث أي صوت، ولما وصل الغول إلى غاره، فتح الكيس، وإذا بالسلوقية تنقض عليه، فمزقت بطنه، ونهشت لحمه.

أما الأخت الصغيرة فقد تزوجت الغول الصغير، وعاشت مع شقيقاتها في سعادة وهناء.

"وَحْكَايَتِي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ، وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ اوْلَادْ لَجْوَادْ."[68]

إن هذه الحكاية كما سبقت الإشارة، تبرز العلاقة القائمة بين، زوجة الأب وأبنائه من المرأة الأولى، وهي علاقة مليئة بالصراع، بحيث تستغل زوجة الأب ضعف الأبناء وحب الزوج لها، فتنصب لهم مكائد لكي تتخلص منهم. ومثل هذه الحكايات التي مضمونها يسرد هذا الصراع الدائم بين الأبناء وزوجة الأب، كثيرة جدا، ولعل أشهرها الحكاية العالمية "**سُنْدْرِيلاَ**"، وهو ما يعرف عندنا بـــ"**عِيشَة رْمَادَة**"، وأحداثها كالآتي، وقد روتها لي التلميذة مركُوم غزلان:

الحكـــايـــة الثـــالثـــة

"كان يا ما كان في قديم الزمان، ملك عادل له زوجتان، واحدة طيبة رزقها الله ابنة جميلة وقد سمتها "**عِيشَة**"، أما الثانية فقد كانت امرأة متكبرة كثيرة الكلام، وقد وهبها الله فتاة قبيحة تشبهها في التصرفات والأفعال. مات الملك وزوجته الطيبة، فبقيت " عِيشَة " مع زوجة أبيها التي سلبتها مال والدها، وكانت تعاملها معاملة الخدم، بحيث لا تسمح لها بالنوم في غرفتها، بل جعلت لها مكانا في المطبخ أمام موقد النار، فكان وجهها يتسخ بالرماد، لذالك أطلق عليها اسم "**عِيشَة رْمَادَة**".

[68] – السيدة الزغلي منانة، من مواليد 1950، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الاثنين 3 أبريل 2006، على الساعة الثامنة مساء.

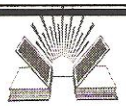

بالرغم من تلك المعاملة السيئة التي كانت تتلقاها من زوجة أبيها وابنتها، إلا أنها كانت ذات أخلاق حميدة، وكلما كبرت ازدادت حسنا وبهاء، مما يزيد من غضب زوجة الأب، فتعاقبها أشد العقاب.

وفي يوم من الأيام أعلن ملك البلاد المجاورة، أنه سيقيم حفلا كبيرا ليختار لابنه رفيقة حياته، وصل النبأ لقصر زوجة الأب، وقررت أن تزين ابنتها لكي تفوز بقلب الأمير، فأخذت تشتري لها كل ما هو غال ونفيس. ولما حان الموعد المحدد، جهزت نفسها، وألبست ابنتها أرفع الملابس وأجود الحلي، ومع ذالك كانت تبدو بشعة.

تجرأت "**عِيشَة رْمَادَة**" وقالت لزوجة أبيها:

– أرجوك خذيني معك إلى الحفل. أجابتها زوجة أبيها بسخرية:

– بالطبع سآخذك معي ولكن بعد أن تنظفي غرف القصر بأكملها، وتغسلي الصحون كلها التي في المطبخ، وتغسلي ثيابي وثياب ابنتي، وقد أطلقت ضحكة مجلجلة في السماء وخرجت رفقة ابنتها.

أما "**عِيشَة رْمَادَة**" فقد أخذت تفعل ما أمرتها به سيدتها، وقلبها يحترق من الداخل، وفجأة وجدت أمامها حورية فقالت لها:

– ما بك يا بنيتي؟ أخبريني لماذا تبكين؟.

بدأت "**عِيشَة رْمَادَة**" تسرد قصتها للحورية، وأخبرتها عن رغبتها في الذهاب إلى حفل الأمير، وسرعان ما أخرجت الحورية عصا سحرية وتمتمت ببضع كلمات غير مفهومة، فأصبح القصر نظيفا، والصحون نقية، والملابس مرتبة، ثم أعادت الكرة بعصاها السحرية، فأصبحت "**عِيشَة رْمَادَة**" ترتدي أجمل الملابس، لكن بقيت حافية القدمين، وأخذت تنظر

بحسرة إليهما، فضحكت الحورية، وأمرت عصاها مرة أخرى، فوجدت الفتاة حذاء من الفضة في قدميها. حينها قالت لها الحورية:

– سأجعلك تذهبين إلى الحفل، لكن يجب أن تعودي قبل الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل.

وافقت الشابة على شرط الحورية التي كانت قد جهزت لها أمام القصر عربة تنقلها لحفل الأمير، ولما وصلت إلى الحفل، بقي الكل مندهشا من جمالها، أما الأمير الذي كان مكتئبا في الحفل، فقد عادت له ابتسامته، فذهب ورحب بـ"**عِيشَة رْمَادَة**"، فأخذا يرقصان معا، فنظرت الفتاة إلى زوجة أبيها وابنتها فرأتهما مندهشتين مثل باقي الحضور، لأنهما لم يتعرفا عليها، ولما اقتربت الساعة الثانية عشرة، طلبت الإذن بالانصراف، وعادت إلى قصرها مسرعة، من دون أن تترك أي معلومات عنها، وقبل انتهاء الحفل أعلن الملك بأن الحفل سيستمر، لأن ابنه لم يختر بعد شريكة حياته.

ولما وصلت زوجة الأب وابنتها إلى القصر في وقت متأخر، وجدتا "**عِيشَة رْمَادَة**" نائمة، فأيقظتها زوجة أبيها لكي تساعدها على خلع الملابس، وأخذا يحكيان عما وقع في الحفل، فكانت تستمع لحديثهما وأيقنت بأنهما لم يعرفاها، وفي مساء اليوم الثاني ذهبت المرأة وابنتها مجددا إلى الحفل، وبقيت "**عِيشَة رْمَادَة**" وحدها، لكن الحورية زارتها، وساعدتها مرة أخرى، وأهدتها حذاء من ذهب، ولحقت بزوجة أبيها إلى قصر الأمير، فأخذ الأمير يرقص معها بدون انقطاع، إلى أن حان موعد عودتها، حاول إيقافها لكنها خرجت مسرعة، فأعلن الملك مجددا بأن الحفل سيستوفي الثلاثة أيام. وهذه المرة عادت زوجة الأب غاضبة لأن الأمير لم يلتفت إلى ابنتها فصبت جام غضبها على ربيبتها.

وفي مساء اليوم الثالث، حدث ما حدث في اليومين السابقين، وأهدتها حذاء من ماس، فتمكنت "**عِيشَة رْمَادَة**" من الذهاب إلى الحفل، أخذ الأمير والشابة يرقصان ويرقصان، وهذه المرة لم تنتبه "**عِيشَة رْمَادَة**" إلى الوقت الذي كان يمر بسرعة، ولما دقت الساعة الثانية عشرة، خرجت مسرعة وقد سقط حذائها الماسي فلم تتمكن من أخذه، لحقها الأمير، لكن لم يجد أحدا، وسرعان ما عادت "**عِيشَة رْمَادَة**" إلى قصرها وهي ترتدي الأسمال البالية، جلست أمام الموقد وأخذت تبكي لأنها أحست بالذنب، أما الأمير فقد أخذ فردة الحذاء، وقرر أن يخرج رفقة والده ليبحث عن صاحبته.

وفي الصباح الباكر زار الملك والأمير كل القصور فلم يعثر على صاحبة الحذاء، ولما وصل، إلى قصر "**عِيشَة رْمَادَة**"، خرجت المرأة وابنتها محاولة ارتداء الحذاء بالقوة، وقد كانت "**عِيشَة رْمَادَة**" تطل من إحدى شرف القصر، فطلب من زوجة أبيها أن تناديها، رفضت قائلة:

– إنها مجرد خادمة كريهة فلا داعي لأن تجرب هذا الحذاء. أصر الأمير على حضورها، ولما وصلت لم يصدق الأمير ووالده ما شاهداه، لأن الحذاء دخل بسرعة في رجلها، وقد أخرجت الحورية عصاها من دون أن يراها أحد، وألبست "**عِيشَة رْمَادَة**" ملابس الأميرات، لم تتحمل زوجة أبيها ذلك، فأغمي عليها من الحسرة والحقد، أما الأمير فقد أخذ "**عِيشَة رْمَادَة**" التي أخبرته بقصتها، فتزوجها، وأنجبا أولادا وعاشا معا في سعادة وهناء."[69]

يبدو جليا من أن الحكاية تحمل في ثناياها العديد من القيم السلبية التي تتعلق بشخصية زوجة الأب، إلى جانب القيم الإيجابية التي تحملها الشخصيات الأخرى الموجودة في الحكاية،

[69] – مركّوم غزلان، من مواليد 1989/11/03، القاطنة بمدينة أبركان، روتها لي يوم الخميس 4 ماي 2006، على الساعة الحادية عشرة ليلا.

وهذه القيم السلبية، تتجلى في كل من الغيرة، والحقد، والظلم، وهي ترسم صورة زوجة الأب الشريرة، التي لم تحافظ على ابنة زوجها باعتبارها أمانة في عنقها، بل داست على كل شيء من أجل إشباع رغباتها الفاسدة، وتحقيق مبتغاها على حساب ربيبتها.

الحكـــايـــة الـرابـعـــة

كما أن حكاية "**أُمّ اَلْجْلُودْ**"، التي روتها لي السيدة شيخي رحمة، ربة بيت، من مواليد 1955، القاطنة بمدينة أبركان، توضح علاقة الصراع الدائم بين زوجة الأب وربيبها، ولكن هذه المرة بشكل آخر، وهذا ما سنعرفه من خلال الحكاية:

"يحكى أنه كان في قديم الزمان، رجل له زوجتان، إحداهما عاقر، والأخرى لها طفل ذكر، ونتيجة لذلك كانت المرأة العاقر تغار من ضرتها، فسعت جاهدة للنيل منها.

وفي يوم من الأيام، ذهب الزوج لرعي الماشية كالمعتاد، فتعبت الزوجة ونامت بجانب رضيعها، استغلت الزوجة الحقود نوم ضرتها، فقامت بقطع أصبع ربيبها، ولطخت فم والدته بالدم ووضعته أمام رأسها، وأخذت الرضيع وأهدته لعجوز كانت تسكن وحيدة في الغابة الكبيرة المجاورة. ولما عاد الزوج إلى منزله، سمع صراخ زوجته العاقر وهي تشير إلى ضرتها قائلة:

-"وِيكْ وِيكْ كْلاَتْ وَلْدْهَا، وِيكْ وِيكْ كْلاَتْ وَلْدْهَا." فهم الزوج من أن المرأة أكلت ابنهما، ولما نظر إلى زوجته التي بقيت مندهشة من هول الفاجعة، سكتت عن الكلام ولم تستطع قول أي شيء، قرر الأب أن ينتقم من زوجته لما فعلته بابنه الوحيد، فقام بتجريدها من ملابسها، وألبسها جلد خروف، وجعلها خادمة لضرتها التي كانت تعاملها بقسوة لا توصف، فكانت تنام مع البهائم، وتأكل مما يأكلون، فأطلق عليها اسم "**أُمّ اَلْجْلُودْ**".

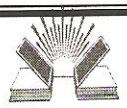

مرت الأيام والسنوات، وكبر ابنها الذي ربته العجوز، وصار شابا وسيما، وبينما كان يلعب بالكرة أصاب مربيته بها فصرخت في وجهه – من دون أن تحس– قائلة:

– اذهب بعيدا يا ابن "**أَمْ ٱلْجْلُودْ**". استغرب الفتى لقولها وأدرك أنها تخفي سرا وراء كلامها، فطلب منها أن تحضر له "بَرْكُوكَشْ" لوجبة الغذاء، ولما هيأت له ما طلب، أحضر وعاء به حناء، وقال لها:

– أرجوك شاركيني في الأكل.

ولما مدت يدها إلى الصحن، أمسك به ووضعه داخل الطعام الساخن، فأخذت تصرخ، فقال لها:

– إن وعدتني بقول الحقيقة، فسأضع يدك في الحناء لكي يزول الألم.

وعدته بتنفيذ ما طلبه منها، فوضع يدها في الحناء، وقد زال الألم بسرعة. فأخذت تحكي له قصة والدته وما فعلته بها ضرتها، وأخبرته بأنها أحبته مثل ابن لها، وطلبت منه العفو، وجهزت له ما يلزم ليخرج في رحلة البحث عن والدته.

سار في طريقه باحثا عن أمه المسكينة، ولما وصل بلدته، سأل عن "**أَمْ ٱلْجْلُودْ**"، فرأى الناس ينفرون من سماع اسمها، وقد أخبره أحدهم بمكان إقامتها. ثم توجه إلى منزل والده، وطلب الضيافة، رحب به والده وأكرم وفادته، وبينما هما يتناولان الطعام، دخلت أم الجلود حاملة في يدها الماء، فسأل والده:

– من هذه المرأة؟. فقال:

– إنها زوجتي وقد عاقبتها كما ترى، لأنها أكلت ابني الوحيد.

وفي الليل تسلل الابن إلى الحظيرة، وطلب من "**أَمْ ٱلْجْلُودْ**" أن تحكي له قصتها، فأخبرته وهي تبكي، وأقسمت بأنها لم تؤذ رضيعها. فقال لها:

– وهل تعرفين ولدك إذا رأيته؟. أخبرته بأنها ستعرفه من خلال أصبعه المبتور، حينها كشف الابن عن إصبعه، فاحتضنته أمه وبكى على كتفيها، وأعطاها ملابس جديدة كان قد أحضرها معه.

وفي الصباح الباكر أخبر الابن الحقيقة كاملة لوالده، فطلب السماح من زوجته ومن ابنه، أما زوجته الحقود، فقد ربطها بحصان، وأطلقه في الغابة إلى أن ماتت. وهكذا عاش الابن مع أبويه."[70]

إن الدور الذي أنيط بزوجة الأب في هذه الحكاية، يدل على نفسية المرأة المريضة، التي قامت باتهام ضرتها بقتل رضيعها، بعد أن قطعت أصبعه، ومنحته لمن يعتني به، فكان جزاء الضرة أن عاشت حياة ذليلة عقابا لها عن جريمة لم ترتكبها. فصورة زوجة الأب في هذه الحكاية، لا تختلف عن صورتها في الحكايات سابقة الذكر، لأن دور المرأة مليء بالحقد والغيرة. وهذه الصورة نجدها أيضا في أمثالنا الشعبية التي لا زالت تتناقلها الألسن من جيل إلى جيل، ومن فرد لآخر، و نذكر من بينها الآتي:

" – اللِّي عِينُو ڤْلَعْذَابْ يَصْحَبْ ٱلنْسَا وَلَّا لَكْلَابْ

– طَاعَةْ ٱلنْسَا نْدَامَة

– كُلْ بَلْيَة سْبَابْهَا وْلِيَّة

– لَمْرَا هِيَ اللِّي دَارَتْ ٱلشِّيطَانْ فَٱلْقَرْعَة

– كِيدْ ٱلنْسَا مَا يَتَّسَى.[71]

كما نجد هذه الصورة بكثرة في رباعيات سيدي عبد الرحمان المجذوب ومنها:

---

[70] – السيدة شيخي رحمة، من مواليد 1955، القاطنة بمدينة أبركان، الأربعاء 15 فبراير 2006.

[71] – مالكة العاصمي، الموروث الشعبي وصورة المرأة، مجلة المناهل، مجلة تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربي، العدد 54، السنة الثانية والعشرون، ذو القعدة 1417 مارس 1997.صص. 93– 94.

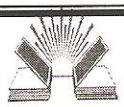

" - بَهْتْ ٱلنْسَا بَهْتِيـــــــــنْ مَنْ بَهْتْهُمْ جِيتْ هَـــــــــارَبْ

يَتْحَزْمُوا بَٱللْفَـــــــــاعْ وْيَتْخَلْلُو بْٱلعْقَـــــــــارَبْ

- كِيدْ ٱلنْسَا كِيدِيـــــــــنْ وْمَنْ كِيدْهُمْ يَا حْزُونِـــــــــي

رَاكْبَة عْلَى ظْهَرْ ٱلسْبَـــعْ وَتْقُولْ ٱلحْدَاء يَاكْلُونِـــــــــي

- حْدِيثْ ٱلنْسَا يْوَنَّـــــــسْ وَيْعَلَّمْ ٱلفْهَامَـــــــــــة

يْدِيرُو شَرْكَة(*) مَنْ الرِّيحْ وَيْحَسْنُوا لِكْ بْلاَ مَـــــــــــا

- مَرْوَانْ لْقِيتُه يْخَمَّـــــمْ وَاصَلْ العَظْمْ فِي لْهَاتُـــــــــه

هَذَاكْ مَنْ زَوْجَة ٱلْهَـــمْ بَفْعَالْهَا عَذْبَاتُـــــــــــه

- وَحْدَة رْخِيصَة بْمَائة أَلَـفْ وَحْدَة غَالْيَة بْجَلْدْ قْعُـــــــــودْ(*)

وَحْدَة تْجِيبْ ٱلْخِيرْ مْعَاهَـــا وَحْدَة تَطْرْدَهْ بَعْمُـــــــــودْ " ([72])

فهذه الأقوال والحكم المأثورة، تؤكد على مكر النساء ودهائهن، فهن يدعين البراءة والضعف، في حين ينصبن أشراكا يوقعن فيها كل من اعترض طريقهن، بغية الحصول على ما يردن. ونختم حديثنا عن صورة زوجة الأب، بحكاية "**حَبّ ٱلرّمّانْ**"، التي تصور مأساة الربيبة ومآلها من جراء معاملة زوجة أبيها الغاشمة، وقد روتها لي التلميذة مركوم غزلان، وهي كالآتي:

الحـكـايـة الخـامسة

"كان يا مكان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، رجل متزوج بامرأتين عقيمتين، وكانتا كل يوم تطلبان الله أن يرزقهما أولادا، وبينما كانت تقول إحداهن:

– يا رب أرزقني فتاة جميلة. كانت الأخرى تقول:

---

*- شركة: هي قلادة من الفضة، كانت تقدم مهرا للعروس.

*- جلد قعود: أي جلد الجمل.

[72]- القول المأثور من كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب: مع مقدمة وشروح، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، صص. 30- 31- 37- 38.

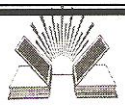

– يا رب أرزقني فتاة، ولو كانت مثل " ٱلْهَنْدِيَّة"(*)

وبالفعل رزقهما الله كلا حسب طلبها، لكن المرأة التي أنجبت البنت الجميلة، توفيت وتركت ابنتها مع ضرتها. ولما كبرت الفتاتان بدأت تعامل البنت الجميلة معاملة الخادمة، وكانت أختها تغار منها، وأخذت هي ووالدتها تفكران في طريقة للتخلص منها.

وفي يوم من الأيام طلبتا منها أن ترافقهما إلى البئر لجلب الماء، وقد أخذت الأخت الشريرة معها رمانة، وجرت مسرعة نحو البئر بينما سارت الفتاة الجميلة وزوجة أبيها ببطء، قسمت الشريرة الرمانة نصفين وألقت بها في البئر من دون أن تراها شقيقتها وقالت لها:

– تعالي وانظري إلى الرمان الموجود في قاع البئر.

ولما أخذت تنظر إلى قاع البئر، دفعتها زوجة أبيها في قاع البئر.

ولما عادتا إلى المنزل، سألهما والدها عنها، فأخبرتاه بأنها قد ضاعت في الغابة، فخرج للبحث عنها، لكنه لم يجدها، فاعتقد أن وحوش الغاب قد افترستها.

وفي يوم من الأيام مر" ٱلشْيُوخْ(*)"بالبئر، فأرادوا الشرب، ولما نظر أحدهم إلى قاع البئر رأى شيئا يلمع، فنزل إلى قاع البئر، فسحب الفتاة الميتة، وقد كان في عنقها قلادة ذهبية، وفي أذنيها أقراط من ذهب، وفي يديها أسورة من ذهب أيضا، أخذ "الشيوخ" الذهب واقتسموه فيما بينهم، فقال أحدهم:

– إن جلدها يصلح لصناعة "ٱلْبَنْدِيرْ". فسلخ جلدها وصنع منه بندير كبيرا، فلما وصلوا إلى القرية التي كانت تسكن بها الفتاة، أخذ أحدهم يضرب على البندير الذي صنع من جلد الفتاة، فسمعوا صوتا يقول:

---

* – ٱلْهَنْدِيَّة: نبات شوكي، يكثر في الصيف، وهو من الفواكه اللذيذة المذاق.
* – ٱلشْيُوخْ: مفردها شِيخْ وهو الرجل الذي يغني و يعزف على آلة البندير المصنوعة من الجلد.

- "حَاوَلْ عْلِيَّ الْمَدَّاحْ حَاوَلْ عْلِيَّ، حَبْ ٱلرَّمَّانْ هُوَ ٱلِّي بِيَّ، وَامِّي وَشْقِيقْتِي هُمَا طْلِيبْتِي"، أي لا تقس علي أيها المغني، فحب الرمان قد أغواني، وأمي وأختي هما سبب موتي.

فلما سمع الناس غناء البندير أعجبوا به كثيرا، فكانوا يعطون المال "لَلشْيُوخْ"، طافوا بأرجاء القرية، ولما وصلوا إلى بيت الفتاة، خرج الأب وأعطاهم مالا كثيرا وطلب منهم أن يسمحوا له بالضرب على البندير، فلما فعل نطق البندير قائلا:

- "حَاوَلْ عْلِيَّ آ بُويَا حَاوَلْ عْلِيَّ، حَبْ ٱلرَّمَّانْ هُوَ ٱلِّي بِيَّ، وَامِّي وَشْقِيقْتِي هُمَا طْلِيبْتِي"، أي رفقا بي يا أبي، فحب الرمان قد أغواني، وأمي وأختي هما سبب موتي.

اندهش الأب لما سمع كلام البندير، فأرغم "ٱلشْيُوخْ" على أن يخبروه أين عثروا على هذا الجلد، فأخبروه بأنهم وجدوه في البئر، وأروه الحلي التي وجدوها مع الجثة، فعرف بأنها حلي ابنته المسكينة، فنادى على زوجته وابنته وأمرهما بالضرب على "ٱلْبَنْدِيرْ"، رفضا فعل ذلك، لكنه أرغمهما، فلما فعلتا، تكلم البندير قائلا:

- "حَاوْلِي عْلِيَّ آ مِّيمْتِي، حَاوْلِي عْلِيَّ آ خْيْتِي، حَبْ ٱلرَّمَّانْ هُوَ ٱلِّي بِيَّ، وَانْتِ وَاخْتِي هُمَا طْلِيبْتِي." بمعنى رفقا بي يا أمي وشقيقتي، فحب الرمان قد أغواني، وأنتما السبب.

أرغمها الأب على قول الحقيقة، فاعترفتا أمام الملأ بأنهما السبب في موتها، فأحضر الأب حصانين قويين، فربط زوجته وابنته بهما، فضرب الحصانين بالسوط فركضا بسرعة نحو الغابة، وهكذا لقيتا ما تستحقانه من عقاب."[73]

إن صورة المرأة من خلال هذه الحكايات المستقاة من هنا وهناك، على لسان فئات عمرية مختلفة، هي صورة سلبية، تدين زوجة الأب من خلال المعاملة السيئة التي تعامل بها ربائبها،

---

[73] – مركُوم غزلان، من مواليد 1989/11/03، القاطنة بمدينة أبركان، روتها لي يوم الجمعة 6 ماي 2006، على الساعة التاسعة ليلا.

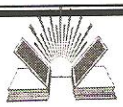

فبقيت هذه الصورة متداولة بين الناس، خاصة وأن الحكاية الشعبية سريعة الانتشار والحفظ، ولربما هذا راجع كذلك إلى اقتراب هذه الصورة من واقع الفرد، فنحن لا ننكر بأن هناك من النساء من يعاملن ربائبهن بقسوة، فيفضلن أبناءهن خاصة أثناء غياب الأب عن المنزل، وذلك راجع للغيرة بالدرجة الأولى، ثم الطريقة التي تربت بها المرأة، والمحيط الاجتماعي الذي نشأت فيه بالدرجة الثانية.

إذا كانت الحكاية تصور زوجة الأب بهذه البشاعة، كما أنها تدينها وتعاقبها في النهاية، فذلك ليتخذها الناس عبرة، لكي يعلموا جيدا بأن لكل ذي حق حقه، ويتعلموا بأن الظلم ظلمات، والحق لا يعلى عليه، وما ضاع حق وراءه مطالب، وأن الانتقام للمظلوم وارد ومرتقب في كل وقت وحين.

4- صـــورة المـــــرأة العجـــــوز المجربة

إن دور المرأة العجوز داخل الحكاية، بقدر ما هو دور صغير بحيث لا يحتل مساحة كبيرة، إلا أنه في غاية الأهمية، فتارة نجد للمرأة العجوز دورا إيجابيا، بحيث تساعد قوى الخير على الانتشار والانتصار، وتارة أخرى، تكون إلى جانب أولئك الأشرار الذين يعملون على الوقوف في وجه الخير والأخيار، بل تتجاوز ذلك فتقوم بنفسها بنصب الأشراك لأشخاص، إما لأخذ المكافأة، أو رغبة منها في مساعدة البطل، أو يقوم البطل بإرغامها على قول الحقيقة، باعتبارها الأكبر سنا في القبيلة، ومن ثم خبرتها وإطلاعها على جميع الأمور.

والملاحظ في هذه الشخصية المزدوجة أنها تحمل صورة إيجابية، وأخرى سلبية، لكن المرأة العجوز في كلتا الحالتين- من خلال حكاياتنا التي سنعرضها-، لا نعلم مصيرها، فهي تأخذ مكافأتها وتختفي.

ففي حكاية "لِيلَى" سالفة الذكر، نلاحظ أن العجوز قامت بدور صغير جدا، ألا وهو إخبار البطل بقصة "لِيلَى"، وذلك بعد أن أرغمها على البوح له بالسر الذي لطالما أخفته عنه، ولم تكن لتفشيه لولا تسرعها وزلة لسانها، بعدما أسقط الكرة في الطعام الذي كانت تعده. فالمرأة هنا تقوم بدور إيجابي داخل الحكاية، بإخبارها للبطل عن حكاية ابنة عمه، وهذه المساعدة التي قدمتها للبطل هي التي ميزت صورتها في حكايتنا.

أما صورتها في حكاية "شُبْ ٱلْحَيَاة"، فهي صورة سلبية، بحيث تظهر المرأة العجوز مرتين داخل الحكاية، فتؤدي وظيفة إخبارية في المرة الأولى قصد مساعدة إخوة أحمد للتخلص منه، مقابل أخذ المكافأة التي لم يذكر قدرها داخل الحكاية، فتخبر أحمد بقصة "شُبْ ٱلْحَيَاة"، الفتاة الجميلة التي ليس لها مثيل، وذلك ليغادر بلاده بحثا عن المستحيل، لكن هذه العجوز بفعلها الشرير هذا، لا تعلم بأنها أفادت أحمد، والذي سيستطيع بالفعل الحصول على مبتغاه، بحيث ستتوج رحلته في الأخير بالزواج من محبوبته "شُبْ ٱلْحَيَاة". أما الوظيفة الثانية التي تبرز أثناء ظهورها في المرة الثانية، فهي فعلية، بحيث تقوم بسرقة سيف أحمد ورميه بالوادي العميق، بعد أن تتظاهر بالطيبة وحسن النية لكي تقنع شب الحياة بإدخالها القصر، ومن ثم كشف سر السيف السحري ورميه من دون أن يكتشف سرها، وهذه المرة أيضا لم نتمكن من معرفة قدر المكافأة التي حصلت عليها العجوز بإنجازها المهمة، ولم نسمع عنها أخبار أخرى.

وفي حكاية "هَنْدَة"، تعود العجوز في حلة جديدة، فتمثل صورة الجدة الحنونة، فتقوم بمساعدة الأمير للحصول على مبتغاه، بملء إرادتها، فتستخدم خبراتها وحيلها لإنزال" هَنْدَة " من فوق الشجرة، وكذا إقناعها بالزواج من الأمير. فدورها هنا دور إيجابي، يهدف إلى مساعدة قوى الخير، والجمع بين الأحبة.

أما دورها في حكاية "عِيشَة رْمَادَة"، فكان دورا إيجابيا، إذ يمكن القول بأن الصورة التي حضرت بها العجوز في هذه الحكاية، هي صورة الحورية التي تمتلك أداة سحرية، تتمكن من خلالها من تحقيق الأحلام، وإنجاز المهمات الصعبة، فكما لاحظنا من خلال حكايتنا أن الحورية استطاعت مساعدة "عِيشَة رْمَادَة" في حدود المعقول، لأنها ساعدتها لإنجاز شغل المنزل، وقدمت لها المتطلبات اللازمة لتتمكن من حضور الحفل. وهنا أيضا كان غيابها مفاجئا تماما مثل حضورها.

وأخيرا دورها في حكاية "أُمْ الْجْلُودْ"، فهي تقوم بدور المربية التي ليس لها أبناء، فتقوم بإنقاذ البطل وتربيته، ودورها هنا مثل العملة بوجهين، وجه سلبي، يتمثل في إخفائها الحقيقة عن البطل، فما كانت لتخبره بحقيقته، وبمصير أمه المسكينة، لولا زلة لسانها، وكذا إصرار البطل وإرغامها على قول الحقيقة بعد أن وضع لها اليد في الطعام الساخن. ثم وجه إيجابي تتضح معالمه من خلال الاعتناء بالبطل وإنقاذه من الضياع، فلولا قبولها إياه واعتناؤها به، لكانت وحوش الغابة قد مزقت لحمه وفتت عظامه.

من خلال هذه القراءات لأدوار المرأة العجوز في الحكاية، يمكن القول بأن صورة المرأة، ترسمها مجموعة من المتناقضات مثل: الخير/الشر، الإخلاص/الخيانة، الجمال/القبح، الثقة/الخديعة، الاحترام/الإهانة... فصورة المرأة العجوز"تمثل واسطة خير، سواء في التبرك منها في طلبها الهداية لغيرها، وللشباب الطيبين خاصة، أم في توسطها في أعمال خيرية مجسدة كخاطبة أو مساعدة على التواصل بين الحبيبين في الحلال، وفي سبيل تكوين

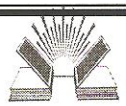

الأسرة."[74] وفي مقابل هذه الصورة الإيجابية للمرأة العجوز، نجد "صورة العجوز التي تمتهن خراب البيوت والفساد (النميمة والقوادة)"[75].

ومن ثم يمكن عرض هذه الحكاية، التي من خلالها يمكن التعرف أكثر على الدور المزدوج للمرأة العجوز، و قد روتها لي السيدة شيخي رحمة سالفة الذكر:

الحكـــايـــة الأولـــى

"كان يا مكان في قديم الزمان، تاجر يسكن في أحد الأحياء الشعبية لإحدى المدن، فكان محبوبا لدى الجميع لأنه كان رجلا صالحا، وكانت زوجته تحترمه كثيرا، فلا تخرج من منزلها ولا تطل من شرفته وفاء له، فكل ما يعرفه عنها سكان الحي أنها فاتنة الجمال.

وكان للرجل الصالح جار شرير، يغار منه ويتمنى أن يطعنه في شرفه، ورغم محاولاته المتكررة للإيقاع به، إلا أنه لم يستطع تحقيق ذلك. فقصد الرجل الشرير عجوزا كانت تسكن في الجوار، وطلب منها أن تفكر في حيلة للنيل من الرجل الصالح، وقد وعدها بأن يكافئها إن هي استطاعت تحقيق مراده.

بدأت العجوز تتقرب من زوجة الرجل شيئا فشيئا وتظهر لها طيبتها، إلى أن وقعت المرأة في شباكها فكانت لا تخفي عنها شيئا، وكانت العجوز ترافقها إلى الحمام، وكان في مؤخرة المرأة الجميلة خال أسود، انتبهت إليه العجوز، فذهبت إلى الرجل الشرير وأخبرته بما رأت، وقد وصفت له جسد امرأة الرجل الصالح بدقة. وفي اليوم الموالي، وبينما كان الرجل الصالح في دكانه، ذهبت العجوز عند زوجته، فرحبت بها، ومن دون أن تنتبه المرأة الحسناء وضعت لها المرأة العجوز منوما في كوب الشاي، ولما أغمي عليها، أخذتها إلى سريرها، ونزعت

---

[74] – مبارك ربيع، صورة المرأة في المتخيل الشعبي، سلسلة ندوات ومناظرات، الخطاب حول المرأة، تنسيق: فوزية غساسي، رقم: 65، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص.109.

[75] – المرجع السابق، ص. 109.

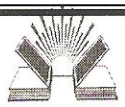

عنها ثيابها، وأخذت بيضة، فأفرغت زلالها على السرير، وخرجت من دون أن يراها أحد متوجهة نحو الرجل الشرير، فأخبرته بما فعلت، وقالت له:

– إذهب إلى دكان الرجل الصالح، وجادله، واخبره بأنك قد ضاجعت زوجته، وإن حاول ضربك ابدأ في وصف جسد الزوجة، إلى أن تثير حفيظته.

ذهب الشرير إلى الرجل الصالح وفعل كل ما أملته عليه العجوز الشمطاء، بعد أن أعطاها مكافأتها، لأنه كان مـتأكدا من أن الخطة ستنجح لا محالة. فلما ثار غضب الزوج الصالح اتجه نحو المنزل، فوجد زوجته عارية، ووجد ماء أبيض فوق سريره، فـتأكد من أن زوجته قد خانته، حاولت الزوجة المسكينة أن تشرح له، لكنه أخذ يضربها ويشتمها، فسمع الجيران صراخهما، فكانت من بين الجمع الذي جاء مسرعا ليرى ما الذي حدث، عجوز فاقتربت من الرجل الصالح، فاستطاعت أن تهدأ من روعه وقالت له:

– احضر لي إناء طهي.

فجلب لها ما طلبت، وجمعت الزلال الذي كان فوق السرير، ودخلت إلى المطبخ، وأشعلت النار، فتحول الزلال الذي اعتقد الزوج الصالح أنه منيا إلى بيض مقلي، كل هذا والزوج والناس المحيطين به ينظرون للعجوز بدهشة. ولتؤكد له أكثر أن زوجته بريئة، طلبت منه أن يسأل الرجل الشرير عن موقع الخال الذي رآه في مؤخرة زوجته، هل هو في اليمين أم الشمال، فلما سأل، بقي الشرير ساكتا لأن العجوز لم تخبره بموقعه، فعاد الرجل الصالح إلى زوجته، وطلب منها العفو، واستمرت علاقتهما، وعاشا في ثبات ونبات، أما الرجل الشرير فقد رحل عن المدينة، بعدما عرف الناس نواياه السيئة."[76]

---

[76] – السيدة شيخي رحمة، من مواليد 1955، القاطنة بمدينة أبركان.

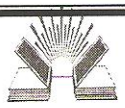

في هذه الحكاية تظهر لنا المرأة العجوز بصورتين كذلك، الأولى سلبية، و هي التي تقوم خلالها بنصب شراك لزوجة الرجل الصالح، حتى كاد أن يقتلها، وذلك من أجل مساعدة الجار الشرير، والحصول على المكافأة. والثانية إيجابية، بحيث تظهر لنا العجوز في صورة المرأة الساعية إلى تحقيق العدالة، فتكشف الشراك الذي نصب لزوجة الرجل الصالح، فالمرأة "تستطيع إذا شاءت أن تكون داهية كبيرة، ترسم الخطط ، وتنفذها بكل هدوء وذكاء."[77] فالنساء خاصة العواجيز منهن، واسعات التجارب والحيل، شديدات المكر والدهاء، وقد صدق المثل القائل: "كِيدْ ٱلنِّسَا مَا يَتَنْسَى".

الحكـــايـــــة الثـــانيـــة

ومما يحكى أيضا عن مكر المرأة العجوز ودهائها، الحكاية التي روتها لي السيدة خضرة الطاهري، وهي كالآتي:

"كان يا ما كان في قديم الزمان، إسكافي متزوجا بامرأة في غاية الجمال، ولشدة تعلقه بها وافتتانه بجمالها، كان لا يرفض لها طلبا، وكان لا يذهب إلا إذا حمل صورتها معه. وكان للإسكافي صديق، وهو أمير، وكان الإسكافي يتقن صناعة الأحذية الخاصة بالأمير وعائلته. بالصدفة، رأى الأمير صورة زوجة الإسكافي، ومنذ ذلك الحين وهو يتردد على محل الاسكافي، مفكرا في حيلة يستطيع من خلالها مقابلة صاحبة الصورة.

مرت عجوز بمحل الإسكافي، فاستغربت وجود الأمير هناك، خاصة وأنها استطاعت أن تعرف بأنه لا يبرح الدكان، فاقتربت منه وسألته بينما كان الإسكافي منشغلا:

---

77 – طلال حرب، بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، ط. 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999م، ص. 264.

– أيمكنني معرفة ما سر جلوسك مع هذا الإسكافي؟ فأنت أمير ولا يليق بك المقام هنا.

فأجابها دون تردد:

– إن بحوزة الإسكافي صورة امرأة غاية في الجمال، وقد ملكت قلبي منذ أن رأيتها لأول مرة. قالت العجوز:

– هكذا إذا! وماذا ستعطيني إن أنا أخبرتك بمكانها؟. أجاب الأمير بلا تردد:

– كل ما تطلبينه أيتها العجوز.

طلبت العجوز من الأمير أن يمهلها بعض الوقت، ولما انتهى الإسكافي من عمله، وقفل عائدا إلى المنزل، تبعته العجوز، واستطاعت أن تعرف مسكنه، وفي الغد وبينما كان الإسكافي قد ذهب لعمله، طرقت المرأة العجوز على زوجته باب دارها، فخرجت المرأة، وقد كانت آية في الجمال، فقالت لها العجوز:

– أ أنت زوجة الإسكافي؟. أجابت الزوجة:

– نعم.

اقتربت منها العجوز وهمست في أذنها:

– إذا أحضرت لك ابن الملك، فما يكون قدر مكافأتك لي؟. أجابت الحسناء وهي مندهشة:

– الأمير! سأعطيك كل ما تطلبينه.

غادرت العجوز المكان، وفي الصباح الباكر، ذهبت العجوز إلى الأمير، وقادته إلى منزل الحسناء، من دون أن تخبره بأنها زوجة صديقه الإسكافي، وأخبرته بأن الطريق أمان، فأخذت مكافأتها وانصرفت.

دخل الأمير عند الحسناء في غياب زوجها، فاعتاد على زيارتها، وكانت كلما أحست بقدوم زوجها لفته في حصير، وأوقفته خلف الباب، إلى أن ينصرف الزوج فيخرج من مخبئه. بدأ الإسكافي يشك في تصرفات زوجته، لأن حالها قد تغير، وأصبحت سريعة الغضب.

وفي يوم من الأيام، بينما كان الإسكافي في طريقه إلى المنزل، التقى بوالد زوجته وأخذه معه إلى المنزل، فشكا له حال زوجته وهو يتألم، فنصحه والدها اللبيب بالصبر. فسمع الأمير الملفوف في الحصير الحوار الذي جرى بينهما، فتأكد من أن صوت الرجل هو نفسه صوت صديقه الإسكافي، ومنذ ذلك الحين لم يعد الأمير إلى زيارة زوجة صديقه، وقد ندم ندما شديدا على ما فعله، أما زوجة الإسكافي التي غواها المال والجمال، فقد عاقبها الله على خيانتها لزوجها، بأن سقطت من أعلى الدرج فماتت."[78]

المرأة العجوز في هذه الحكاية، لم تأبه بتقاليد الزواج ومواثيقه، وقد شاركت في جريمة شنعاء، كان الغرض منها إشباع الرغبة الجنسية للأمير، وإشباع طمع الزوجة الجميلة، ومما ساعد العجوز الشمطاء على تنفيذ خطتها، هو طمع الزوجة التي سولت لها نفسها ارتكاب المحرم، فكانت نهايتها نهاية متوقعة، عقابا لها لأنها داست على كرامة زوجها، بل داست على قدسية الزواج.

فصورة المرأة العجوز مثل باقي الصور التي نعرضها من خلال حكاياتنا الشعبية التي حصلنا عليها، بحيث " ينسج خيوطها الواقع المتجدد، بقدر ما يساهم في رسمها التراث والثقافة السائدة وتوجهات المجتمع. وهي غير مستقلة عن الأسس التي تحكم العلاقات الزوجية والروابط العائلية بصفة عامة."[79] فنجد كل واحد منا ينظر إلى الحكاية بالمنظار الذي يناسبه،

---

78 – السيدة خضرة الطاهري، من مواليد 1941، القاطنة بمدينة أبركان.

79 – مبارك ربيع، صورة المرأة في المتخيل الشعبي، سلسلة ندوات ومناظرات، الخطاب حول المرأة، تنسيق: فوزية غساسي، رقم: 65، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص. 114.

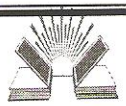

لذا لا يمكن إصدار أحكام قطعية جازمة، خاصة فيما يتعلق بتراثنا الشعبي المتداول بين مختلف الفئات الشعبية، في مناسبات عديدة.

5- صـورة المـرأة الذكيـة أو المشـاكسـة

نعرف جيدا أن المرأة غالبا ما تكون فائقة الذكاء، فبقدر ما هي طيبة ومطيعة، إلا أنها ذات نباهة خارقة، وكثيرا ما تستغل ذكاءها للوصول إلى مبتغاها، هذا الذكاء المليء بالحيل التي تكاد تؤدي بحياتها وبحياة غيرها في بعض الأحيان إلى التهلكة. لكننا يمكن تقسيم ذكائها هذا إلى قسمين: فإذا كان فيه نوع من المشاكسات والحيل اللطيفة، قصد إبراز قدرتها للغير، فهو ذكاء محمود لا ضرر فيه. أما إذا كان عكس ذلك، بحيث يهدف للإساءة للغير من أجل الحصول على ما ليس لها، وتلبية نزواتها، فهو ذكاء مذموم لا نفع فيه. فمن خلال هذين النوعين تتضح لنا صورة المرأة سواء السلبية أم الإيجابية.

فنوع هذه الحكايات المرحة تشبه النوادر المليئة بالدعابة والطرفة الساخرة، وأحداثها غالبا ما تدور حول الحياة اليومية، وهي بسيطة في بنائها، سهلة التداول في مجالس المسامرة. وهي تتميز " بالنزوع نحو لفت الانتباه في إنجازها إلى قصدية التركيز على تقديم شرائح من النساء يتصفن عموما بممارسة متمردة على الثوابت وفرض الندية على الرجل وإن على المستوى الفردي."[80] ولنتعرف أكثر عليها سنعرض للحكاية الآتية التي روتها لي السيدة بوشفر الياقوت، ربة بيت، من مواليد 1966، القاطنة بمدينة وزان:

---

[80]- مصطفى يعلى، وظائف المرأة في الحكاية المغربية المرحة، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة والإتصال، مطبعة دار المناهل، عدد 65/64، السنة 25، شعبان 1422، ماي 2001، ص. 253.

الحكـــايـــة الأولـــى ***"المرأة التي وضعت الشيطان في قارورة ":***

"يحكى أنه كان في قديم الزمان امرأة فائقة الجمال، تعيش مع والدها العجوز، وتقوم بالاعتناء به، وقد كانت امرأة ذكية لا أحد يستطيع خداعها، حاول العديد من الناس نصب أشراك لها ليسخروا منها لكنهم لم يفلحوا في ذلك، وكان يسكن بجوارها أحد السحرة.

قصده شبان القرية فأخبروه بأنهم سيكافئونه إن هو استطاع الإيقاع بها. جرب الساحر جميع حيله لكنها لم تنجح، ولم تنطل عليها، وبينما هو جالس يفكر فيما سيفعله، ظهر له الشيطان، فعرض عليه مساعدته، شكره الساحر، فذهب الشيطان عند المرأة، وعندما رأته خافت في البداية لأن شكله كان بشعا مخيفا، لكن سرعان ما استعادت قواها، فأخذا يتبادلان أطراف الحديث، فكان الشيطان طوال حديثه يتباهى بقوته وذكائه، فقالت له المرأة الذكية:

– هل لي أن أرى قوتك هذه التي تتحدث عنها؟. قال الشيطان:

– بالطبع، ولكن إذا حققت رغبتك فسوف أقتلك؟.

وافقت المرأة على شرطه وقالت له:

– أريد أن أراك وحشا كبيرا لم أر مثله من قبل.

وسرعان ما تحول الشيطان إلى عملاق بسبعة رؤوس، فحملها بين يديه وقال:

– الآن سآكلك. أجابت المرأة الذكية:

– بالطبع ستأكلني ولكن عندي طلب آخر. فقال لها:

– و ما هو؟. أجابته:

– بما أنك استطعت أن تتحول إلى وحش مرعب، فهل يمكنك التحول إلى فأر صغير؟.

ضحك ضحكة هزت المكان، وأجابها:

– بالطبع أيتها المسكينة.

وسرعان ما تحول إلى فأر صغير لا يظهر للعيان، وقالت له: هل بإمكانك دخول هذه القارورة؟ فأجاب مستهزئا:

– بالطبع أستطيع فعل ذلك. وبعد دخوله في القارورة التي كانت في يدها، أحكمت عليه سدادتها وحبسته داخلها، فخرجت إلى أهل القرية فأخبرتهم بما حدث، وقد أخذ الشيطان يطلب المساعدة منها، فأشفقت لحاله وأطلقت سراحه، ومنذ ذلك الحين لم يعترض طريقها أحد."[81]

تحمل هذه الحكاية بين ثناياها صورة المرأة الذكية التي استغلت فطنتها، واستطاعت أسر الشيطان في قارورة، والحكمة من هذا أنه لا يجب احتقار من هو أقل شأنا منا، فالمثل الشعبي يقول: " لَعْمُودْ اَلِّي تَحْكْرَهْ يَعْمِيكْ". فبالرغم من محاولات الحاقدين للإيقاع بها، إلا أنهم لم يستطيعوا إيذاءها ولا النيل منها، لأنها كانت امرأة طيبة لا تؤذي أحدا ولا تعتدي على حقوق الغير.

الحكـايـة الثـانـية

هذه الحكاية حكتها لي السيدة قدوري فاظمة، من مواليد 1945، القاطنة بمدينة أبركان:

"كان في قديم الزمان، أحد الرجال الأغبياء يدعى "**لَقْرَعْ**"، توفي والده وترك له ثروة كبيرة، لكن عمه استولى على ماله، ولم يترك له سوى بيت قديم، وفي يوم من الأيام خرجت حاكمة البلاد في رحلة، لكن الرياح كانت قوية، والمطر كان غزيرا، فلم تستطع العودة إلى قصرها، لذا توجهت نحو القرية التي كان يسكن فيها "**لَقْرَعْ**"، وبالصدفة وجدت "**لَقْرَعْ**" في طريقها، فاستضافها من دون أن يعرفها بأنها حاكمة البلاد، لكنه أخبرها بأنه لا يملك مالا ليعد لها واجب الضيافة، لأن عمه الغاشم استولى على حقوقه، فطلبت منه أن يذهب إلى عمه ويطلب منه أن يعد له طعاما لضيوفه، مقابل أن يشتغل عنده عاما كاملا بدون أجر.

---

[81] – السيدة بوشفر الياقوت، من مواليد 1966، القاطنة بمدينة وزان، يوم الإثنين 9 يناير 2006.

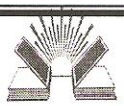

فعل"لَقْرَعْ" ما أمر به بصدر رحب، وطلب من عمه ذلك، وبعد تردد وافق العم، فأعد له العشاء، فأكلت الحاكمة ومن معها، وفي الصباح الباكر، قالت لـــ"لقرع"، إذا قال لك عمك تعالى لتشتغل، فلا تذهب، وقل له:

- اذهب واشتكيني للحاكمة، وقد عرفته بنفسها.

قبل "لَقْرَعْ" يديها، وعمل بنصيحتها، استغرب العم الظالم ردة فعل "لَقْرَعْ"، ثم سارا في طريقهما إلى قصر الحاكمة، وفي هذه الأثناء، وجدا حمارا يحاول صاحبه أن يوقفه، فأراد "لَقْرَعْ" المساعدة، فأمسك ذيل الحمار، فخلعه، فطلب منه صاحب الحمار أن يعوضه، فقال "لَقْرَعْ":

- اذهب واشتكيني للحاكمة.

فذهب الثلاثة جميعا، وفي طريقهم، بدأ المطر يهطل بغزارة، فاستضافهم رجل كان بالجوار، ولما أدخلهم لمنزله، جلس "لقرع" على طفل صغير كان تحت الحصير، فقتله، ولما طلبوا فديته قال لهم:

- أنا لا أملك مالا، اذهبوا واشتكوني للحاكمة.

فذهبوا كلهم للحاكمة، ولما كادوا أن يصلوا فكر "لَقْرَعْ" في الانتحار لأنه خاف من العقاب، فصعد إلى مكان مرتفع وألقى بنفسه من فوقه، وإذا به يسقط على فقيه كان يعلم الصبيان وقتله، فتبعه الأطفال وذهبوا يشتكونه للحاكمة. ولما وصلوا، قال صاحب الحمار للحاكمة:

- أنا أريد حماري. فقالت له:

- لا بأس سنعوضك بحمار آخر. بشرط أن تترك حمارك القديم.

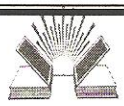

لكن الرجل لم يرض بذلك لأن حماره القديم كان يعرف الطرق بسهولة، فانصرف من دون أن يأخذ شيئا. ثم قال الرجل الذي قتل "لقرع" طفله:

– أنا أريد فدية تعويضا عن ابني المقتول. فقالت له الحاكمة:

– وأين كان ولدك؟. أجابها:

– كان تحت الحصير.

حينها نادت على الحراس وقالت:

– خذوه إلى السجن وعاقبوه، لأنه فرط في ابنه بوضعه تحت الحصير.

أما الأطفال الذين مات مدرسهم، فقالت لهم الحاكمة:

– العين بالعين والسن بالسن، سيجلس "لَقْرَعْ" مكان مدرسكم، واقفزوا من المكان الذي قفز منه لكي تقتلوه.

خاف الأطفال من فعل ذلك، وعادوا إلى ديارهم. أما العم الغاشم، لما سمع الأحكام كلها، عرف بأنها حاكمة عادلة، وستكشف أمره، فأراد الفرار، لكنها أمرت جنودها أن يمسكوه، فقالت له:

– أنت ستنال عقابك لأنك سرقت أموال ابن أخيك، أتدري، أنا هي الحاكمة التي أعددت لها الطعام مقابل أن يشتغل عندك "لَقْرَعْ" بدون أجرة.

وهكذا نال العم الغاشم جزاءه، واسترد "لَقْرَعْ" أملاك والده."[82]

إن المرأة الحاكمة استطاعت بذكائها، أن ترد الجميل لـــ"لَقْرَعْ" الذي استضافها، فقد حكمت حكما عادلا في القضايا التي طرحت بين يديها، وقد كانت كلها لصالحه. أما العم الظالم فقد نال جزاءه بعد أن أعيدت الأملاك لابن أخيه، حسب الشرع والقانون.

---

[82] – قدوري فاظمة، من مواليد 1945، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الأحد 5 فبراير 2006، على الساعة الثالثة بعد الزوال.

الحكـــايـــة الثـــالثـــة

أما حكاية "**كيد النساء**" الأولى فهي كالآتي:

"يحكى أن طفلا كان يتيم الأبوين وكانت أخته المتزوجة هي عائلته الوحيدة التي أصبح يحيى في كنفها، ولما بلغ سن الرشد أفصح لها عن رغبته في الزواج ولكنها نصحته قائلة:

– عليك بالصبر يا أخي، فأنت لا زلت غير مهيئ لمسؤولية الحياة الزوجية. ولما كان الأخ مصرا على التشبث برغبته، فإن أخته أجابته بالسؤال الآتي:

– أنت تحسب أنك ذكي، أليس كذلك؟ غير أنك سهوت عن الحقيقة قوة النساء التي لا تعرف الرحمة ولا الشفقة.

سألها الفتى وهو حائر:

– أين تكمن هذه القوة؟

قالت الأخت:

– سأبين لك ذلك من خلال تجربتي مع زوجي، أما الآن فاذهب إلى السوق لشراء سمك جيد.

لبى الفتى أمر أخته، إذ سرعان ما أتى بالسمك الذي رغبت فيه. خبأت الزوجة السمك تحت ثوبها، وبعد ذلك طلبت من أخيها أن يرافقها إلى الحقل لكي تحمل الطعام إلى زوجها. كان الرجل يشق الأرض بمحراثه، لما سمع صوت زوجته وهي تناديه:

– أترك جمالك وتعالى لتناول غذائك. توقف الرجل عن عمله، ومضى ليقعد إلى جانب زوجته وشقيقها. قالت الزوجة وهي تقدم الطعام:

– رأيت في منامي الليلة الفارطة أننا أقمنا حفلا بهيجا. اكتفى الرجل بأن أجاب قائلا:

– سيأتي يوم نحتفل فيه إنشاء الله. وأثناء تناول الزوج طعامه، قامت المرأة وأمسكت بالمحراث متظاهرة باستئناف الحرث، استغلت فرصة عدم نظر الزوج إليها فقامت بدفن

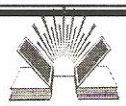

السمك في الأخدود الذي شقه المحراث قبل حين. وبعد أن فرغ صاحبنا من الأكل نهض إلى عمله، وأما الزوجة فقد أخذت طريقها عائدة إلى منزلها صحبة أخيها. لكن ما إن ابتعدا قليلا حتى رجعا على عقبيهما بعد أن سمعا صوت الرجل، فسألته الزوجة وقد بدت عليها علامات الاندهاش المصطنع:

– هل حدث لك شيء؟

أجاب الزوج:

– لقد عثرت على السمك تحت التراب، وكأن الله شاء أن يمدنا بعونه على إقامة الحفل الذي تحدثنا عنه سابقا، عودي إلى المنزل وأعدي كل شيء هذه الليلة، وجهي الدعوة إلى الفقيه وإلى تلاميذه قصد حضور الحفل.

عاد الأخوان إلى المنزل. وطبخا السمك وأكلاه، ثم أخفيا الفضلات. ولما عاد الزوج من حقله مر بالمسجد وقال للفقيه:

– إنه لمن الفخر أن أدعوك أنت وتلامذتك لحضور الحفل الذي أقمته. وبعد أن قبل الفقيه دعوته، وصل إلى المنزل رفقة ضيوفه وتوجه إلى زوجته وسألها:

– هل أعددت الشاي والأكل، والبخور والعطور؟

نظرت إليه في اندهاش وقالت:

– ولماذا أفعل ذلك؟

نظر إليها الرجل غير مصدق وقال:

– ألم نتفق من قبل على إقامة الحفل؟

قالت الزوجة:

– وبأي شيء سنقيمه في نظرك؟ وهل اشتريت اللحم والسكر والشاي؟

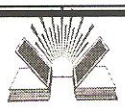

لم يصدق الزوج أذنيه فقال:

- لكن ألم أعطيك في منتصف النهار، وفي الحقل، السمك الذي عثرت علية بين الأخاديد التي شقها المحراث؟

أجابت المرأة وهي تتصنع الدهشة:

- هل حدث يوما ما أن سمع أحد بعثور رجل على السمك في أرض قاحلة؟

ازدادت حيرة الرجل وتضرع إلى امرأته قائلا:

- أترومين أن أجن؟

تظاهرت الزوجة بالجزع الشديد فتوجهت إلى الفقيه قائلة:

- أرجوا منكم ألا تفارقوني وقد جن زوجي! وإلا فهل يمكنكم أن تتصوروا وجود السمك في الحقل؟

صدق الضيوف حجتها ووثبوا على الرجل وأودعوه في سرداب خشية من ارتكاب هذا المجنون حماقة ما. بعد ذلك انصرف كل واحد منهم إلى منزله. وفي المساء أخذت الزوجة طاحونة من الحجر وقصدت إلى جوار فوهة السرداب، وشرعت في طحن حب اللوبياء. كان هدير الطاحونة يتسرب إلى السرداب حتى ظنه المحجوز دوي الرعد. وكانت المرأة الكائدة من حين لآخر تتوقف عن الطحن لتمرر بسرعة فوق فوهة السرداب خشبة مشتعلة حتى توحي للرجل بصورة البرق. وفي الأخير قامت الزوجة بسكب كمية كبيرة من الماء حسبها الرجل وابلا من المطر مما اضطر إلى الانزواء في ركن من السرداب.

أتاه أصدقاؤه في صباح الغد يسألونه عن أحواله الصحية، فأجابهم صائحا:

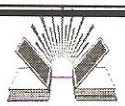

– أحمد الله على أني لم أصب بأي مكروه، إن الشيء الوحيد الذي يحز في نفسي هو اعتقادهم أني استحلت إلى مجنون، ولكن لتطمئنوا من هذه الناحية فأنا في كامل قوتي العقلية، ولكن أخبروني عما إذا كان الحقل لا زال مثلما كان في الليلة الفارطة؟

سأله أصدقاؤه في استغراب:

– ما قصدك؟

أجاب قائلا:

– بما أن السماء قد أرعدت وأبرقت وأمطرت، فإن الأرض كلها قد انقلبت وصارت وحلا.

أجابوه وقد اقتنعوا بحمقه:

– ليكن الله في عونك!

ثم تركوه محتجزا في سردابه الذي لم يخرج منه بعد أن مر أسبوعان.

لقد كان ذلك بالنسبة للفتى برهانا على قوة أخته، فلقد ظل يفكر في ذلك مدة طويلة، حتى انتهى إلى النتيجة التالية:

– لن أتزوج بطبيعة الحال، ذلك أن قوة النساء لا تعرف حقا الرحمة."[83]

نلاحظ أن بطلتنا استطاعت من جديد أن تبين عن قوة ذكائها، وإثبات دهائها لشقيقها الذي اقتنع بكلامها، فعرف " أن قوة النساء لا تعرف حقا الرحمة "، فكانت النتيجة أن عدل الشاب عن فكرة الزواج. ربما تكون هذه الحكاية تقدم لنا صورة المرأة على أنها سيئة، خالية بلا رحمة، لكن من جانب آخر يمكن القول إن دورها كان إيجابيا لأنها استطاعت من خلال ما فعلته بزوجها، أن تقدم درسا لأخيها الذي أراد تحمل المسؤولية قبل الأوان.

---

[83] – موسى أغربي، من حكايات البربر الشعبية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 65، سلسلة بحوث ودراسات 19، وجدة 2003، صص. 82-83-84-85.

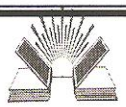

الحكـــاية الـــرابعـــة

هذه حكاية أخرى تثبت هذه القوة التي تتميز بها المرأة، وهي "**كيد النساء**" الثانية:

"يحكى أن ثلاث أخوات توجهن ذات يوم إلى الطريق المفضي إلى المدينة، قصد اصطياد أحد المغفلين، ولما وصلن إلى أسوار المدينة توقفت كبراهن متظاهرة بأنها تنتظر أحدا، وبعد لحظات مر بها شاب قروي كان يسوق حمارا محملا بأكياس القمح. ولما التقى بها حيته المرأة وقالت له:

– واها يا ابن عمي العزيز، أين كنت؟ وإلى أين وجهتك الآن؟

أجابها الشاب:

– أتوجه إلى السوق لبيع القمح.

استطاعت المرأة الخبيثة بعد إغراء الشاب وخداعه بالكلمات، أن تقنعه بأن يسير في أثرها خاصة وأنها وعدته بأن تشتري منه كل ما يحمله من القمح بثمن غال.

كانت المرأة والفتى الساذج يسيران في أزقة المدينة الضيقة حتى الوصول إلى باب منزل، أمسكت بلجام الحمار وقالت للقروي:

– انتظرني هنا لحظة ريثما أفرغ من إنزال الحمل في فناء الدار. وبعد ذلك اختفت المرأة في الدروب.

مضت مدة طويلة في انتظار عودة المرأة الكائدة حتى ظهرت الأخت الثانية التي حاولت أن تتظاهر بأن لقاءها بالفلاح خضع لمحض الصدفة وقالت له:

– ما أنت فاعل هنا؟

رد وهو يشير إلى مدخل الفناء:

– لقد بعت القمح لابنة عمي ولذلك بقيت هنا أنتظرها حتى تعود إلي بالدراهم.

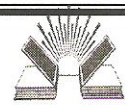

قالت له:

- إذن ستظل هنا أبدا الدهر في الانتظار، نعم إني أعرف هذه المرأة! إنه لمن الأفضل أن تتبعني حتى أجد لك منفذا من ورطتك.

وفي غضون ذلك سحبت يده وقادته إلى فناء آخر حيث توجد بئر وقالت له:

- إذا كنت قادرا على النزول إلى هذه البئر وسحبت سوارا كان قد سقط مني وأنا أجلب الماء، فإني سأكافئك بالمبلغ الذي تطلبه ثمنا لقمحك.

خلع الشاب عنه ثيابه، وبمساعدة المرأة لف حبلا حول خاصرته ونزل إلى البئر، ولم يكد ينزل حتى أخذت ثيابه وأسرعت بها إلى السوق لبيعها.

ولما فطن الشاب إلى لعبة الفخ التي وقع فيها، وأمام تعذر الخروج من البئر دون مساعدة، فإنه أخذ يصيح بأعلى صوته طلبا للنجدة، مر بعض الوقت دون أن يمر به أحد، إلى أن مرت به هذه المرة الأخت الثالثة وقالت له:

- سأساعدك على الخروج من هناك إن عاهدتني من قبل على الزواج.

قبل الفتى شريطة الخروج من ورطته. وبعد خروجه أمرته المرأة قائلة:

- إن ما يجب القيام به قبل العرس هو الذهاب إلى السوق قصد شراء مفروشات المنزل وأثاثه.

وبعد ذلك مباشرة قادته إلى "بازار" تاجر كبير حيث يتوفر كل ما يحتاجه بيت الزوجية. شرعت الفتاة في اقتناء كل ما راق لها من الألبسة والأواني والأثاث والمفروشات. وجمعت كل ما قدرت على حمله وتهيأت لمغادرة " البازار " وأمرت الفتى الشقي بأن لا يغادر مكانه حتى عودتها والنقود بيدها.

ولما مرت ساعات عديدة ولم يظهر أثر للمرأة، فإن التاجر اشتم رائحة مكيدة، فتوجه إلى الفتى ***قائلا***:

– لماذا تأخرت امرأتك كثيرا؟

كان الشاب مرتبكا ويائسا، واعترف للتاجر بأنها ليست امرأته، بل إنه لا يكاد يعرفها، اشتد الغضب حينئذ بالتاجر فرفض الإصغاء لما زعمه من براءته، فقام بإحضار رجال الشرطة الذين أسرعوا للقبض عليه ووضعه في مكان آمن.

ولما علمت المرأة الكائدة بما جرى ذهبت ليلا إلى المقبرة ونبشت قبر طفل دفن قبل أيام وأخرجت جثمانه ولفته في قطعة من الثوب حملتها لهذه الغاية، وفي الساعة الأولى من صباح الغد حضرت إلى " البازار " وسألت التاجر بنبرة مشوبة بالوعيد:

– أخبرني بما فعلته بزوجي!

أجاب التاجر مضطربا:

– موجود في السجن.

تظاهرت المرأة حينئذ بالإحساس بالغضب ووثبت عليه مما أجبره على الدفاع عن نفسه، وأثناء العراك تركت الطفل الميت يسقط منها في الوقت الذي انخرطت في عويل شديد، وهي تتهم التاجر بقتل طفلها الوحيد.

وفي الختام انتهى الأمر بهذا الرجل المسكين إلى مثوله أمام العدالة، واعترافه بجريمة قتل الطفل التي قادته إلى السجن، ومن الناحية الأخرى أفرج عن الزوج المزعوم الذي أخذته حينئذ الرأفة بهذه الفتاة فقرر الزواج منها واضعا بذلك نهاية سعيدة لهذه المغامرة."[84]

---

[84]– المرجع السابق، صص. 86-87-88.

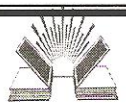

إن المرأة هنا استطاعت بذكائها أن تحتال على الرجل المسكين، فقد جردته من زاده في الوهلة الأولى، ومن ثيابه في المرة الثانية، بل تجاوزت ذلك المرة الثالثة وتسببت في دخوله إلى السجن بعد أن غادرت وتركته من دون نقود مما اضطر صاحب "البازار" إلى إحضار الشرطة، ولولا إشفاقها عليه لكان لمكث في السجن، مما اضطرها إلى نصب شراك للتاجر الذي دخل السجن من غير ذنب. فوسيلة المرأة لكسب قوتها في حكايتنا هي الاحتيال والمكر والخداع، وسلاحها في ذلك ذكاؤها وأسلوبها القادر على الإقناع.

الحكـــاية الخـــامســـة

ومن الحيل الأخرى التي قامت بها المرأة، والمثيرة للضحك ما جاء في حكاية: "**المرأة والدجاجتان**":

"كان ذات يوم رجل "أمازيغي" يجلس عند باب خيمته، ولما دنا منه مسافر كان يمر من هناك ليسأل عن مأوى، رحب به الأمازيغي في خيمته، وذبح من أجله ــ وفقا لما جرت به الأعراف الجميلة ــ دجاجتين يبعث بهما إلى زوجته قصد إعدادهما للضيف إعدادا جيدا.

وخلال إعداد هاتين الدجاجتين، خرج "الأمازيغي" يلتمس نصيبا من العسل في خلايا النحل، إذ أن العسل يعتبر شرطا لا مندوحة عنه للترحيب بالضيف، جلست المرأة تسعر النار لطهي الدجاجتين بينما كانت تحزم طفلها فوق ظهرها بتنورتها الداخلية مثلما تعودت النساء "الأمازيغيات" فعله أثناء عملهن.

وكان الطفل سرعان ما يستيقظ من نومه ويشرع في البكاء قصد لفت انتباه أمه إليه، ولكن هذه كانت منهمكة في عملها، ولم تكن لتعيره أي أهمية، غير أن صياح الطفل كان يزداد كل مرة حدة مما أغضب المسافر ودفعه إلى نهر المرأة قائلا:

– ما الذي جرى لهذا الطفل الذي كثر بكاؤه؟ أعطيه ما يرغب فيه حتى يدعنا في أمن وسلام.

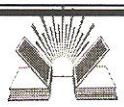

أجابته المرأة:

– اسمع سيدي، إن قضية هذا الطفل هي أنه يأخذ في البكاء كلما أبصر رجلا غريبا في خيمتنا، وليس هناك من وسيلة لتهدئته إلا حينما يعود أبوه الذي يقوم بجز أذني ضيفه وتقديمهما له لكي يلهو بهما.

وما أن سمع المسافر قولها حتى نهض في وثبة واحدة وأطلق ساقيه للريح وهو مذعور، وأما المرأة فإنها أسرعت إلى إخفاء الدجاجتين عن عيني زوجها الذي عاد في هذه اللحظة يحمل عسله، ولما لاحظ غياب الضيف سأل زوجته فأجابته بكل طلاقة:

– لقد هرب بعد أن أخذ مني الدجاجتين.

ومن دون تردد لحظة واحدة، أخذ "الأمازيغي" يجري وراء الهارب، في الوقت الذي كان يعلو صراخه وهو يحاول إيقافه بالكلمات الآتية:

– هب لي واحدة على الأقل.

غير أن الرجل الهارب لما سمع كلامه، لم يداخله شك في أنه يقصد أذنه فزاد من سرعة خطواته.

وأما المرأة فقد قيل أنها انتهزت فرصة وجودها في الخيمة وحيدة، فأخرجت اللحم المشوي من مخبئه والتهمته كله بحيث لم تترك منه ولو عظما واحدا."[85]

وهكذا نرى أن المرأة استطاعت مرة أخرى الإيقاع بالرجل، بحيث أقنعت الضيف بأن زوجها سيقتلع أذنيه مما جعله يهرب، ولكي لا يعاقبها زوجها احتالت عليه بأن أخبرته بأن الضيف سرق الدجاجتين وهرب، أما هي فقد تمتعت بأكل الدجاجتين لوحدها.

---

[85]– المرجع السابق، صص. 89–90.

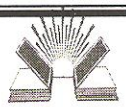

هذه الصورة التي ظهرت بها المرأة الذكية، تبين لنا قوتها وخبرتها في الإيقاع بالآخرين، فهي تصول وتجول في الكيد للرجال معتمدة على المكر والدهاء، دون أن يطولها أي عقاب مثلما هو الأمر في الحكايات السابقة. فهي تتقن وظيفة النصب وجني الثمار المتوخاة من ورائها بلا عسر أو تورط.

6- صورة المرأة المتغطرسة والعنيدة

في مقابل صورة المرأة التي تعرفنا عليها من خلال العنصر السابق، نجد صورة المرأة البليدة / العنيدة التي تدخل في صراع دائم مع الزوج، وقد فضلت تسميتها بالمتغطرسة/العنيدة، لأنها تقوم بدور المغفلة فيكثر شجارها، وتصر على عنادها لإزعاج زوجها، وهذا الدور الذي تقوم به يصور جانبا من الحياة اليومية التي تعيشها فئة اجتماعية معينة، محاولة صياغتها في قالب فكاهي، بل يمكن القول حسب بعض الدارسين، إنها "تدخل ضمن استراتيجية إيديولوجية غير بريئة لا يستطيع السطح الساخر ردمها."[86] ولعل الحكايات التي سنعرضها أقوى دليل على هذه الصورة التي ظهرت بها المرأة.

الحكـــايـــة الأولـــى

"كانت يشو قد أسأمت زوجها الحسن إلى حد اليأس. وفي يوم من الأيام، يوم في سبحة الأصباح العاصفية والأماسي المضطربة، قرر الحسن أن يستهوي زوجته المشؤومة لإيجاد مخرج ناجع من الشجار الذي بات يهدد صحته. فاقترح: لنذهب لزيارة والديك.

[86] – مصطفى يعلى، وظائف المرأة في الحكاية المغربية المرحة، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة دار المناهل، عدد 65/64، السنة 25، شعبان 1422، ماي 2001، ص. 256.

ومن بين ما أخذته يشو هدية للوالدين بغلة شرسة كانت تعيق عمل الحسن، فجهزها لزوجته، وحملا بعض الهدايا، ثم انطلقا يسيران عبر طريق صخري على حافة تقود نحو أسفل الوادي الذي يقسم القبيلة التي ينتميان إليها إلى قسمين.

وكان على الزوج المسالم أن يتحمل ألف حكاية تأنيب خلال مضي قدميه المتعبتين عبر الطريق الوعر الضيق، وإذا اشتكى من عثرة، انطلقت يشو في لجاجها تحتج بأنه في كل القبيلة حارب أجدادها وآباؤها كثيرا من أجل الاستقلال، بل حتى هي نفسها كانت تحمس الرجال الشجعان وتسم الجبناء بعلامة الخزي. لم يجد الحسن طريقا أسهل للعبور من هذا. وخلال اجتياز هذا الطريق، وجدا نفسيهما في مواجهة مع خلافاتهما، مما جعلهما يرغبان في السلام الدائم.

وعندما جف حلق الحسن بسبب محاولة ترويض البغلة وتوجيهها، كانا قد وصلا إلى الجدول المار بقاع الوادي، وبعد أن انتعش الزوج ببرودة ماء الجبل الصافي، حذر يشو:

– عند اجتياز النهر لا تخزي البغلة، ولا تهيجيها، تذكري أنها تركل، وقد تطرحك أرضا.

غير أنها أجابته متحدية:

– من أجل الإله، يا للرغبة في تهييجها، ما دمت تحرص على عدم تعذيبها والإسراع بها.

وبدا كأن تحذير الحسن ليشو لم يكن إلا صلفا منه لذا عندما أصبحت البغلة تسير في النهر على طبيعتها بحرية لتثبيت حوافرها، وبلغت وسط النهر تماما، شرعت يشو تسرع بالدابة، ولما أحست البغلة المتوترة المعجلة بالانزعاج، حملت رجليها الخلفيتين في غير توقع متسببة في فقدان يشو للتوازن ثم السقوط في الماء.

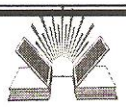

وكما هو طبيعي، فإن تيار النهر الممتلئ جدا في هذه الفترة، جرف يشو نحو الأسفل. لكن الحسن انطلق يجري في الماء نحو الأعلى ملتفا بين الحين والحين إلى التيار المضطرب، إلى أن التقى بمار استفسره:

– ألم تر امرأة جرفتها المياه؟

بيد أن الرجل أجابه:

– لكن هل أنت مجنون يا سيدي؟ لاحظ النهر يجري إلى هناك، نحو الأسفل.

فبرر الحسن:

– لا، لا، إن زوجتي بالنسبة إلي هي روح العناد. فليبحث النهر عن مصبه نحو الأسفل، أما زوجتي فتريده يسير إلى الأعلى.

ومن أجل هذا العناد المستعصي، ذهبت يشو إلى الشيطان."[87]

هذا الدور الذي أنيط بالمرأة دليل على عنادها، وقد لقيت جزاءها لأنها لم تستمع لكلام زوجها، فقد اختارت النكد والتسلط لإزعاج الزوج المسكين، وفضلت الموت على أن تنقاد لرأي زوجها. ولعل خاتمتها "رسالة موجهة إلى كل امرأة تعكر صفو الرجل، أو تسول لها نفسها ذلك."[88] هكذا كانت نهاية يشو التي تمثل المرأة العنيدة الطامحة للسيطرة والتمرد والتسلط.

87– المرجع السابق، صص.257-258-259.

88– المرجع نفسه، ص.260.

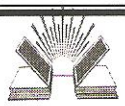

الحكـــاية الثـــانية

"اشترى "**قبايلي**" لحما من السوق، وعاد مبكرا إلى بيته من أجل إكرام زوجته. فطبخته فرحة، وعندما جاء الزوج ليلا لتناول العشاء، جلس إلى المائدة ورائحة الطبيخ تفوح. وفي هذا الوقت أثارت الزوجة الحوار التالي:

- هل أغلقت الباب جيدا عند الدخول؟

- لا. نسيت أن أفعل. اذهبي وتداركي الأمر.

- لا. من أجل الإله! يجب أن تقوم أنت لتذهب وتغلق الباب.

- لا. فقط لن أذهب. إلا أنني آمرك أن تذهبي لإغلاقه.

إثر صمت قصير، اتفق الاثنان في قولهما:

- أقسم أنني لن أغلق الباب، ومن يفتح منا أولا فمه أو يتكلم سيذهب لإغلاقه...

سكتا معا في هيئة تدل على خصامهما الذي تفضحه أيضا شفاههما التي لا تخرج منها أية نامة.

مر متسول يستعطي إحسانا، وبما أنه رأى الباب مفتوحا، دخل البيت. رأى الزوجين متخاصمين ولا يتحدثان، ويعطيان ظهرهما لبعضهما، من غير لمس الطبق اللذيذ القابع في مكانه. ودون أن يعبأ بهذا المشهد، جلس إلى المائدة وشرع يأكل. وبما أنه وجه مجموعة من الأسئلة إلى الرجل من غير أن يجيبه، لهذا عندما شبع تناول العظم المتبقي ووضعه تحت لحية الزوج، ثم انصرف.

ولدى خروجه عثر في كلب قادته حاسة شمه حتى المائدة، حيث لعق الصحن الخاوي تقريبا، وأخذ العظم المعلق في لحية الرجل. حينئذ نطقت المرأة لإفزاع الكلب:

- تسس...

فأصدر الزوج الحكم:

- بما أنك أول من تكلم، فاذهبي لإغلاق الباب."[89]

إن دور المرأة في هذه الحكاية، يكشف عن شخصية المرأة العنيدة، التي خرقت العادة بعصيان أمر زوجها، فكان العقاب أن دخل المتسول فأكل طعامهما، ولحق به الكلب فاستولى على العظم. وبما أن المأدبة كما فهمنا من الحكاية أقيمت على شرف الزوجة، لأن الزوج أراد الاحتفاء بها، فقد كانت هي الخاسرة، لأنها فقدت الطعام، كما فقدت الرهان لأنها من تكلم أولا، وهذا كان عقابها. فمجتمعنا أيضا يدين المرأة التي تعصي أوامر زوجها فهي في نظره عاصية وعنيدة، لذا تستحق العقاب.

الحكاية الثالثة

"رغم أن مماس كانت شريرة، إلا أن رجلا تزوجها. وقد أدى ثمن فعلته، حيث صارا يتخاصمان باستمرار ويتضاربان مرارا. وذات يوم تركته مماس الغدارة ينام أكثر وقت ممكن مما هو معتاد، ثم أفزعته وهي توقظه:

- انهض، أوه! يا رجل! إن كل الجماعة غادرت القرية وفرت معجلة.

فشرع الزوج المسكين النائم وهو في حالة فزع، يلم الأثاث ويوزعه في شحن. واستدعت مماس والديها، لتريهما حال زوجها، وأقنعتهم قائلة:

- لقد فقد عقله، إنه أحمق.

فارتموا عليه، وقيدوه، وانتهزت مماس هذه الوضعية المؤسفة، فأهانت شرف زوجها بصورة فاضحة أمام أعينه. وأخذ الزوج المضحك يصيح ويصيح. ولكن الجميع كان يفكر:

- يا له من مسكين! إنه أحمق.

---

[89]- المرجع نفسه، صص. 260-261-262.

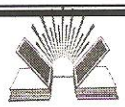

وظل عدة أيام على تلك الحالة، إلى أن تذكر أنه يحتفظ بمقص. فجعل يشحذه، وعندما صار قاطعا ترك الزوج مماس تنام، وعند الفجر كانت قد استغرقت في نوم عميق، فقطع لسانها وعلقه على الدعامة العليا للخيمة. وفي اليوم الموالي جاء والدا المرأة كالعادة، وعندما رأيا ابنتهما مسجية في بركة دم سألاها:

– ماذا وقع لك؟ ماذا حدث؟

ولما لم تستطع أن تتكلم، أشارت إلى الدعامة. وبما أنهما شاهدا اللسان معلقا، فقد احتجا:

– من قطعه لك؟

فوضح لهما الزوج المجبر:

– تشير ابنتكما إلى أن الله هو من علق لسانها."[90]

كما هو واضح، أن المرأة في هذه الحكاية نالت الجزاء الذي تستحقه، لأنها أساءت إلى زوجها، وجعلته أضحوكة للجميع، "إنها تصور هنا ككتلة رهيبة مشخصة من الضراوة والشناعة، فهي معتدية حتى قبل أن يعرفها الرجل ويتزوجها متهورا."[91] فطبيعة المرأة العنيدة دفعتها إلى مصيرها المشؤوم، فأصبحت عبرة لمن يعتبر.

الحكاية الرابعة

"ذات يوم عاد رجل إلى منزله وقال لامرأته:

– هاهو السميد، ستصنعين منه كسكسا، وشعرية من أجل كريم، وكان بقصد بذلك شهر رمضان، الذي سيأتي.

---

[90] – المرجع السابق، صص. 266-267.
[91] – نفسه، ص. 267.

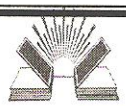

فانخرطت المرأة في العمل، وعندما انتهت من إعداد الكسكس والشعرية، سمعت ضوضاء في الدرب، كان هناك لص. فخرجت فرأته، وسألته:

– ما هو اسمك؟

أجابها:

– كريم.

حينئذ قالت لنفسها:

– إنه جاء للبحث عن المؤونة.

فاستمهلته قليلا، ثم سلمته كل الكسكس والشعرية اللذين أعدتهما، وحينما عاد زوجها، قالت له:

– كريم جاء وقد سلمته كل المؤونة.

– أي كريم؟ كريم سيبدأ بعد شهرين.

في النهاية فهم أنها أعطت كل شيء لرجل يسمى كريم وعندها استشاط غضبا، وأقسم ألا يعود إلى منزله إلا إذا قابل امرأة أكثر بلاهة من زوجته. ثم رحل، ووصل إلى بلد آخر ورأى امرأة

قالت له:

– من أين أتيت أنت؟

– من العالم الآخر.

– ألم تر ولدي. وهل يمكنك أن تمدني بأخباره؟

– أجل إنه عريان وينقصه معطف ومال.

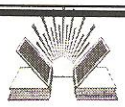

وهنا دخلت البلهاء منزلها وتناولت معطفا جديدا ومالا، وسلمت الجميع للرجل محملة إياه بألف وصية لابنها الذي يوجد في العالم الآخر. فانطلق الرجل فورا في طريق العودة. وعندما رجع زوج هذه المرأة حكت له بأن لديها أخبارا من العالم الآخر وأنها أرسلت إلى ولدها معطفا ومالا. فدخل الزوج في حالة من الغضب الشديد، وركب الحصان ثم انطلق متعقبا الرجل، ولما لاحظ هذا الأخير فارسا يعدو في الطريق، أدرك بسرعة أنه يبحث عنه، وبما أنه كان يجتاز حقل فول فقد أخفى سرته وجعل يقطف الفول، واقترب الزوج منه، ثم سأله:

– يا صاحب الحقل، ألم تر رجلا يمر من هنا حاملا معطفا شكله كذا وكذا؟

أجاب الرجل:

– بلى. لقد مر من هنا، لكنه يمشي مسرعا، سر في هذا المعبر وستلحق به، على ألا تمشي بالحصان لأنه سيسمع صوت الحوافز فيختفي.

استأمنه الزوج، الذي اعتبره صاحب الحقل على الحصان، وانطلق في المعبر. عندئذ امتطى الرجل الحصان وعاد على وجه السرعة إلى منزله. ولما وصل قال لزوجته:

– لقد عدت لكوني عثرت أيضا على امرأة أكثر بلاهة منك.

أما بالنسبة لزوج المرأة الأخرى فقد اجتاز المعبر، ولم يجد الرجل الذي يطارده. وعاد إلى حقل الفول دون أن يجد لا حصانه ولا ذاك الذي اعتقده صاحب الحقل، وهنا رجع ممتلئا خجلا إلى منزله، قال لامرأته:

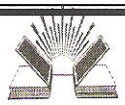

– يا امرأة، لقد كان معك الحق، إن الناس يعودون من العالم الآخر. وقد عثرت على الرجل الذي عاد من هناك وأعطاك أخبارا عن ولدنا، ولكي يلتحق به في أكثر سرعة أعطيته حصاني أيضا."[92]

إن دور المرأة في هذه الحكاية يضع صورتها في قالب ساخر تعبيرا عن سذاجتها وحماقتها، التي تتجلى في كون الزوجة الأولى أعطت المؤونة إلى اللص لأنها اعتبرته الضيف المنتظر، أما المرأة الثانية، فقد قدمت المعطف والمال لزوج المرأة الأولى، ليأخذه إلى ابنها الذي ذهب إلى العالم الآخر. والحكاية استطاعت أن ترسم صورة المرأة البليدة/العنيدة، في قالب حكائي مرح، مستوحى من الواقع المعيش. ولعل هذه الباقة من الأمثال المأخوذة من هنا وهناك تعبر عن صورة هذه المرأة الدائمة العناد، والمشاكسة:

"– آشْ دَّاكْ لَلَّاعْرَاسْ آ مَنْتُوفَة ٱلرَّاسْ يَا ٱلدَّايْرَة ٱلدَّلَّالْ مَنْ خِيزُّو

– حَمْقَا وْحَوَّاقَة

– سَبْعْ نْسَا وَٱلْكُرْبَة يَابْسَة"([93]).

"– خْوِيبَة تْوَنَّسْ وَلَا غْزَالَة تْهَوَّسْ

– حَمْقَا وْكَالُولْهَا زُغْرْتِي

– ٱلسَّحَّارَة غَلْبَتْ ٱلْحَرَّازَة وْذِي بَلْسَانْهَا عَبَّاتُه كُلْشِي."[94]

" – وَاحَدْ دَّا مْرَا، وَاحَدْ دَّا مَرْمْرَة، وَاحَدْ دَّا ضَرْبَة لَلْعَنْكْرَة

– ٱلنَّاسْ فَالْنَّاسْ وْطَامُو فَنْتِيفْ ٱلرَّاسْ

---

[92] – المرجع السابق، صص. 281–282.

[93] – الحسين بن علي بن عبد الله، قصص وأمثال من المغرب، ج. 1 ، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1417هـ 1996م، صص. 8–12–29.

[94] – محمد الشرادي الفاضلي ومحمد القباج، باقة من الأمثال المغربية أو أصالة المغرب عبر أمثاله، د.ت، صص. 140–290–323.

- ٱلنْسا عَشْرَة فِي عْقَلْ
- لَمْرَا شَاوَرْهَا وْلاَ دِّيرْ رَايْهَا
- لَمْرَا نَصّ عْقَلْ " [95].

7- صورة المرأة " ٱلْغُولَة (*)":

هذه الصورة التي تظهر بها الغولة- بصيغة التأنيث - أو المرأة الخارقة، من خلال صورتها في الحكاية الشعبية، هي صورة خيالية لأنها تمنحها صفات خارقة لا وجود لها في الواقع، فاسمها "**ٱلْغُولَة**" يرمز إلى كائن مخيف، ومواصفاتها من خلال الحكايات تدل على عنفها وشراستها، لأنها توصف بكونها ذات قامة طويلة، و شعر مشعث، وأسنان بارزة، لها ثديان متدليتان، لدرجة أنها حين تقوم بعمل ما ترمي بهما خلف ظهرها. فالغولة غالبا ما تكون مصدر خوف للأطفال الصغار، بحيث يقوم راوي الحكاية بصياغة عبارات تهول من صورة الغولة. لكن ما الدور الذي تقوم به الغولة؟ هل ما توصف به الغولة حقيقي أم أنها تملك قلبا فيه شيء من الشفقة و الرحمة؟ ذلك ما سنكتشفه من خلال الحكايات.

إن حكاية "**لِيلَى**" سالفة الذكر، تظهر لنا "**ٱلْغُولَة**" في صورة مرعبة، بحيث كان غرضها الأول أكل الفتاة بعدما سرقتها من أمها، لكن سرعان ما حن قلبها، فاعتنت بـ"**لِيلَى**"، إلى أن صارت شابة، وقد كان غضب "**ٱلْغُولَة**" من "**لِيلَى**" في المرحلة اللاحقة، نتيجة لهروبها، لذلك أحست بالخيانة، فلحقت بها لتقضي عليها. لكن شاءت الصدف أن تتعادل القوتان، لأن كل واحدة منهما كانت - بحكم المعاشرة الطويلة - تكن الحب للأخرى، لذلك طبع عنصر العاطفة والتسامح خاتمة الحكاية في نهاية المطاف، فـ" ٱلْغُولَة " تنازلت عن قرارها، و لم

---

[95] - السيدة قضاض فاطمة، من مواليد 1889، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الأربعاء 10 مارس 2006.

* - ٱلْغُولَة: كائن خيالي خارق، تعطى له صفات المرأة وملامحها داخل الحكاية، ويسمى بالأمازيغية بـ: تَامْزَا.

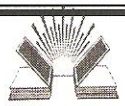

تكتف بذلك فحسب، بل نصحتها بعدم مساعدة الرجل الذي ستجده في طريقها وقد سقط حمل الشعير من على ظهر حماره، وبعدم مساعدة الصقرين اللذين ستجدهما يتشاجران، وهذه النصيحة التي لم تعمل بها ليلى لدليل واضح على حب " **ٱلْغُولَة** " لها وتعلقها بها رغم فراقها الأبدي.

أما في الحكاية الأخرى، فنجد أن " ٱلْغُولَة " التي اعتنـــت بـــ " شَعْبَة خَضَّارْ " بعد أن كانت تائهة في الغابة، لقيت حتفها بعد أن نصب لها أب الفتاة فخا، فـــ"ٱلْغُولَة" لم تؤذ الفتاة، خاصة بعد أن رضعت من ثديها، وقولتها خير دليل على ذلك: "لُو كَانْ مَاشِي حْلِيبْ عِيسَى وْمُوسَى نْدِيرْ لَحْمَكْ فِي لُكْمَة، وَعْظَامَكْ انَّكِّي بِهُمْ سَنِّيَّ"، ولكن هروب الفتاة من عندها، دفعها للغضب فسارعت للحاق بـــ"**شَعْبَة خَضَّارْ**"، لكنها سقطت في الفخ. ولعل غضبها راجع لإحساسها بمرارة الخديعة، خاصة بعدما استأنست بالفتاة التي كانت تساعدها على أشغال البيت، وقد اعتبرتها مثل ابنة لها.

ونعود مرة أخرى لدور " ٱلْغُولَة " في حكاية "**بُوسَبْعْ بْنَاتْ**"، وهذه المرة نرى بوضوح حسن نية " ٱلْغُولَة "، واتفاقها مع الآدميين. فـــ"ٱلْغُولَة" في هذه الحكاية لم تكتف بمساعدة البنات الستة واستضافتهن، بل حمتهن من أبنائها فخبأتهن منهم، إلى أن تأكدت من أن أبناءها لن يتعرضوا لهن بمكروه، فكانت نهاية هذه الصداقة، أن تزوجت الفتيات من أبناء "ٱلْغُولَة"، وبما أن ابنها السابع والأصغر بقي بدون زواج قامت الأخوات الستة بإخباره عن شقيقتهن السابعة، فقام بإنقاذها من "ٱلْغُولْ" فتزوجها.

إن "ٱلْغُولَة" هنا، كما نلاحظ من خلال هذه الحكايات، لم تقم بإيذاء من التجأ إليها، بل كانت ضحية المكيدة والخداع. فصورتها هنا صورة إيجابية بالرغم من أنها توصف بصورة تجعل متلقي الحكاية يخاف منها. ولعل الشيء الذي جعل من "ٱلْغُولَة" أو المرأة الخارقة

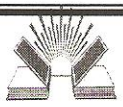

شخصية موحشة ومهابة، راجع إلى شكلها الذي لا وجود له في الواقع بحيث تنعدم فيه صفة الأنوثة، بالرغم من شكل جسدها الأنثوي، وملامحها الآدمية، وكونها تمتلك قوى خفية تمكنها من التغلب على الآخرين والسيطرة عليهم، كما جاء في حكاية "لِيلَى"، فهي تمتلك قوة الريح، وقوة الثلج، وقوة المطر، وقوة الإبر...فهذه القوى هي في الأصل من ضمن الأشياء التي تشكل بيئتنا، إلا أن "الغولة" بإمكانها السيطرة عليها وتسخيرها لحسابها.

ولعل دور "ٱلْغُولَة" في الحكايات دور يسعى إلى تقريب المتلقي أكثر من العالم الخارجي، إذ يمكن اعتبار عالم الآدميين المتكون من الأسرة، والقبيلة، والمجتمع، عالما واقعيا تتعايش فيه الطبقات الاجتماعية. أما عالم " ٱلْغُولَة " الكائن في الغابة المخيفة، كما يتضح من خلال السرد، عالم خيالي و مجهول مليء بالمغامرات، بحيث يكون فيه البطل مجردا من أبسط حقوقه من جهة، وضامنا السلامة والأمان بعيشه في كنف " ٱلْغُولَة " من جهة ثانية، ومن ثم اكتسابه لتجارب عديدة، أولها التعايش مع الآخر، وكسب حنانه وعطفه. ففي حكاياتنا لم يتبين أن الغولة أكلت واحدا من الأدميين، بل ساعدتهم في محنهم، ومنحتهم الأمان.

وسنورد هذه الحكاية -حِكَايَة **خَضْرَة وٱلْغُولَة**-، التي روتها لي السيدة مركُوم يمينة، ربة بيت، من مواليد 1945، القاطنة بمدينة أبركان، لنختم بذلك الصورة التي تشكلت في الذهنية الشعبية عن "**ٱلْغُولَة**":

الحكاية الأولى

"حَاجِيتَكْ مَا جِيتَكْ. يقال إنه كان هناك فتاة في مقتبل العمر تسمى "**خَضْرَة**"، تعيش مع أبيها وزوجته التي كانت تعاملها بقسوة، وذات يوم أرسلتها زوجة أبيها لملء جرة الماء من النبع، وفي الطريق عرفت من صديقاتها أن ابن عمها سيتزوج اليوم.

رجعت "خَضْرَة" إلى البيت بعد أن ملأت جرتها، وتوسلت لأبيها أن يسمح لها بحضور العرس، خصوصا وأنها قامت بكل ما طلب منها من أشغال البيت، وأمام دموعها سمح لها بالذهاب على أن تعود باكرا.

أخذت الفتاة زينتها المتواضعة وتوجهت نحو دار عمها، وفي الطريق التقت بنحلة تصدر أزيزا كالزغاريد، فاتبعت الصوت ظنا منها أنه مكان الاحتفال، وبعد مدة وجدت نفسها داخل غابة "ٱلْغُولَة" حيث أيقنت أنها هالكة لا محالة. لكن سرعان ما ارتمت على صدر "ٱلْغُولَة" ورضعت من ثديها، فقالت "ٱلْغُولَة":

- "قْسَمْتْ بَاللهْ فُمِّي لِّي بْعَثْ عِيسَى وْمُوسَى لُو كَانْ مَا دَمَّكْ تْخَلَّطْ بْدَمِّي، حَتَّى نْدِيرْ لَحْمَكْ فِي مَضْغَة، وْدَمَّكْ فِي جُغْمَة، وَعْظِيمَاتَكْ نَّكِّي بِهُمْ سْنِينَاتِي." بمعنى أنه لولا حليبي الذي رضعته لكنت قد أكلتك.

أخذت "ٱلْغُولَة" "خَضْرَة" وخبأتها في ركن من أركان المطبخ بعيدا عن مرأى أبنائها، وواضبت على إطعامها أحسن ما كانت تصطاده، لأن الفتاة كانت متفانية في عملها داخل الكوخ. لاحظ الأبناء تغير حالة الكوخ، بحيث تحولت رائحته النتنة إلى رائحة زكية، وكذا أصبح الأكل يعد بطريقة جيدة، ورغم بساطته كان المكان يبدو مرتبا.

وفي يوم من الأيام تجرأ أحدهم وسأل والدته عن السر الذي وراء هذا التغيير، فأجابته "ٱلْغُولَة":

- "آ مَمِّي قَا تِيفَاسِّينْ أَيَّمَّاتْوَنْ ثُورْقِمِينْ." أي، يا ولدي هذا من صنع يدي والدتكم المنقوشتين.

استمر الحال على ما هو عليه لمدة طويلة، ولما ماتت "ٱلْغُولَة" كان الإخوة عند عودتهم من الصيد يجدون الطعام جاهزا، والمكان نظيفا. فاتفقوا على أن يقوم أحدهم بالحراسة وألا ينام

ليكشف السر. وفي الغد، بقي الأخ الأكبر ليراقب، لكن داهمه النعاس ولم ير شيئا، وفي الصباح سأله إخوته فقال لهم:

– هذا من عند الله.

وفي الليلة الموالية أنيطت المهمة بالأخ الأصغر، فاستطاع النجاح في مهمته وقد راقب "خَضْرَة" من دون أن تعلم بوجوده، فأخبر إخوته بما شاهده وقد اعتقد أنها أختهم. فناداها الإخوة وقد واعدوها بأنهم لن يؤذوها، فخرجت الفتاة، وأخبرتهم بقصتها كاملة، فأعجب بها الأخ الأكبر فتزوجها، فعاشت في أمان وسلام." "وْهَكْذَا أَنَا دِّيتْ ٱلْجْمَلْ بَالْكُوشَة وَنْتُومَا دِّيتُو ٱلنَّاقَة ٱلْمَغْشُوشَة."[96]

وهكذا انتهت حكايتنا، بعدما استطاعت "خَضْرَة" أن تتأقلم مع عالم "ٱلْغُولَة" التي آوتها بعدما شربت من حليبها، وقد فضلت بعد موت " ٱلْغُولَة " الزواج بابنها الأكبر، في حين لم تفكر في العودة إلى عالمها الأول المليء بالمشاكل، خاصة وأنها أحست بالأمان في حضن عائلتها الجديدة.

8- مقاربة تحليلية لصـور المرأة

من خلال الصور المتعددة الخاصة بالمرأة والتي رصدناها بقراءتنا للحكايات، يمكن القول إن المرأة ركن أساسي داخل الحكاية الشعبية، فهي تصور بدقة دور المرأة داخل المجتمع، لأن ما قامت به من أدوار ليس غريبا عنا، بحيث يمكننا استشفافه من خلال إلقاء نظرة على واقعنا اليومي.

فالحكاية مثل باقي أنواع الأدب الشعبي "ترجمة للروح الجماعية بما يختلجها من أحزان وأفراح، وآلام وآمال، وقلق وطمأنينة، وهلع وسكينة... إنها في النهاية الحامل الأمثل والرافد

[96] – السيدة مركُوم يمينة، من مواليد 1945، القاطنة بمدينة أبركان، يوم الأربعاء 28يونيو 2006، على الساعة العاشرة مساء.

الأقرب لتمثلات الجماعة وفلسفتها ونظرتها للوجود بوجهيه الغيبي والحسي."[97] ولذلك فصورة المرأة في الذاكرة الجماعية تتميز إجمالا بالتناقض والتأرجح، فمن جانب نجد أنها تعتبر مجرد موضوع جنسي ووعاء للإنجاب، فمن خلالها يتمكن الرجل بتأكيد رجولته، ومن جانب آخر نجده يستعين بهذه المرأة التي تساعده على تكوين حياته و تنظيمها، حتى إنه يجعل كل أموره تحت تصرفها. فهي مصدر الخير والشر، وهي النجاح والفشل، وهي التقدم والتخلف، فالرجل والمرأة يشكلان معا ثنائيا متكاملا، بحيث لا يمكن استمرار الحياة على اختلاف نظمها المتعددة، بعزل أحدهما عن الآخر، لأنهما هما اللذان يتحكمان في مصير هذه النظم، ويقودانها سواء إلى النجاح أم الفشل.

فمن خلال الحكايات يمكن استخلاص صورتين للمرأة:

- صورة سلبية، لأنها تعمل على إيذاء الرجل، ومحاولة التخلص منه، وتدنيس سمعته وكرامته. فتكون بذلك رمزا للشر، فتسعى لإفساد حياة من حولها، لكنها تنهزم في النهاية فتنال ما لا يحمد عقباه جزاء صنيعها.

- صورة إيجابية، والمتمثلة في المرأة الطيبة المتفانية في الحفاظ على عفتها وكرامة أسرتها، فتكون رمزا للخير، بوفائها وإخلاصها وتسيير شؤون منزلها، بأمانة الزوجة الوفية المتمكنة.

من خلال النصوص تظهر المرأة " كائنا طبيعيا مكتملا متحملا مسؤوليته الشخصية سلبا وإيجابا، فهي تساهم بدور فعال، وتنتج وتقدم عطاءها، وتعكس جهودها بشكل إيجابي على

---

[97] - محمد حجو، الحكي الشعبي حقيقة الناس، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة دار المناهل، عدد 65/64، السنة 25، شعبان 1422- ماي 2001، ص. 211.

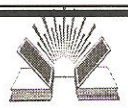

الأمة، كما قد تلعب دورا في تأخر المجتمع وتخلفه واختلال وعيه وتجربته."[98] فهي تقوم بدور اقتصادي يتجلى في المساعدة التي تقدمها للبطل خارج البيت، من أجل ازدهار أعماله، ودور اجتماعي، تسعى به إلى خلق الانسجام، وسيادة التوافق بين أفراد المجتمع، ودور علمي معرفي، والمتمثل في حكمتها وسداد رأيها، ودور نفسي تربوي، يتضح من خلال نفسية الزوج والأبناء، كما يمكن لهذه الأدوار التي تقوم بها أن تكون حاضرة، لكن بشكلها السلبي المدمر الممقوت.

وهذا يدفعنا للقول بأن المرأة "لا تقل قيمة عن الرجل، بل تقف إلى جانبه وتقاتل مثله."[99] فكما استطاعت منافسته في أعمال الخير، فعلت كذلك في أعمال الشر، إن لم نقل تفوقت عليه. وإذا كان جزء من تراثنا "يغازل الرجل ويقدم له ورقة تعريف عن المرأة بحيلها ومكائدها ومساوئها وعيوبها الكثيرة، دون إغفال بعض المحاسن التي تدعوه إلى الاستمتاع بها، كوعاء يحفظ السلالة ويضمن استمرارية الأسرة."[100]

وقد مدتنا الحكاية بصورة المرأة البطلة المتفانية في الحفاظ على شرفها وسمعة زوجها مع مواجهة الصعاب، وصورة شقيقاتها أو زوجات إخوتها اللاتي تميزن بحقدهن وغيرتهن القاتلة، وصورة زوجة الأب التي عبرت عن شيء ما من الحقيقة الموجودة في مجتمعنا، وكذا المرأة العجوز التي أبهرتنا بخططها سواء من أجل تسخيرها في عمل الخير أم الشر، وصورة الزوجة الذكية التي حصلت على مبتغاها من خلال المكائد التي حبكتها بطريقة أذهلت المتلقي، ثم صورة المرأة البليدة التي استطاعت إتقان دور البلهاء التي تتمسك بعنادها إلى أن

---

98 – مالكة العاصمي، الموروث الشعبي وصورة المرأة، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة دار المناهل، عدد 54، السنة الثانية والعشرون، ذو القعدة 1417– مارس 1997، ص. 110.

99 – طلال حرب، بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999م، ص. 282.

100 – خديجة صبار، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، مطابع إفريقيا الشرق، 1999، صص. 40– 41.

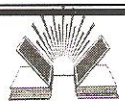

تلقى مصيرها، وأخيرا صورة المرأة الخارقة أو" ٱلْغُولَة " التي جمعت بين صفتي الشراسة والحنان من خلال تعاملها مع الأبطال.

هذه الصور يمكن القول بأنها مستقاة من الواقع، فصيغت في قالب سردي جميل، استطاع من خلاله الفرد التنفيس عن خوالجه.

المرأة لم تنكر الأدوار التي أنيطت بها، ولم تحتفظ في ذاكرتها بصورتها الإيجابية فقط، فنجدها تسرد الحكايات بدون خجل أو خوف، ذاكرة جميع أحداثها، لأنها مقتنعة بأن "النظرة السلبية للمرأة لم تكن النساء مسؤولات عنها."[101]

وإجمالا يمكن القول بأن الحكاية رصد للواقع، وأن المرأة جزء منه، فلا يمكننا فهم طبيعة المرأة إذا تم عزلها وإقصاؤها عن وسطها الاجتماعي والثقافي والحضاري، فتصرفاتها وصورها المتباينة تكونها الوقائع الاجتماعية وأحداثها، فسواء بصورتها السلبية أم الإيجابية، استطاعت أن تكمل لوحة الحياة التي رسمت منذ الأزل، فهي مثل رقعة الشطرنج، إذا غابت أحد قطعها فسدت اللعبة وتعطلت.

فلا حياة بدون وجود المرأة إلى جانب الرجل. لذا يجب التفكير في كيفية النهوض بالمجتمع، وذلك بالنظر لقضية المرأة والرجل على أنها قضيتهما معا تجاه قوى الاستبداد والتسلط، وبأن لا نسمح بسيطرة تلك الأفكار التي يقول بها أولئك المغرضون على أفكارنا، فهم يعملون على تشويه صورة المرأة، وخلق فجوة بينها وبين الرجل، تحت لواء المساواة والديموقراطية، لإبعادها عن قضيتها الحقيقية المتجلية في مساعدة نصفها الآخر، للنهوض بالمجتمع وتحسين ظروفه، والتخلص من الاستبداد الذي يعانيان منه معا.

---

[101]- محمد استيتو، الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16و17م، الطبعة الأولى، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة 2004، ص.387.

وإذا ما تطلعنا إلى «الصراع» القائم بين المرأة والرجل، سواء من خلال الحكايات أم من خلال الواقع المعيش فسنلاحظ بأنه صراع طبيعي، الغرض منه تقويم ما أفسده الدهر، وليس صراعا من أجل إثبات السيطرة والتفاضل والتمايز، خاصة وأن إسهاماتهما معا في المجالات المختلفة، تترتب عنها نتائج جيدة. وبالرغم من أنه في فترة من الفترات "لم تحظ الإناث بالعناية ذاتها كالذكور، لأن العقلية السائدة كانت تجعل المرأة في "مرتبة أدنى" من الرجل ووضعيتها غير مساوية لوضعيته، هذا ناهيك عن اختلال التوازن الاقتصادي بينهما والذي كان يتكرس باستمرار بفعل الاستحواذ على موارد النساء ووسائل عيشهن، واغتصاب حقوقهن من قبل أقربائهن والأجانب، مما كان يجعل هؤلاء المتضررات مجردات من وسائل القوة والضغط، وذليلات مكسورات الجناح."[102] فإن المرأة استطاعت إثبات ذاتها في الوقت الراهن، بحيث تخطت العراقيل التي كانت تقف في طريقها، وأصبحت تعمل إلى جانب الرجل لمواصلة مسيرة الحياة، مع محاولتها الحفاظ على عاداتها وتقاليدها التي نشأت في وسطها، وتشبعت بها عبر مر العصور.

[102] – المرجع السابق، ص. 386.

الفصل الثالث

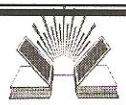

الفصـــل الثـــالـــث: دور الحكاية الشعبية في المحيط الاجتماعي.

إن للحكاية الشعبية منابع كثيرة ومتعددة، غنية بالخبرات الإنسانية التي تحيلنا على فترة متقدمة من تاريخ البشرية، خاصة وأن الحكاية تنتقل من راو لآخر كما هي، وقد يصيبها الحذف أو الإضافة أثناء النقل والتواتر، فهي "في الغالب نفحة من الخيال الشعبي المتميز ببساطة الحكي والوضوح في السرد، والبلوغ إلى حكمة تستخلص من الحكاية في نهايتها"[103]، الشيء الذي جعلها سريعة التداول والانتشار، فهي لم تخلق للتسلية وتمضية الوقت فقط بل تسعى في كثير من الأحيان إلى " إرساء مبادئ التمسك بوحدة الأسرة والجماعة والقبيلة أو الشعب"[104]، إلى جانب قيمتها التربوية والأخلاقية والتعليمية، لأن الحكاية لها سحر خاص وجاذبية قوية، تجعل المتلقي يعيش في عالمها الفسيح، المليء بالمغامرات والمخاطر، وأحيانا في أحلام لذيذة تستحوذ على مشاعره بطريقة غريبة وعجيبة، ليجد نفسه عند نهايتها في بر الأمان.

1- الحكاية الشعبية وتأثيرها في الناشئة

لا أحد ينكر أن كثرة القراءة تفتح الذاكرة، وتنمي القدرات العقلية للفرد، لأننا نكتسب من خلالها أفكارا جديدة، ونطلع على أخبار من سبقنا، والشيء نفسه بالنسب للحكاية، فهي تدرب الفرد- خاصة الأطفال- على مهارات التواصل والحديث وحسن الإنصات، فتنمي قدراتهم اللغوية وتغني رصيدهم المعرفي، وتدربهم على التركيز والانتباه أثناء تتبع الأحداث، إضافة إلى توسيع خيالهم لمساعدتهم على الإبداع، فتتفتح قريحتهم على العالم الواقعي والعالم المتخيل، ومن ثم مواجهة الصعاب التي تسد طريقهم بحكمة وشجاعة، خاصة وأن الطفل

---

[103]- محمد أديوان، الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع)، مطبعة سلمى، الرباط 2002، ص. 16.

[104] - رشيد الحسين، الحيوان في الأمثال والحكايات الأمازيغية، ط. 1، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، البوكيلي للطباعة والنشر، 2000، ص. 18.

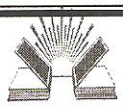

ينجذب إلى رموز الحكاية كلما استطاع أن يربط بينها وبين صراعاته الداخلية، وعندما يعي هذه العلاقة بصراعاته، فإن هذا الوعي يساعده على حلها.

كما يفيد الحكي في تعليم احترام الرأي والرأي الآخر، وينمي القدرات الإبداعية لدى الطفل من خلال مشاركته أثناء سرد الحكاية، لأن الإشارات، والإيماءات، والحركات، وتعبيرات الوجه والجسد، التي تحاول محاكاة شخصيات الحكاية بالصوت والحركة تشد انتباه الأطفال، وتدفعهم لرواية القصة بأنفسهم، فالحكاية "تكتسب سحرها من خلال طريقة الحكي، أي الصيغة التي ترتب بها الأحداث والحوافز التي تدفع بها نحو النهاية، ونحو الغاية المتوخاة منها، كالتأثير على المتلقي أو بعث المتعة أو الخوف في نفسه."[105] كما أن بعض الحكايات يمكن أن تسهم في تحقيق الصحة النفسية للأطفال، فهي "تملك قوة علاجية، لأن المريض يجد فيها حلولا لمشاكله الذاتية، من خلال التأمل والتفكير فيما يمكن أن يستشفه من الحكاية، ويخدم صراعه الداخلي في هذه اللحظة من الحياة، ونموذجه في ذلك بطل في حكاية ما بجد حلولا للمآزق التي يتعرض لها، من خلال بعض الأفعال والتي تتضمن طلب المساعدة من شخص حكيم (...) ومن خلال التوحد بشخصية البطل أو بأي شخص من الحكاية، يجد المريض الذي يستمع إليها حلولا لمشاكله."[106]

ولعل الجو الأسري الحميم الذي تحكى فيه الحكاية، من أهم ما يحققه الحكي، لأنه يمد الأطفال بالأمان ويجعلهم يحسون بالدفء الأسري، إضافة للاسترخاء والمتعة، "فالطفل يستوعب عناصر الحكاية بوصفها كلا متسقا، فالحدث المفرح مثله مثل الحدث المفزع، يأتي تأثيره فقط في النهاية عندما يؤدي إلى نجاح البطل وتحقيق الهدف المنشود، لذلك لا يخاف

---

105 – محمد معتصم، الرواية المعاصرة وإشكالية الكتابة، www.nizwa.com/volume12/le:25/10/04. p. 1.

106 – برونو بتلهايم، التحليل النفسي للحكايات الشعبية، ترجمة طلال حرب، دار المروج، 1985، ص. 106.

الطفل هذه العناصر ولا يخاف تلك الشخوص الخارقة التي حققت العدالة وساعدت البطل، وكيف يخافها وهي تكافئ البطل وتجازي المخطئ الذي رفضه الطفل أصلا."[107]

كما أن حاجة الإنسان إلى الحكاية حاجة قديمة جدا، يتمكن من خلالها بالتعبير عن حاجياته، كما أن متلقي الحكاية "لا يجد متعة الحكائية إلا داخل الجماعة، أو في فضاءات أخذت تذوب بالتدريج أمام زحف الإسمنت."[108] فبالنسبة للأطفال، عادة ما تكون المرأة هي الراوي الأساسي لحكاياتهم خاصة أثناء الليل عندما تجتمع العائلة للسمر، فتجد الأطفال مولعون بالحكاية، بحيث يطلبون من الأم أن تحكي لهم حكايات قبل النوم، وذلك راجع للنزعة التخييلية لديهم، وغالبا ما يتعلقون بالأحداث، فيسألون قبل نهاية الحكاية عن مصير البطل، وعن الغولة، ويتعلقون بشخصية من الشخصيات، وتجدهم يسألون عن الأماكن التي تدور فيها الأحداث، ويرسمون لها صورة في خيالهم، وفي بعض الأحيان تكون أسئلتهم محرجة. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن "الأطفال الذين يستمعون إلى القصص والقصائد الشعرية منذ فترات مبكرة من حياتهم هم أنجح الأطفال في مدارسهم، وكلما زاد ما يقرأ للطفل أو ما يروى له زادت لديه الرغبة في أن يقرأ بنفسه"[109]، لأن الحكاية تعتبر أداة من أدوات المعرفة، وحافزا من حوافز القراءة، فتدفع بالمتلقي إلى طلب الاستزادة في النهل منها، ونبش خفاياها.

وبالرغم من مزايا الحكاية، فإن "من الدارسين من يعترض على استخدامها في أدب الأطفال، بل يعترض على كل الأنماط الحكائية التي تستخدم الخيال الواسع والوسائل السحرية، والتي تركز على ارتحال الأبطال إلى عالم المجهول، عالم الأرواح والشياطين،

---

107 – فردريش فون دير لاين، الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت، ص. 21.

108 – عبد الرحيم مؤدن، تأملات في السرد الشعبي: المتلقي في المحكي الشعبي المغربي، مجلة حفريات مغربية، العدد الثالث، فبراير 2004، ص. 8.

109 – نيفين عبد الله صلاح، أطلق إبداع ابنك بالحكايات، www.Islamonline.net/arabic/ada/le:01/06/2005;p:1.

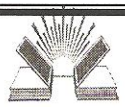

والأشباح"[110]، لأنهم يرون في الحكاية ذلك "العالم الخرافي أو الأسطوري الذي من شأنه إبعاد الطفل عن معرفة ذاته، وتغريبه عن محيطه، وكيفية التعامل معه، وتقديم حلول جاهزة للمشاكل العويصة التي تتطلب نضالا مريرا في بعض الأحيان."[111] لكن الأمر ربما لا يحتاج لكل هذه التخوفات التي يبديها هؤلاء الدارسون، فالطفل يحتاج للحكاية كما يحتاجها الإنسان الراشد، لأن وظائفها إيجابية أكثر مما هي سلبية، فالوظيفة النفسية تتمثل في "أن الإنسان يجد فيها متنفسا من كل أنواع الضغوط الاجتماعية، حيث تتوارى الأهداف البعيدة المكبوتة في اللاشعور خلف الحكاية (...) وتتمثل الوظيفة الاجتماعية والثقافية في التعبير عن العقيدة، ودعم الأخلاق وصونها، والحرص على القيم الاجتماعية المثالية، تلك القيم التي يخشى الشعب أن تنهار بتأثير الزحف المدني إلى المجتمع الشعبي."[112] فلا ضرر من رواية الحكاية خاصة إذا كانت تتلاءم مع مفاهيم التربية، فعادة ما تضع الطفل في مواجهة بعض المشكلات الأساسية، مثل الخوف من الموت، والرهبة من خبايا الحياة، والخوف من الشيخوخة والعجز، ومن الانفصال عن الأبوين – خاصة الأم–، فتقدم له الحلول ليتجاوزها ويتجنبها.

كما أن الإنسان يجد في الحكاية راحة لجسده، ولعقله، ولأعصابه، بعد يومه الشاق، ولعل الوقت الذي تروى فيه الحكاية خاصة في الليل، يجعل من الإنسان ينسى همومه ومشاكله، فيغوص في عالم الحكاية بشكل يجعله يشعر بحالة استرخاء يتبعها نوم هادئ ومريح، ومن ثم اتخاذها وسيلة للتخلص من متاعبه.

وبالرغم من أن عملية الحكي توكل للرجل والمرأة على السواء، إلا أن النساء هن أهم رواة الحكاية في المنزل، حيث تتولى الحكي الجدات والأمهات (...) يجتمع الحاضرون من

110– الأطفال والقصص الخرافية، www.Al-shia.com/html/ara/ejt/a; le : 18/01/2005 ; p :3.

111– المرجع نفسه.

112 – حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، ط. 1، مطبعة الانتصار، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1993، ص. 95.

أفراد العائلة، مشكلين حلقة دائرية حول الراوي، فتسمع كل واحد منهم يطلب منه سرد حكاية سبق له أن سمعها وأعجب بها، فترى الأطفال بدورهم يصغون للحكاية، متتبعين حركات الراوي، ومنصتين لنبرات صوته التي تتغير من حين لآخر. فمنهم من يتابع الحكاية وكل مرة يسأل عما استعصى عليه فهمه، وحينما تأتي الحكاية على نهايتها، يطلب من الراوي البدء في حكاية جديدة، لأنه لا يستطيع الانسلاخ من ذلك الجو المليء بالانسجام، ومنهم من ينصهر مع الراوي فيغط في نوم عميق، خاصة وأن الطريقة المثلى للتأثير في المتلقي، وإقناعه بمتابعة الحكاية، تكمن في طريقة السرد، حيث تروى الحكاية بطريقة مشوقة، فيستخدم الراوي كل حواسه لتجسيد الدور، وإيهام المتلقي بواقعية المضمون.

لكن هذه الحكاية التي رافقتنا في حياتنا، كادت تفقد قوتها خاصة مع زحف التكنولوجيا، لأن الأطفال أصبحوا الآن يهتمون أكثر بالرسوم الكرتونية، وأفلام الرعب، والألعاب الالكترونية، خاصة مع غياب الراوي والمتمثل في الأم، التي نجدها تحتج بالتعب في العمل، فتقوم بوضع أبنائها أمام التلفزيون، باعتباره أداة تسلية، فلا تراقب نوعية البرامج التي يشاهدونها، مما يؤدي بهم في بعض الأحيان إلى الإصابة بأمراض نفسية، فتجدهم يصرخون أثناء النوم وتأتيهم نوبات من الهستيريا، نتيجة لمشاهدتهم لهذه البرامج. ولكن مازالت هناك بعض العائلات التي استطاعت المحافظة على عاداتها وتقاليدها، بحيث نجدها تقوم برواية الحكاية للطفل كلما أتيحت الفرصة لذلك، فـ " الحكايات التي تحكيها الأمهات، وتعيدها على الأطفال تثري تلك الأعماق الروحانية والوجدانية لديهم، تلك الأعماق التي تنبع منها المثل

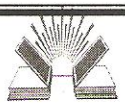

والأماني، إن الملايين من الأرواح البشرية، تتشرب عناصر هذه الحكايات خلال مراحل تكوينها وتساعد على خلق الاتجاهات التي تؤثر على شخصياتهم بشكل عام."[113]

فإذا كان البعض- كما سبقت الإشارة- يتخوف من الآثار السلبية التي قد تتركها الحكاية على الأطفال، ألم يفكروا في الخطر الحقيقي الذي يهددهم؟ ألم ينتبهوا إلى ما تحمله القنوات التلفزية، وشبكات الانترنيت من برامج مخلة بالأخلاق وبنظم التربية السليمة؟

فنحن لا يمكن الحكم بجودة أو رداءة الحكاية الشعبية، لكن يجب تنبيه راوي الحكاية ليعمل على اختيار الحكايات التي يألفها الطفل، ويقوم بتفسير أصول بعض الأشياء التي تؤول وتفهم بشكل خاطىء فتفسد فكر المتلقي، وتشوش أفكاره، مع تقديم ملخص بسيط للحكاية، أو تعليق يبين فيه مغزاها، مع مراعاة عدم تخويف الأطفال عند ذكره لبعض الأمور المرعبة. وبما أن حكاياتنا الشعبية غالبا ما ينتصر فيها الحق على الباطل، فهي عبرة لأولئك الذين يسيرون في الطريق الخاطىء.

ومن ثم يمكن القول بأن الحكاية الشعبية بكل مكوناتها السلبية والإيجابية، وبالرغم من اتهامها بالتخلف وإثارة المخاوف لدى الأطفال، ما هي إلا صورة مصغرة للواقع الذي نشأنا فيه، لذا لا يمكن مقاطعتها بل يجب تشجيعها والعمل على النهوض بها وتطويرها، لكي ترقى إلى مستوى الرقي السائد في جميع مرافق الحياة المعاصرة، ولكي تبقى خالدة في الذاكرة مستمرة مع استمرار الزمن، وتوظيفها في التنشئة الثقافية، وتربية الطفل على المستوى التعليمي والإرشادي، فليس بالتكنولوجيا وحدها يحيى الإنسان ويتطور، بل لابد من أن يسمو بروحه ووجدانه وبمشاعره المتجلية في ثقافتنا الشعبية عامة، وفي الحكاية خاصة.

---

[113] - كمال الدين حسين، مدخل في دراسة أدب الطفل،د.ت، القاهرة 2000، ص. 160.

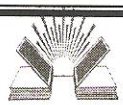

2- كيفية المحافظة على موروثنا الشعبي

بعد الحديث عن أهمية التراث الشعبي، باعتباره تراثا للإنسانية جمعاء، لا بد من إيجاد حلول ناجعة للحفاظ عليه، خاصة وأنه لم يكن من السهل على الإنسان أن يعمد إلى تسجيل كل الحوادث والأمور التي تحدث هنا وهناك، والتي تخص المناخ الخاص لشعب من الشعوب، وتجسد خصوصيته وتقاليده وطرق حياته التي استقر عليها، فأصبحت جزءا لا يتجزأ من حياته اليومية.

ولأن التراث الشعبي، تراث عريق، وغني بالمعطيات والعبر والرموز الثرية، فإنه يعطينا صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية والذهنية والروحية لأسلافنا. إذا كيف يمكن لنا التخلي عن هذا الإرث الحضاري، بعدما تأكدنا من قيمته التي لا تنضب؟ ألا توجد حلول تمكننا من صيانة هذا الموروث وإحيائه وتسجيله، مستعملين التقنيات الحديثة؟

كثيرا ما تعنى بعض المؤسسات في وقتنا الراهن، بالقيام بدراسات تحليلية هدفها النظر في الآليات والثوابت التي تتحكم في ثقافتنا الشعبية عموما، مع ضبط أسسها ومبادئها، فهذه الثقافة الشعبية العالمية، أو ثقافتنا الشعبية المغربية، ليست ثقافة النسق الجامد وثقافة الجهل وتكرار الماضي كما هو مشاع في أوساطنا، بل "إن الثقافة الشعبية أصبحت اليوم – وبالرغم من هيمنة العلوم التخصصية المؤسسة على الرياضيات وقيم التكنولوجيا- مجالا خصبا لكثير من العلوم الإنسانسة: مثل علم التاريخ، وعلم الاجتماع، والانثروبولوجيا بفروعها، وكذلك الأركيولوجيا وعلم اللسانيات"[114]، لأنها وجدت فيها رؤية جديدة مغايرة للوثائق التاريخية الأخرى، وقدمت للباحثين وجها آخر للماضي.

---

[114] – علال ركوك، المقاومة وأحداث من التاريخ الاجتماعي في الأدب الشفوي المغربي (1890-1956)، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، مطبعة بني يزناسن، سلا 2001، ص. 17.

إن الثقافة الشعبية، شكلت الذاكرة الحية، والوعي الجمعي في تاريخنا الماضي والراهن، فدفعت ببعض الدارسين للتفكير بجدية في كيفية جمعها وتدوينها(*)، إلا أن خوض غمار هذه المحاولة يقتضي التسلح بالصبر، لأن مجال البحث واسع وعميق.

فرعاية ثقافتنا الشعبية المغربية، بكل مكوناتها من أدب وعمارة وفن، وتقاليد وأعراف، " كنز وتراث للمغاربة قاطبة، ومن صميم مسؤولية مؤسساتهم الرسمية وغير الرسمية، ولا يجوز والحالة هذه أن يترك ثقل الاهتمام بها للجمعيات المتطوعة بضعف إمكانياتها ووسائلها، وإلا سيفهم من ذلك أن هناك رغبة غير معلنة في التخلص منها تدريجيا، بفعل التطور الحضاري والتكنولوجي والتحولات الاقتصادية والاجتماعية، التي سيعرفها المغرب خلال الأجيال القادمة."[115]

وبما أن خصوصية الإنسان المغربي وهويته تكمن في ثقافته بكل ما تحمله من أعراف وتقاليد، لما لا نفكر بجدية في نقل هذه الثقافة لحفظها من الزوال؟ وذلك من خلال ما يلي:

- جمعها، وذلك بمزاولة البحث الميداني، والأخذ عن الرواة الثقاة، الواعين بقيمة ما يحملونه في ذاكرتهم، مع توثيق وتسجيل إفاداتهم في شرائط التسجيل، أو عبر شرائط الفيديو أو الأقراص المضغوطة.

- تدوين ما تم جمعه بأمانة بعد فحصه وغربلته ومقارنته بالنصوص المشابهة له.

---

* - أنظر:

- Calvet louis jean ; La tradition orale ; presses universitaires de France 1984.

Et :

- VANSINA jean ; La tradition orale et sa méthodologie.

115 - رشيد الحسين، الحيوان في الأمثال والحكايات الأمازيغية، ط. 1، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، البوكيلي للطباعة والنشر، 2000، ص. 64.

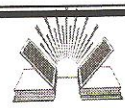

- العناية بالمتن ودراسته دراسة متخصصة، مع ضرورة الاستفادة من آراء وأبحاث العلماء الاجتماعيين،وعلماء اللغة، وعلماء الأجناس، والفلاسفة الاجتماعيين، وعلماء النفس الاجتماعي...

- توعية الآخر بأهمية التراث الشعبي وجديته، بإقامة ندوات علمية يشارك فيها مختلف الدارسين سواء المغاربة أم الأجانب.

- الانفتاح على ثقافة الآخر، مع أخذ الحيطة والحذر من الوقوع في بعض المزالق.

- العناية بالفضاءات الخاصة التي تتداول داخلها الثقافة الشعبية، بعد ما اندثر بعضها نتيجة لزحف مدن الاسمنت.

- إشعار المسؤولين بضرورة مد الجمعيات المكلفة بجمع التراث بالوسائل اللازمة لذلك.

- تزويد مؤسساتنا التعليمية، بمقررات تدريس الثقافة الشعبية، وإثراء برامجنا الإعلامية بوثائق من التراث.

فمن خلال إنجاز هذه الخطوات الأولية التي تسعى إلى الرفع من مستوى ثقافتنا العالمة، يمكننا تحقيق نتائج إيجابية في هذا المجال، كما يمكن منافسة الوسائل الإعلامية الأخرى التي ذهبت بأبنائنا بعيدا عن أصولهم، بتنميتها لـ" قيم روح الهروب والهجرة والتنكر لكل ما هو بلدي محلي وطني"[116]، مما جعلهم ينبهرون بثقافة الغرب، وينهلون منها بدون تبصر، ويحتقرون ثقافتهم ويبتعدون عنها ويعتبرونها تخلفا ورجعية.

كما أن الثقافة تقوم بدور فعال للنهوض بالمجتمع وتنميته، لأنه "إذا كان تمثل هذا التراث يعني تمثل الماضي والدور الذي أداه فيه، فإن من المؤكد أن هذا الدور لم يكن دور التسلية والترويح عن النفوس المكدودة كما قد يظن، ولكنه دور تنموي وتقدمي وتحرري، تهدف

---

116 - المرجع نفسه.

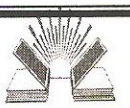

وظيفته إلى المحافظة على ذات الفرد والجماعة في إطار مواطنة عزيزة تكفل الحياة الكريمة بعيدا عن أي مظهر من مظاهر التخلف، وفي نطاق سيادة ترفض كل أنواع التبعية والاستبداد."[117]

فهذا التراث ظل لفترة طويلة محاصرا بأحكام وأقاويل تنفي عنه قيمته وجديته، يمكنه المساهمة في تطوير المجتمع لأنه "هو النافذة التي يمكننا الإطلال منها على أصول ثقافتنا لنتعرف إليها وإلى ما طرأ عليها من تغيير، وإلى مراحل تطورها، وما كان لها من تأثر وتأثير نتيجة التفاعل والاتصال بغيرها من الثقافات، ولنتعرف في النهاية إلى الخصائص التي تميزها عن غيرها."[118]

وبما أننا متأكدون من قيمه تراثنا المتمثل في المعتقدات، والطقوس، والأعراف، والممارسات، والمآثر العمرانية، والحكايات، والموسيقى، والأغاني، والرقصات..لم لا نقوم باستثمار هذه الثقافة وتوظيفها في الصالح العام؟ كما أن هذه الأشكال المذكورة تشكل مصدرا مهما لإغناء الفنون الإنسانية مثل المسرح والرواية... إذا ما قمنا بتطويرها، وإدماجها، واحتضانها، وتوظيفها بصورة صحيحة، خاصة وأن أغلب الأشكال، تتضمن عناصر فرجوية ودرامية، تتداخل فيها الحركات بالألفاظ، والإيماء بالغناء، والحزن بالفرح، والجد بالهزل. ولعلنا بهذا نرد لها الاعتبار، ولأولئك الذين عملوا على المحافظة عليها في صدورهم.

فتغيير طبيعة الاعتقاد السائد حول التراث الشعبي، والتخلي عن فكرة تفاهته وضحالته، والكف عن الحديث عن التباين بين الأدب الشعبي والمدرسي والأدب العالمي، يجعلنا لا نجد

---

[117] – عباس الجراري، في الإبداع الشعبي، ط. I، رجب 1408– مارس 1988، ص. 127.
[118] – المرجع نفسه، ص. 128.

حرجا في الإدلاء بالاجتهادات، والكشف عن البنيات العميقة، وباقات الرموز المتخفية خلف كل نص أو مأثور.

فإذا كان تراثنا الشعبي، ديوان حضارتنا، وسجل تاريخنا، وشاشة واقعنا، نبت ونما وترعرع في بيئتنا، ومن تقاليدنا وعاداتنا اغترف واستقى، وعن آمالنا وآلامنا عبر واشتكى، فهو كنزنا الثمين، وثرائنا النفيس، لذا يجب علينا أن نعمل جاهدين لحفظه من الزوال، ونتنافس في إنقاذه وبعثه وإحيائه، لأنه دين في أعناقنا ينتظر نقله مصونا إلى الأجيال الصاعدة، وبدون ذلك سنفقد هويتنا الثقافية الكامنة في تراثنا الثري.

الخاتمة

خـاتـمـة

من خلال هذا العمل المتواضع "**صورة المرأة من خلال بعض الحكايات الشعبية في المغرب**"، حاولنا وضع القارئ أمام صورة مبسطة للمرأة المغربية داخل الحكاية، هذه المرأة التي قيل عنها الكثير من خلال الكتب التي أنجزت حولها، والندوات التي أقيمت على شرفها. وذلك بعد التعريف الذي قدمته للتراث الشعبي بصفة عامة والحكاية الشعبية بصفة خاصة. لأنتهي بعرض دور الحكاية الشعبية في المحيط الاجتماعي، وذلك من خلال الحديث عن تأثير الحكاية في الناشئة، وكيفية المحافظة على موروثنا الشعبي.

والحقيقة أن مثل هذا العمل لا يمكن أن يعبر عن كل ما يجول في الذهن، وذلك راجع لضيق الوقت. ففي نظري إن مثل هذه الأعمال الميدانية تستلزم الوقت الكثير لمعالجتها، خاصة وأن الباحث المبتدئ يجب أن يكون حريصا على نقل ما يقدمه بأمانة، خصوصا أن هذا النقل يعتمد على الاتصال المباشر بالراوي، والسماع منه وجها لوجه.

لذا أعتبر بأن البحث في هذا الموضوع يجب أن يستمر، وما هذه المغامرة الجريئة التي قمنا بها، للبحث في موضوع جدي كهذا، إلا خطوة أولى لا أظن أنها استطاعت الإلمام بجميع جوانبه، لأن هناك إشكاليات كبيرة تخص الحكاية، كما تخص المرأة، يجب أن تطرح وتعالج حتى تعطي الموضوع حقه.

لكن يمكن القول بأن الشيء الذي يكسبه الباحث من خلال هذه المحاولات الأولية، هو تجربة البحث الميداني، وتنمية أفكاره وتوسيعها بمجموعة من المعارف التي كانت غائبة عنه،

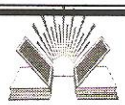

بسبب ارتباطه بالمقررات. وعلى العموم أتمنى أن أكون قد أصبت بعض الجوانب بسهم الحقيقة.

لقد تم هذا البحث بتوفيق الله وفضله، له الحمد والثناء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فما كان فيه من صواب وحق فنحمد الله تعالى على توفيقه، وإن كان فيه شيء من الخطأ والزلل، فنستغفر الله رب العالمين من ذلك، داعين إليه عز وعلا أن يتقبل هذا الجهد، ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

وشكرا لكل من ساعدنا على إتمامه، وعمل جاهدا على تقديم الغالي والنفيس من أجل أن يخرج هذا العمل إلى النور، ووضعه بين يدي كل من له رغبة في الإطلاع عليه، من أجل الاستفادة أو الإثراء.

متن الحكايات

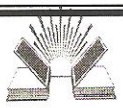

متـــن الحكـــايـــات:

الحكـايـــة الأولـــى

"كان يا ما كان في قديم الزمان رجل عجوز متزوج بامرأتين، إحداهما مجنونة، رزقها الله ببنت إسمها "لِيلَى"، والأخرى سوية العقل لديها ابن. كان زوجهما يطلب منهما في كل صباح أن يعطوه نصيبا من الفول ليزرعه، فيخرج مبكرا ويذهب لغار بعيد، فيأكل ذلك الفول فيعود إلى منزله متصنعا التعب، ثم يخلد إلى النوم. مرت أيام وهو على هذه الحال، وفي يوم من الأيام طلبت منه زوجتاه الذهاب للحقل الذي زرع به الفول لجلب ما تيسر منه، حينها أعطاهما الزوج عصاه وقال لهما:

– اذهبا وابحثا عن الفول، فإذا وجدتما حقلا به فول طوله مثل طول هذه العصا، فإنه ملكنا، فخذا منه ما شئتما.

ذهبت المرأتان فبدأتا البحث عن الحقل إلى أن عثرتا عن الفول الذي يوازي طوله طول العصا، فأخذتا تجنيانه، وفجأة سمعتا صوتا يناديهما قائلا:

– " الشْرِيكَاتْ بْلاَ زَرِّيعَة"، أي، أيتها النساء الغريبات، إنزعا الفول ما استطعتما، وتعالا نقتسم فيما بيننا.

حينها جمعت المرأتان الفول، ووضعتاه على ظهر الحمار، وذهبتا تجاه الصوت الذي ناداهما. وحينما وصلتا هناك وجدتا غُولَة، بثديين كبيرين، وشعر مشعث وكثيف، وأسنان كبيرة، ذات وجه مرعب. فأمرتهما بالدخول إلى منزلها، لتهيئ الطعام لهما، فدخلتا إلى المنزل، فذهبت لْغُولَة إلى الحمار وقتلته، ووضعت رأسه في إحدى النوافذ المطلة على فناء المنزل، ثم هيأت لهما الطعام المتكون من عدس مليء بالقمل والدود ولحم الحمار، فقالت لهما:

– كلا واشربا، إن حماركما ينتظركما.

حينها أخذت المرأة المختلة عقليا تأكل بنهم، أما المرأة العاقلة، فقد أحست بالخطر، فتظاهرت بأنها تأكل. ولما همتا بالنهوض قالت لهما الغولة:

– أتركاني أساعدكما على حمل طفليكما.

حملت المرأة العاقلة إبنها بين ذراعيها، أما المجنونة فقد أعطت إبنتها للغولة لكي تساعدها في وضعها على ظهرها، لكن ٱلْغُولَة استبدلتها "بِمِهْرَازٍ"، دون أن تحس المرأة بذلك. فخرجتا متجهتين إلى منزلهما.

أما ٱلْغُولَة التي كانت تسكن في غار مرتفع عن مستوى الأرض بعدة أمتار، حملت ليلى بين ذراعيها، لتأكلها، فقالت:

– " إِلَى كْلِيتَكْ تَحْصْلِيلِي فَالسِّنِّينْ وِإِلَّا خَلِّيتَكْ تَخَرْجِيلِي عِلَّة " أي إذا أكلتك فلن أشبع منك، وإذا تركتك فلن آمن شرك. فأجابتها الطفلة قائلة:

– أرجوك لا تأكليني، وأعدك أن أكون لك عونا عندما أكبر. وفعلا لم تأكلها ٱلْغُولَة رفقا بها. فمرت السنوات وكبرت ليلى فكانت فائقة الجمال، ذات شعر طويل، أسود فاحم. فكانت الغولة حينما تريد الذهاب إلى الغابة، تطلب من ليلى أن تعطيها شعرها الطويل لكي تنزل قائلة: " لِيلَى يَا لِيلَى مَدِّيلِي سَالْفَكْ نَنْزَلْ "، وحين عودتها تطلب منها أن تعطيها شعرها لكي تصعد، قائلة: "لِيلَى يَا لِيلَى اعْطِينِي سَالْفَكْ نَطْلَعْ "، وحينما تصعد تعد شعر لِيلَى شعرة شعرة، وهكذا. وفي يوم من الأيام كان أحد أبناء عمها يلعب بالكرة فسقطت له الكرة في قصعة الطعام الذي كانت تعده جدته، فقالت له: " ٱلْخِيرْ ٱللِّي اِدِّيرْ، رُوحْ وْسَلِّكْ بَنْتْ عَمَّكْ ٱللِّي رَاهَا عَنْدْ لَغْوَالْ أُو لَهْوَالْ " أي ألا تخجل من نفسك، أتحسب نفسك رجلا؟ إذا كنت كذلك، اذهب وانقذ ابنة عمك

التي اختطفتها ٱلْغُولَة. فذهب الولد إلى أمه وأمرها بأن تعد له قصعة من " بَرْكُوكَشْ(*)" للعشاء، وحينما حظرت ما طلبه منها، نادى جدته لتأكل معه، حينها أمسك يدها وأمرها بأن تخبره بقصة ابنة عمه كاملة، و إلا وضع لها يدها في الطعام الساخن. وبعد جدال طويل اضطرت الجدة إلى أن تحكي له القصة كاملة. وحينما عرف الحقيقة، قرر البطل الشجاع أن يذهب وينقذ ابنة عمه.

خرج البطل في رحلة للبحث عن مقر ٱلْغُولَة، وبعد عناء طويل استطاع أن يجد مقرها، فراقبها، وعرف طريق الوصول إلى ابنة عمه، فانتظر إلى أن خرجت الغولة، فذهب إلى غارها ونادى قائلا:

- " لِيلَى يَا لِيلَى مَدِّيلِي سَالْفَكْ نَطْلَعْ ". فقالت له ليلى أنت لست جدتي الغولة، فأجابها قائلا:

- أنا ابن عمك لا تخافي، ساعديني لكي أصعد وسوف أحكي لك القصة كاملة.

وفعلا أعطته شعرها فصعد، فتبادلا أطراف الحديث، فعرفت من تكون. ولما أحست بقدوم الغولة، خبأته تحت قدر كبير، فنادتها ٱلْغُولَة كعادتها، ولما صعدت وبدأت تحسب شعرها، وجدت خصلة ناقصة، حينها صرخت الغولة في وجهها قائلة:

- " شْكُونْ مَنّْ غِيرِي جَا وْدُخّْلِيهْ لْدَارِي، رَاهْ شَعْرَكْ نَاقَصْ؟"، أي من أدخلت إلى المنزل، وقد فقدت خصلة من شعرك؟. فردت ليلى قائلة:

- لقد هممت لإنقاذ الدجاج لأنه كان يتصارع فيما بينه، لذا فقدت خصلة من شعري.

ومع ذلك لم تقتنع ٱلْغُولَة بتبريرها وقالت لها:

*- بَرْكُوكَشْ: أكلة مشهورة بالمغرب، تسمى بالأمازيغية " أَحْرِيرْ" أو " أَحَارْبِيضْ"، وهو شبيه بالكسكس، إلا أن حباته ذات حجم كبير، وطريقة تحظيره مختلفة تشبه طريقة تحظير الحريرة المغربية.

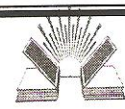

– " رِيحَتْ ٱلْقَصْلَة وَٱلْبَصْلَة فِي دَارْنَا "، بمعنى أنني أشتم رائحة طعام غريب كالذي يحضر للغرباء؟. فقالت لها ليلى :

– ما هذا المزاح يا جدتي، من سيزورني غيرك، وأنا كما تعلمين مقطوعة من شجرة، لقد مللت طعام كل يوم! فقررت تجهيز أكلة جديدة لنتمتع بها سويا.

وهكذا استطاعت لِيلَى أن تقنع ٱلْغُولَة، فجلست أمام الطاولة لتناول الطعام، فنادت كل القدور لتجتمع وتشاركها الطعام و إلا كسرتها كلها قائلة:

– " أَدِّيوَمْتْ آ ثِيُوذَارْ ثَنْ يَقِّيمَنْ أَتَرَّزْ"، أي إقتربي أيتها القدور وشاركينا الطعام، وإلا كسرتك.

اقتربت القدور نحو المائدة، إلا قدرا كان معزولا في أحد الزوايا لم يستطع الاقتراب، لأنه كان يخبئ ابن عم لِيلَى. وحينما أمرت بكسره، سارعت ليلى إلى دق مسامير كثيرة على جوانب ملابس الغُولَة دون أن تشعر بها، وقالت لها:

– أرجوك لا تكسري القدر المسكين لأنه تقدم في السن مثلك، لأنك لا تستطيعين بدورك النهوض. وحينما حاولت الغولة التحرك من مكانها ولم تستطع، تراجعت عن قرارها، وطلبت من لِيلَى أن تقدم الأكل للقدر العجوز.

وبينما هما يتحدثان، قالت لِيلَى:

– لماذا يا جدتي لا تدعيني أرى كل ما تملكينه من قوة؟. فبدأت ٱلْغُولَة تخرج رزما تخبئ بها قوتها وتقول:

– هذه قوة الريح، وهذه قوة الثلج، وهذه قوة التراب، وهذه قوة المطر، وهذه قوة الإبر... إلى أن أرتها جميع قواها، فغلبها النوم وتركت تلك الرزم على الأرض.

فقامت لِيلَى مسرعة، و أحضرت مهرازا، وبصقت فيه، ثم سرقت رزم القوى العجيبة، وهربت رفقة ابن عمها. حينها بدأ الديك يصيح قائلا:

- " كُوكُو عُوعُو لِيلَى لِيوِيْتْ أُو عَامِّيسْ"، مخبرا بذلك ٱلْغُولَة بهرب لِيلَى.

لكن ٱلْغُولَة نادت ليلى:

- " لِيلَى آ لِيلَى". فرد اللعاب المنفوث في المهراز:

- نعم.

فنهضت وأكلت الديك لأنها اعتقدت أنه كاذب، دون أن تزعج ليلى. وكررت نفس الشئ مع جميع حيواناتها، إلى أن استفاقت من نومها، ونادت ليلى، لكن اللعاب كان قد نفذ فلم تسمع الرد، وحينما أزاحت الغطاء عن مكان ليلى لم تجدها، فأدركت أنها هربت وقد سرقت قواها السحرية، فقالت غاضبة:

- " بُومْ دَارَتْهَا بِيَّ قَبْلْ مَا نْدِيرَّهَا بِهَا"، فأسرعت لكي تلحق بها، وفي هذه الأثناء أخذت ليلى تسأل القمر عن موقع الغولة قائلة:

- " أَيُورْ آ يُورْ مَانِي ثَلاَّ حَنَّ ثَامْزَة" أي أيها القمر أخبرني أين هي جدتي الغولة؟ فيجيبها القمر قائلا:

- " أُيُورْ أُيُورْ ثْلَحْكَدْ أَخَّمْ"، أي أسرعي فإن الغولة على وشك أن تمسك بك.

فأخرجت ليلى رزمة الريح ورمتها على الأرض، واضطرت الغُولَة لجمع الريح، ثم سارعت لتلحق بها، ثم أخرجت ليلى رزمة الثلج، فألقتها على الأرض، واضطرت الغولة لجمع الثلج، ثم سارعت لتلحق بها، وهكذا إلى أن أتمت الرزم كلها، فكانت آخر رزمة هي رزمة المطر، فتعبت ٱلْغُولَة ولم تستطع جمعه، ففصل بينهما واد كبير، شديد السيلان، فقالت ٱلْغُولَة لِلِيلَى:

- بحكم إرضاعي لك، و تربيتي لك، أتمنى أن يصيبك المرض، ولا تستطيعين المشي مجددا.

فوقعت لِيلَى أرضا، وردت على ٱلْغُولَة:

- بحكم اعتنائي بك كل هذه السنوات، أتمنى أن تسقطي أرضا دون حراك.

وفعلا لم تستطع الغولة الحراك.

ولما يئست ٱلْغُولَة من كل شيء، تمنت الشفاء العاجل لِلِيلَى، وفعلت لِيلَى نفس الشيء، فقالت لها ٱلْغُولَة:

- اذهبي فأنت حرة الآن، لكن إذا وجدت رجلا وقد سقط له حمل الشعير من فوق ظهر حماره فلا تساعديه، وإذا وجدت صقرين يتشاجران فلا تساعديهما.

وهكذا ذهبت ليلى رفقة ابن عمها، وبينما هما في الطريق وجدا رجلا وقد سقط له كيس الشعير من فوق ظهر الحمار، فهبا لمساعدته وسارا مرة أخرى، ولما لم يبق لهما إلا القليل لكي يصلا المنزل، وجدا صقرين يتشاجران فذهبا لمساعدتهما، لكن الصقر التهم ابن عم لِيلَى، وطار عاليا، فبقيت لِيلَى وحيدة تبكي وتنتحب، فقال لها ابن عمها:

- ابحثي عن جلد كلبة وارتديه لكي لا يصيبك أي مكروه، ثم دلها على منزله. وكانت أسرتها تقدم لها الطعام على أساس أنها كلبة، وكلما حل الظلام يناديها ابن عمها قائلا:

- " لِيلَى يَا لِيلَى، وَاشْ عَشَّاكْ ٱللِّيلَة"، أي ماذا قدموا لك من طعام؟ فتجيبه قائلة:

- " عَشَّانِي النُّخَالَة وَرْكَادِي فَٱلْخَالْفَة"، وتقصد بذلك أن الطعام كان رديئا، وأن نومها كان في عتبة الباب. حينها يرد قائلا:

- " قَرْحْ مَّا قَرْحْ بَّا قَرْحْ ٱلْخِيمَة لَكْبِيرَة"، وبذلك يستنكر على أهله فعلتهم.

في يوم من الأيام قررت الأم أن تغير الطعام لِلِيلَى، وحينما سألها ابن عمها عن نوع طعامها قالت:

- " عَشَّانِي ٱلرَّفِيسَة وَرْكَادِي فْلَقْطِيفَة"، أي أن أهلها قد قدموا لها طعاما جيدا، وفراشا وثيرا.

فرد ابن عمها قائلا:

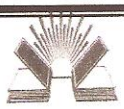

- " فَرْحْ مَّا فَرْحْ بَّا فَرْحْ ٱلْخِيمَة لَكْبِيرَة"، معلنا بذلك عن فرحته. شكت الأم في الأمر، فذهبت عند أحد الحكماء وأخبرته بما تسمعه كل ليلة، فأشار عليها الحكيم بأن تذبح جديا، وتضع له الكثير من الملح، وتتركه أمام النهر القريب من منزلها، وتراقب ما سيحدث.

قامت المرأة بما طلبه منها الفقيه الصالح، فلما اشتم الصقر رائحة اللحم، نزل إلى الأرض وأخذ يأكل ويشرب الماء، إلى أن انتفخت بطنه، فلم يستطع التحمل، فتقيأ كل ما أكله، وقد سقط من جوفه ابن عم لِيلَى، ففرحت الأم وعانقته.

ولما وصل البطل رفقة والدته إلى المنزل طلب منها أن تزوجه بالكلبة، لكنها رفضت ذلك واتهمته بالجنون، لكنه أصر على الزواج منها، وفعلا تزوج ابنة عمه المتنكرة في زي الكلبة. وفي الصباح الباكر خرجت ليلى من خيمتها في أبهى حلة، وقد أذهلت الجميع بجمالها. وحينما رأى أحد الشبان الغيورين ذلك، قرر هو الآخر أن يتزوج كلبته، لكن في الصباح الباكر وجده أهله ميتا، وقد التهمت الكلبة أحشاءه. وهكذا عاشت لِيلَى في رفاهية مع أسرتها.

" وْ حَجَّايْتِي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ " ".

الحكاية الثانية

" اعْطِيوْنَا وَذْنِيكُمْ اللهْ يْجَازِيكُمْ، وِلاَ مَا حْكِيتُوهَاشْ لْلْوْلِيدَاتْ ٱلتَّقْلِيدْ عْلِيكُمْ.

يحكى في غابر الأجيال أن فتاة تدعى " صَابْرَة " كانت تعيش مع والدها في غابة نائية، وكانت تربي قطة، فذهب والدها إلى الحج، وتركها وحيدة مع القطة، دون معين. فكانت صابرة تقتسم طعامها بالتساوي مع تلك القطة، لكن القطة لم تكن تبالي بالفتاة، فتأكل كل ما اصطادته وحدها.

وفي يوم من الأيام وجدت صَابْرَة تفاحة، فأكلتها دون أن تعطي القطة شيئا، فرأتها القطة، وتوعدت بأن تنتقم منها، فسرقت لها عود الثقاب، فلم تجد صَابْرَة ما توقد به لكي تطهو

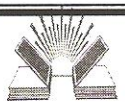

الطعام. وبينما هي تفكر في الحل، رأت نورا منبعثا من وسط الغابة، فاتجهت نحوه، وحينما وصلت إلى مكان الضوء، وجدت غُولاً يشوي لحم حمار، فقالت له:

– السلام عليك يا عمي ٱلْغُولْ. فرد قائلا:

– ماذا تريدين؟. أجابته قائلة:

– أريد قبسا من النار.

كان ٱلْغُولُ ينتعل رجلي الحمار، ويضع جلده على ظهره، و أمعاؤه على رأسه. فقدم لها ٱلْغُول النار وانصرفت.

لكن ٱلْغُولْ اقتفى أثرها، وعرف محل سكناها، فبدأ يتردد عليها في الليل، وهي ترتجف من الخوف. فيقول لها:

– يا صَابْرَة، عندما زرتني ماذا وجدتني أشوي؟ فتجيبه قائلة:

– وجدتك تشوي لحم الخروف. فيقول لها:

– وماذا وجدتني انتعل؟ فتقول له:

– بلغة السلطان. ثم يسألها:

– وماذا كنت أرتدي؟ فتقول له:

– كنت ترتدي لباس الملوك. ثم يضيف قائلا:

– وماذا كنت أضع فوق رأسي؟ فتقول له:

– عمامة الحكماء.

وهكذا دواليك، إلى أن طلب منها في يوم من الأيام أن تقبله زوجا. فأمضت الليل كله تبكي، وتطلب من الله أن يعود والدها في أقرب وقت، وكان ٱلْغُول قد أعطاها مهلة ثلاثة أيام، لتفكر في الأمر وتجيبه.

وفي صباح اليوم الثالث، عاد أبوها من الحج، برفقة شاب وسيم التقى به أثناء رحلته، ففرحت كثيرا، وأخذت تبكي، فحكت لهما قصتها مع اَلْغُوْلْ، فطمأنها الشاب الوسيم، ووعدها بأن يجد حلا لمشكلتها، فقام في حينه، فحفر أخدودا عميقا، وملأه حطبا، وغطاه بالعشب، فأمرها بأن تثير غضب اَلْغُول حينما يأتي ويسألها كالعادة.

ولما اقترب اَلْغُول، خرجت الفتاة، فرآها، وناداها قائلا:

– يا " صَابْرَة "؟. فأجابته قائلة:

– ماذا تريد أيها الحمار؟. فقال لها:

– إذا لم تقبلي بي زوجا فسوف ألتهمك. فقالت له:

– أنت مجرد جبان ولا تقوى على فعل أي شيء. فقال لها:

– عندما زرتني ماذا وجدتني أشوي؟. قالت ضاحكة:

– وجدتك تشوي لحم حمار أيها الحمار. فقال لها:

– وماذا وجدتني انتعل؟ قالت له:

– وجدتك تنتعل رجلي حمار. ثم قال:

– وماذا كنت أرتدي؟ قالت:

– كنت ترتدي جلد حمار. فقال لها:

– وماذا كنت أضع فوق رأسي؟ قالت:

– كنت تضع أحشاء الحمار أيها المعفون.

فثار غضبه، وهرول مسرعا نحوها فسقط في الفخ الذي نصب له، فأشعل الشاب النار في الحطب، فمات اَلْغُول. وقد أعجب الشاب الوسيم بـــ " صَابْرَة "، فطلب يدها للزواج، فعاشت

صَابْرَة في سعادة وهناء، رفقة زوجها ووالدها. " وْخَبِّيرْتِي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ، وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ" ".

الحكـايـة الثـالثـة

" كَانْ يَا مَا كَانْ فِي قَدِيمِ ٱلزَّمَانْ، مِينْ كَانْ لَحْبَقْ وَٱلسُّوسَانْ فِي حْجَرْ النْبِي ٱلْعَدْنَانْ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةْ وَٱلسَّلَامْ.

كان هناك رجل متزوج بامرأة رزقهما الله ولدا ذكرا، فكانا سعيدين جدا بهذا المولود، كبر الولد وترعرع في كنف أسرته، إلى أن أصبح شابا يافعا. مرض أبوه واقترب أجله، وفي لحظات احتضاره نادى زوجته وابنه الوحيد، فأخذ يوصيه بأن لا يأكل أموال الغير، مهما حصل. وفعلا امتثل الابن البار لوصية والده الهالك. توالت الأيام والشهور والأعوام، واشتد عود الشاب، فأخذ يشتغل في الفلاحة بالحقل الذي ورثه عن أبيه، وأصبح قادرا على إعالة نفسه وأمه.

وذات مرة، وبينما هو منهمك في سقي بستانه، وإذا بقنوات الري تحمل معها رمانة كبيرة، وقد طفت بجانبه. فأخذها والتهمها بنهم شديد، حينها تذكر وصية أبيه وندم عل فعلته، لأنه ظن أن أكلها تطاول على ملك الغير. فحزن الابن حزنا عميقا ولم يجد سبيلا للتكفير عن خطيئته.

عاد الفلاح الشاب متذمرا إلى منزله، وأخبر أمه بكل ما حدث، فنصحته بضرورة البحث عن صاحب الرمانة والاعتذار له عسى أن يغفر له فعلته، ولكي يهدأ باله.

و ذهب الشاب باحثا عن صاحب الرمانة، فأخذ يسأل كل من يصادفه في طريقه، إلى أن التقى برجل عجوز فأخبره بقصته، وطلب منه المساعدة.

توسم الشيخ في الشاب صورة الإنسان المثالي الذي يسعى وراء القيم النبيلة، فأراد مساعدته فقال له:

- لا تحزن يا بني إن الرمانة ملك لي.

أخذ الشاب بكلام الشيخ وسر لذلك، فطلب منه العفو. لكن الشيخ اشترط من أجل الصفح عنه أن يتزوج بابنته قائلا:

- فليكن في علمك يا بني أن ابنتي مريضة ولا تقوى على المشي، لكنها تستخدم يديها بمهارة.

وضع الشاب أمام خيار صعب، ولكنه لم يستطع رفض طلبه، وطلب من الشيخ السماح له باستشارة والدته. ولما ذهب وسألها ترددت في بادئ الأمر، ولكنها قبلت في النهاية أن توافق على زواج ابنها بالفتاة المعوقة، معللة قبولها بقولها:

- يكفي أن تكون قادرة على فعل بعض الأعمال البسيطة، مثل إطعام الدجاج.

ذهب الابن رفقة أمه لخطبة ابنة الشيخ وكان الاتفاق على موعد الزواج ومتطلباته. وفي يوم العرس وجد الشاب أمامه مفاجأة جميلة، ألا وهي كون عروسه من أجمل البنات. اسمها " حَبَّة ٱلزِّينْ "، وليست بها أي علة كما ادعى الشيخ. ملأت الفرحة قلب الشاب والأم، فدام الحفل ثلاثة أيام، وبعدها استمرت الحياة، وتنامى الحب بين العروسين.

وفي يوم من الأيام،و الشمس على وشك الغروب، طرق باب منزل العروسين، هم حسن بفتحه، فوجد رجلا غريبا لم يسبق له أن رآه من قبل، استفسره عن مراده، فطلب منه الغريب " ضِيفٌ ٱللهْ"، أي استضافته. رحب به حسن وطلب من زوجته أن تعد طبقا من الكسكس، احتفاء بالضيف وإكراما له. لكن الضيف انبهر بجمال " حَبَّةٌ الزِّينْ" الذي لم ير مثله. فبدأ

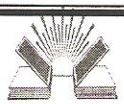

يفكر في تدبير مكيدة للزوج من أجل الفوز بها. وفي اليوم الموالي انصرف الضيف وباله مشغول بالتفكير فيما سيفعله للاستيلاء على زوجة حسن.

مرت أيام وعاد الضيف إلى زيارة حسن، وقد جلب معه قطيعا من الجمال، والخيل، والبقر، وقال:

– يا حسن إن هذا كله لك. فأجابه حسن مشدوها:

– من أين لي هذا؟ ما هذه المزحة؟. فأجابه الضيف مبددا اندهاشه:

– إن والدك كان شريكا لي في التجارة، وهذه حصتك من الشراكة.

لكن حسن لم يقتنع بالأمر بدعوى أن والده لم يخبره بشيء عن هذه الشراكة وهو على فراش الموت، فطلب من الضيف استشارة أمه.

قصد حسن والدته واستفسرها، فأجابته قائلة:

– لم يسبق لوالدك أن أخبرني بأنه شريك أحد، لذلك كن حذرا من أن تأخذ ما ليس لك.

لذا قرر حسن أن يرفض ما عرضه عليه الضيف. ولما كانت الشمس على وشك الغروب، طلب الضيف من حسن أن يسمح له بالمبيت، كل هذا ونفسه تسول له بخطف " حَبَّة ٱلزِّين ".

قبل الزوج استضافته، وقد أعدت لهما الزوجة وجبة العشاء، ومن دون أن ينتبه الزوج أخرج الضيف عشبا مخدرا، ودس منه في جهة الزوج. وبمجرد ما شرعا في الأكل، أحس الزوج بثقل رأسه، ثم أغمي عليه، آنذاك قام الضيف مسرعا واختطف " حَبَّة الزين"، وتوجه إلى دياره.

و لما استفاق الزوج من إغمائه، لم يجد في البيت غير أمه التي كانت تبكي، وسرعان ما اكتشف الشرك الذي وقع فيه، وبعد أن استرجع قواه من وقع الصدمة، أخذ يفكر في حل لاستعادة، زوجته.

لجم الزوج فرسه، ليخرج للبحث عن أعز أصدقاء أبيه بعدما نصحته أمه بذلك، من أجل طلب يد العون. فأخذ يتساءل كيف السبيل إلى هذا الصديق المجهول؟. أمرته والدته بملء أحد طرفي " إِغْرَيْنَنْ (*)" أي الأكياس التي توضع فوق ظهور الدواب ، بخبز الشعير، والطرف الآخر بخبز القمح، ثم ينطلق في رحلة البحث، وفي طريقه سيلتقي بأناس سيشتهون أكل ما بـــ " إِغْرَيْنَنْ"، فمن طلب خبز القمح فهو ليس صديقا لأبيه، ومن طلب خبز الشعير، فهو الصديق الحقيقي لوالده.

عمل حسن بنصيحة والدته، وفعلا التقى بأناس كثيرين، إلى أن صادف رجلا طلب منه أن يعطيه من خبز الشعير، فسر كثيرا لأنه وجد صديق والده، فحكى له ما وقع له. فسارا معا للبحث عن " حَبّة ٱلزّينْ". و جالا المدن والقرى بحثا عن الزوجة دون جدوى، وبينما هما منهمكان في البحث، التقيا راعيا فوصف له الزوج خاطف زوجته، وحكى له القصة بأكملها، فدلهما الراعي على مكانها، بعدما أخبرهما بأن مختطفها ادعى أنها زوجته، وبأن " حَبّة ٱلزّينْ" منذ أن وصلت لم تنطق بكلمة واحدة، بالرغم من كل المحاولات التي قام بها مختطفها لكي يجعلها تتكلم، قد أحضر لها السحرة والكهنة، وقدم لها جميع وسائل الإغراء، إلا أنها أبت التكلم مع أي أحد. و انتشرت أخبارها في المنطقة بأسرها، فباتت لغزا محيرا.

انطلقا مسرعين تجاه منزل الغريب الذي اختطف الزوجة، وقررا أن يتقمص الشيخ شخصية فقيه أوتي الحكمة في معالجة الصم البكم، بينما يقوم الزوج بدور المساعد، ولما وصلا إلى المنزل تنكر الشاب والعجوز كما خططا لذلك، و طرقا باب المحتال ففتح لهما، وأخبراه بأنهما سمعا بقصة زوجته المريضة، فجاءا بغية معالجتها.

---

*- إِغْرَيْنَنْ: كلمة بالأمازيغية، وتسمى بالدارجة: لُخْرَاجْ، وهي تعني تلك الأكياس المصنوعة من نبات الحلفاء، وتوضع فوق ظهر الدواب لحمل الأمتعة.

رحب بهما وأدخلهما لبيت الضيافة، جلسا يتحدثان، فأخذ المحتال يحدثهما عن ممتلكاته الكثيرة ويفخر بما لديه من ثروة لا تعد ولا تحصى، وأنه يملك فضلا عن ذلك جملين نادرين، فقال:

– إني أمتلك جملين نادرين، أحدهما يستطيع أن يقطع مسافة ثلاثة أيام في ساعة واحدة، أما الثاني فأسرع وأخف، إذ بمقدوره أن يقطع مسافة سبعة أيام في ساعة واحدة.

واستمر المحتال في سرد حكاياته، كل هذا والشيخ وحسن ينصتان له بتركيز شديد، إلى أن أخذ يعرض عليهما قصة " حَبَّة ٱلزِّينْ " قائلا:

– منذ أن تزوجتها، وهي ممسكة عن الكلام، وتصدني عن الفراش، فأتيت بأشهر الفقهاء والسحرة،و لكن لم يستطع أحد حل المشكلة، واكتشاف علتها. قاطعه الشيخ قائلا:

– لا تخف، كل شيء سيكون على ما يرام، وسوف تعود زوجتك على الصورة التي تشتهيها نفسك.

فرح المحتال، ووعدهما بمجازاتهما، وإغداق النعم عليهما، إن استطاعا معالجتها. فقام لتوه، وأحضر " حَبَّة ٱلزِّين "، وما إن رأت زوجها أصابتها الدهشة، وكادت تصرخ من شدة الفرح، لكن حسن أومأ إليها بإشارة خاطفة لالتزام الصمت، ثم شرع الشيخ في رسم بعض الطلاسم على ظهر ورقة، ــ من دون أن تكون لتلك الخطوط أي معنى ــ وأمر المحتال بأن يضع الورقة في يد " حَبَّة ٱلزِّينْ " لتشفى.

وما أن وضعت الورقة في يدها، حتى شرعت الزوجة في الكلام، فعمت الفرحة أرجاء المنزل، وطلب المحتال من الضيفين اشتراط كل ما يريدانه، فطلبا أن يشاركا بقية الأسرة تناول طبق شهي من الكسكس، فأمر المحتال والدته بتهييء الكسكس، لكن " حَبَّة ٱلزِّينْ " فهمت خطة زوجها والشيخ، فقامت لإعداد الكسكس بنفسها، لكي تنتقم من المحتال وتضع له

العشب المخدر في الجهة التي سيأكل منه، وفعلا نجحت الخطة. سارع الثلاثة بامتطاء أحد الجملين النادرين، ومضوا في طريق العودة للمنزل.

وحينما استفاق المحتال، حكت له أمه ما حدث، فسألها:

– أي الجملين امتطوا؟. أخبرته بأنهم سرقوا الجمل البطيء فقرر اللحاق بهم.

أخذ المحتال الجمل السريع، وخرج في اقتفاء أثرهم، لكن الشيخ الذي كان يراقب الطريق من حين لآخر، رأى المحتال يقترب من مكان استراحتهم، فاقترح على حسن وزوجته متابعة السير، بينما يبقى هو، ويخدش وجهه ومناطق من جسده، ويتظاهر أمام المحتال بأنه ضحية رجل وامرأة مرا من أمامه على متن جمل، نفذ الشيخ خطته، ولما رآه المحتال طريحا مطليا بالدم، سأله:

– من الذي فعل بك هذا؟. فأجابه الشيخ:

– لقد كنت ضحية رجل وامرأة مرا من هنا، وقد تركا المكان قبل قليل. قال المحتال غاضبا:

– اركب ورائي، فإن عدوك هو عدوي، يجب أن نثأر لما حل بنا.

ركب الرجل خلف المحتال، وفي لحظة شرود من المحتال، أخرج الشيخ سكينا من تحت جلبابه وطعنه في ظهره فأرداه قتيلا، ثم واصل مسيره إلى أن لحق بصاحبه فأخبره بما حل بالمحتال.

وبينما هم في طريق العودة، مروا بأحد الأسواق، فخطر ببال حسن أن يبيع الجمل البطيء لكي لا يعرقل سيرهم، ويحتفظ بالسريع. نزل حسن من على الجمل وترك " حَبَّة ٱلزَّيْنْ " على متنه، وطاف بها أرجاء السوق، فأخذ الناس يساومون الجمل، ومنهم من بهره جمال الزوجة، فاجتمعوا حول حسن وزوجته، فبدأ أحدهم يستفسر عن ثمن الجمل، ولما اتفقا على القيمة الواجب أداؤها، قال المشتري:

– " أَنَا غَادِي نَشْرِي ٱلْجَمَلْ أُو مَا حْمَلْ "، أي شراء الجمل والزوجة، ومن دون أن ينتبه حسن لقوله أجابه:

– نعم بالطبع.

تمت الصفقة، وذهب الزوج ضحية تسرعه، وقد حاول عبثا الاحتجاج على ذلك، مبلغا المشتري نيته في بيع المطية دون الممتطي، لكنه لم ينجح في ذلك أمام شهادة الشهود الذين حضروا الصفقة.

ذبح الجمل لأن المشتري كان جزارا، أما " حَبَّة ٱلزِّينْ " فقد أخذها إلى منزله. أخذ حسن والشيخ يفكران في كيفية استعادة " حَبَّة ٱلزِّينْ "، ووعد حسن بأن يكافئ الشيخ إن استطاع إنقاذ زوجته. فذهب الشيخ رفقة حسن إلى الجزار الذي أخذ الزوجة، فوجدا عنده رأس جمل معروض للبيع في المزاد العلني، فما زال الناس يتزايدون في ثمنه حتى اقترح الشيخ ثمنا خياليا، وقد قال للجزار:

– " أَنَا غَادِي نَشْرِي رَاسَكْ"، أي سأشتري رأسك. وقد رد الجزار أمام الملأ دون تفكير:

– وأنا قبلت بيعك رأسي. ولما أعطاه الشيخ الثمن المتفق عليه، أراد الجزار تقديم رأس الجمل في المقابل، لكن الشيخ رفض ذلك وأخبره بأنه اشترى رأسه وليس رأس الجمل، وهكذا اضطر الجزار إلى التنازل عن " حَبَّة ٱلزِّينْ " مقابل رأسه.

آنذاك شكر الزوج لصديق أبيه الراحل صنيعه، مذكرا إياه بأنه سيكون تحت إمرته كلما أراد ذلك. ثم ذهب كل منهما إلى حال سبيله.

مرت سنوات وسنوات، وقد رزق الله حسن ثلاثة أبناء، وذات يوم فكر الشيخ في امتحان حسن، إن كان وفيا لعهده، فأرسل زوجته عند حسن، مدعية بأنه مصاب بداء خطير، وأن الأطباء نصحوه بشرب دماء الأطفال الصغار، لذا لا بد وأن تقدم أطفالك لكي يشرب دماءهم.

كان وقع الطلب بمثابة الصاعقة على الزوج والزوجة، لكنهما لم يستطيعا مخالفة القدر، والنقض بعهدهما. في جو من الحزن والخوف سلما أبناءهما الثلاثة لزوجة الشيخ، وقلبهما يتمزق حزنا.

مرت سنوات عديدة، وكبر الأطفال الثلاثة، واشتد عودهم، وتعلموا الحكمة والنباهة من الشيخ الحكيم، وأخبرهم قصته مع والدهم، وقرر أخيرا بأن يعيدهم إلى أبويهم الحقيقيين بعدما اطمأن عليهم، وقد تأكد له وفاء حسن وإخلاصه في وعده، فذهبوا جميعا عند حسن و" حَبَّة لَزِّينْ "، ولما شاهد الأبوان الشبان الثلاثة وأخبرهم الشيخ الحقيقة، سر حسن وزوجته كثيرا، فأقاموا حفلا كبيرا، وعاشوا في سعادة وهناء." خَبِّرْتِي مْشَاتْ لْوَادْ لْوَادْ وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ " ".

الحكاية الرابعة

" كان يا ما كان في قديم الزمان، ملك رزقه الله سبعة أبناء، وكان كلما تنجب زوجته ابنا، أنجبت له بغلته مهرا، ولما كبر أبناؤه أعطى لكل منهم الحصان الذي كان في سنه، ماعدا ابنه الصغير وكان اسمه أحمد، فلم يشأ أن يمنحه حصانه، بل خبأه في مكان بعيد من ضيعته، وقدم له حصانا عاديا، وكان كلما كبر أحمد إلا وازداد حسنا وبهاء، وكان شبان القبيلة يغارون منه لحدة ذكائه وكثرة جماله، أما إخوته فكثيرا ما حاولوا التخلص منه أثناء ذهابهم للصيد، لأنه كان يصطاد أكثر مما يصطادونه، لكنهم لم يفلحوا في ذلك لأنه كان شديد الحرص والحذر. وقد طلب من والده أن يتركه ليذهب لتعلم المبارزة على يد أحد المبارزين المشهورين، ولما عاد من تدريبه، أصبح بطلا لا يهزم، فاشتدت غيرة الشباب، خاصة وأن كل فتيات القبيلة كن يحلمن به زوجا، فقرر الشبان، باتفاق مع إخوته، أن يذهبوا عند عجوز لتشير عليهم بطريقة للتخلص منه. وافقت العجوز، وطلبت منهم مهلة، لتدبير خطتها.

وفي يوم من الأيام خرج أحمد للصيد رفقة إخوته، وجلب طرائد كثيرة، في حين أن إخوته لم يظفروا بأي شيء، فطلبوا منه أن يعطيهم قليلا مما اصطاد لأنهم خجلوا من أن يرجعوا إلى القصر بخفي حنين، فوافق على ذلك بشرط أن يعطيه كل واحد منهم أصبعا، فاضطروا لقبول شرطه لكي يحفظوا ماء وجوههم.

ولما عادوا توجهوا لمقر العجوز ليستخبروا عما وصلت إليه، فوعدتهم بأنها ستجعل أحمد يبتعد عنهم غدا وإلى الأبد، وفي الصباح الباكر خرج أحمد كعادته يتجول في أرجاء القبيلة، فأوقفته العجوز وقالت له:

- إنك جميل وقوي ووالدك لديه المال الوفير، إذا لماذا لا تتزوج؟. قال لها:

- أنا لم أفكر بعد في الزواج. فقالت له:

- اذهب واسأل والدك فإذا وافق على تزويجك عد إلي.

ذهب أحمد عند والده وفاتحه في الأمر، فأجابه:

- اختر يا بني من بنات الملوك والأمراء من تريد وأنا مستعد لأزوجها إياك.

رجع أحمد عند العجوز فأخبرها بما قاله والده، فقالت له:

- أنت أجمل من هؤلاء كلهن لذلك أنصحك بالبحث عن" شُبْ ٱلْحَيَاة " فهي من أجمل خلق الله، وهي الفتاة التي تلائمك.

ذهب أحمد عند والده بعدما أغرته العجوز بجمال " شُبْ ٱلْحَيَاة "، فأصر على الخروج للبحث عنها، رغم محاولة الملك منعه، لأنه يعلم جيدا هول المخاطر التي سيواجهها، ومع إصراره، أمر الملك حراسه بأن يحضروا له الحصان الذي كان مخبأ، فلما ذهبوا لم يستطيعوا وضع اللجام له لأنه كان قويا، فذهب أحمد وعاين الحصان، وكان حصانا جميلا وقويا، لم يسبق له أن رأى مثيلا له، وبمجرد اقترابه منه أطاعه وأخذ يشتم رائحته. وقبل خروجه في رحلته

أهداه الملك جوهرة ثمينة، وأمره بأن يقدمها " لشُبْ ٱلْحَيَاةْ " لكي تقبل به زوجا. خرج أحمد بعد أن ودع والده وإخوته الستة، وبينما هو في طريقه، التقى جماعة من الناس يستقون الماء، وهم يتدافعون من أجل ذلك، فطلب منهم أن يسمحوا له بملء إنائه لكي يشرب ويتوضأ، رفضوا تلبية طلبه لكنه أصر، فملأ الإناء رغما عنهم وشرب، وأروى حصانه، وتوضأ، وصلى. ولما انتهى من الصلاة، توجه نحو أحدهم وقال:

– لماذا تتزاحمون بهذه الطريقة على الماء؟. فأجابه:

– إن هذه العين يحرسها عفريت، وهو يفتحها مرة كل عام ويسمح لنا بأخذ ما نحتاجه من ماء.

قرر أحمد أن يساعد أولئك القوم، ولما غابت الشمس، حضر العفريت ليغلق العين، خرج إليه أحمد ومنعه من فعل ذلك، فشرعا في المبارزة، حتى تعبا، فاقترح أحمد أن يرتاحا قليلا وبعد صلاة الفجر يستمرا في المبارزة. توضأ أحمد وصلى، وأخذ يطلب الله أن يمده بيد العون، واستمر في صلاته، إلى أن أشرقت الشمس، تأخر العفريت عن الحضور، فذهب أحمد لإيقاظه، ولما وصل وجد امرأة خارقة الجمال، لها شعر طويل افترشت نصفه، وتغطت بالنصف الآخر. ناداها أحمد، فاستجمعا قواهما، وعادا للمبارزة مرة أخرى، ولكن هذه المرة أسقطها على الأرض، وطلبت منه العفو ووعدته بأن تترك العين على حالها، وطلبت منه أن يتزوجها، لكنه رفض وقال:

– أنا ذاهب للبحث عن " شُبْ ٱلْحَيَاة "، فهي المرأة التي سأتزوجها.

حاولت العفريتة منعه، لكنها لم تفلح في ذلك، ومع إصراره قالت له العفريتة:

– خذ هذا السيف فإنه سيساعدك في مهامك. ووعدته بأنها ستنتظره أمام العين إلى حين عودته، وبأنها ستسمح لكل من يأتي إلى المكان للسقي، لأنها لن تغلق العين مرة أخرى.

شكرها أحمد وودعها، وانطلق في رحلة البحث. وبعد مسير عدة أسابيع، وجد في طريقه ثلاثة رجال جالسين في بستان من أجمل البساتين التي رآها أحمد، ألقى عليهم التحية، فردوا عليه بمثلها، ودعوه للجلوس. عرفهم بنفسه، وحكى لهم قصته، فقال لأحدهم:

– ما اسمك أنت؟. أجابه:

– أَنَا سَلَّاكْ ٱللَّحْيَة مَنْ ٱلسَّدْرَة، وقال للآخر:

– وأنت؟. قال له:

– أنا فَهَّامْ ٱلطْيُورْ، وقال للثالث:

– وأنت؟. أجابه: أنا غَطَّاسْ ٱلبْحُورْ.

فهم من كلامهم أنهم رجال لهم قوى خارقة، فأعجب بهم وأعجبوا به، لأنه مصر على اختراق المصاعب من أجل الحصول على ما يريد، فقالو له:

– إن بهذه الشجرة التي أمامنا أربع فروع، فليختر كل منكم فرعا ليسمى باسمه، وإذا ما افترقنا، وأراد أحدنا معرفة أحوال الآخرين فليعد إلى هذه الشجرة، وإذا ما رأى فرع أحدنا قد ذبل، فليعلم أنه في خطر، ومن ثم يبحث عنه لينقذه.اتفق الأصدقاء الأربعة على الأمر، وانصرف كل منهم إلى حال سبيله.

وبعد مسير سبعة أيام، رأى أحمد أضواء على مسافة بعيدة، ولما اقترب منها، وجد قصرا كبيرا محاطا بأسوار ضخمة، وانتظر إلى الصباح، وبينما هو يتأمل القصر، رأى فتاة جميلة تطل من إحدى الشرفات، فعرف للتو بأنها " شُبّ ٱلْحَيَاةْ"، ولما انتبهت إليه، استغربت وقالت في نفسها:

– ماذا يفعل هذا المتسول في هذا المكان، إنه لا يعرف خطورة الموقف الذي وضع فيه نفسه، لو وجده هنا إخوتي الأربعون لقطعوه إربا إربا.

أرثت لحاله، فنادت وصيفتها الوفية، وأعطتها عدة جواهر، وأمرتها بأن تعطيها لذلك الغريب وتأمره بالانصراف لكي لا يعرض نفسه للهلاك. فعلت الوصيفة ما أمرتها به سيدتها، فشكرها وأخرج من جيبه الياقوتة التي أهداه إياها والده، وأمرها بأن تهبها لسيدتها. أخذت الوصيفة الجوهرة، وقدمتها لـــ" شُبْ ٱلْحَيَاة "، فاستغربت فعله، وعرفت بأنه شخص نبيل، لأن تلك الجوهرة نادرة لا يملكها إلا الأمراء.

ذهبت " شُبْ ٱلْحَيَاة " إلى حديقة القصر وأرسلت له غزالا، ولما أمسك أحمد بالغزال شق بطنه، وأخرج منه الكبد، وأعاد لها الغزال، ولما رأت ذلك فهمت أنه يريد الزواج منها. فأمرت وصيفتها وقالت لها:

– اذهبي واخبريه بأنه إذا ما رأى غبارا في السماء فليعلم بأن إخوتي قادمون، ثم قولي له اطلب منهم استضافتك لكي لا يؤذوك.

فعلت الوصيفة ما أمرت به، فشكر أحمد صنيعها، وأخذ ينتظر قدوم الإخوة. ولما أوشكت الشمس على المغيب، رأى غبارا كثيفا في السماء، ما هي إلا لحظات حتى رأى رجالا كثرا على أحصنتهم، فتوجه نحوهم، وألقى عليهم التحية، وطلب منهم استضافته، فرحبوا به وادخلوه إلى القصر، ولما جلسوا حول مائدة الطعام، وجدوا بها واحدا وأربعين صحنا بدل أربعين صحنا. فاستغربوا كيف علمت أختهم بوجود غريب بينهم، فأكلوا وشربوا، وبدأوا يتجاذبون أطراف الحديث، ففهم أحمد بأنهم يخوضون حربا. وطلب منهم مساعدتهم، سخروا منه في الوهلة الأولى، لكنهم قرروا أن يأخذوه معهم لكي يتأدب.

وفي الصباح الباكر، توجهوا إلى معركة القتال، وفي مدة قصيرة استطاعوا هزيمة أولئك القوم. فاستغرب الإخوة وفهموا بأن السر يكمن في أحمد.

عادوا إلى القصر، وفي اليوم الثالث سألوا أحمد عن سبب زيارته لهم، فقال:

– أريد الزواج بأختكم " شُبْ ٱلْحَيَاة ". استغربوا لجرأته، فلم يعجبهم ذلك، وأرادوا قتله، وقال كبيرهم:

– سنناقش الأمر ونجيبك.

وفي اليوم الموالي طلبوا منه مرافقتهم للصيد، ولما أخذوه إلى مكان بعيد أرادوا قتله، لكنهم لم يستطيعوا فتبارزوا إلى أن قتلهم جميعا، وعاد إلى " شُبْ ٱلْحَيَاة "، فأخبرها بما حدث، فأخبرته بأنها كانت تعرف ما سيحدث، فصارحها بحبه لها، وطلب الزواج منها فوافقت على ذلك، وقررا العودة إلى موطنه ليقيم عرسا لا مثيل له.

كان يفصل بين قصر " شُبْ ٱلْحَيَاة " و قصر حاكم جائر يدعى " ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ"، نهر كبير. ولما علم بوفاة إخوة " شُبْ ٱلْحَيَاة "، قرر اختطافها ليتزوجها وينتقم لنفسه لأنه سبق وأن رفضه الإخوة. لذلك أرسل جيشا كبيرا لإنجاز المهمة، إلا أن أحمد كان لهم بالمرصاد، فرجع من نجا منهم خائبا، وأخبره بقوة ذلك البطل، فأعاد المحاولة عدة مرات، إلا أنه كان ينهزم كل مرة. فأذاع بين قومه، أنه من استطاع أن يجلب له " شُبْ ٱلْحَيَاة "، فإنه سيمنحه كل ما يريد.

وصل نبأ المكافأة إلى عجوز شمطاء، فتوجهت نحو قصر الملك وأخبرته بأنها ستنفذ رغبته، بشرط أن يمهلها ثلاثة أيام، فأرسل معها من يوصلها إلى قصر " شُبْ ٱلْحَيَاة "، ولما وصلت، كانت ترتدي ملابس رثة، فطلبت من الحراس مقابلة صاحبة القصر، فلما رأتها " شُبْ ٱلْحَيَاة "، أرثت لحالها وأدخلتها إلى القصر، وطلبت من وصيفاتها الاهتمام بها، وإطعامها، وفي مساء اليوم الثالث، توجهت " شُبْ ٱلْحَيَاة " إلى العجوز وبدأت تروي لها قصتها مع أحمد، كل هذا والعجوز الشمطاء تفكر في حيلة تمكنها من القضاء على أحمد، فقالت:

– كيف تمكن أحمد من هزيمة كل هؤلاء؟ لا بد وأن في الأمر سرا؟. قالت " شُبْ ٱلْحَيَاة ":

– أنا لا أعلم شيئا فأحمد لم يخبرني بشيء. قالت العجوز:

– كيف يقول بأنه يحبك وهو يخفي عنك أمرا بهذه الخطورة، اسأليه لكي تتمكني من معرفة الحقيقة. واصلتا الحديث، والقيل والقال، إلى وقت متأخر من الليل، ولما توجهت " شُبْ ٱلْحَيَاة " نحو غرفة أحمد، تبعتها العجوز من دون أن يراها أحد، فبدأت تتلصص عليهما، فسألت " شُبْ ٱلْحَيَاة " أحمد:

– لماذا لم تخبرني كيف استطعت هزيمة إخوتي، وأولئك الجنود الذين أرسلهم " ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ "؟. أجابها قائلا:

– لا داعي للحديث عن هذا الآن. ألحت " شُبْ ٱلْحَيَاة " مرددة:

– إذا كنت تحبني فعلا، فاخبرني ما السر في ذلك؟ لم يجد أحمد ما يقوله، فردد قائلا:

– إن السر يكمن في السيف الذي أهدته لي الجنية التي أخبرتك عنها، فإذا فقدته فسوف أهلك.

شكرت " شُبْ الحياة " أحمد لأنه وضع ثقته فيها، وأخذا يتبادلان أطراف الحديث إلى أن خلدا للنوم. أما العجوز الشمطاء، وبعد سماعها كل شيء، دخلت الغرفة خلسة، وسرقت السيف، وخرجت متسللة من القصر، وألقت بالسيف في البحر، ثم عادت إلى "ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ "، فأخبرته بكل ما حدث، وأمرته بأن يرسل جيشه لإحضار " شُبْ ٱلْحَيَاة ".

فعل الملك ما أمرته به العجوز، ولما وصل الجنود إلى القصر استفاق أحمد على وقع السيوف، ولما بحث عن سيفه لم يجده، فأغمي عليه من وقع الصدمة، أما الجنود فقد اختطفوا " شُبْ ٱلْحَيَاة "، وقادوها إلى " ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ ".

و لما وصلوا رحب الملك بها، وأحضر لها كل غال ونفيس، وطلب الزواج منها، لكن " شُبْ ٱلْحَيَاة " سكتت عن الكلام، ولم تنبس ببنت شفة، فأحضر لها السحرة والكهنة لعلاجها، لكنهم لم يفلحوا في ذلك، هذا ما كان من أمر " شُبْ ٱلْحَيَاة "، أما أحمد، فهو الآخر هام على وجه الأرض وأخذ يفكر في حل لمشكلته، لكن دون جدوى.

وبينما هو على هذه الحال، كان أصدقاؤه الثلاثة، " سَلاَّكْ ٱللَّحْيَة بَالسَّدْرَة " و " غَطَّاسْ ٱلْبُحُورْ " و " فَهَّامْ ٱلطُّيُورْ "، قد عادوا إلى الروضة التي التقوا بها أول مرة، فلما وجدوا غصن أحمد قد ذبل، قرروا الذهاب للبحث عنه وإنقاذه، وبينما هم في طريق البحث عنه، وجد " فَهَّامْ ٱلطُّيُورْ " سربا من الحمام في طريقه، فسأل قائدهم:

– ألم تر شابا هائما على وجه الأرض؟. فأجابه:

– لا لم أر أحدا، لكن إذا أمهلتني بضع دقائق سآتيك بالخبر اليقين.

طار قائد الحمام بعيدا، وبعد برهة عاد ومعه أخبار أحمد، وهكذا سار الأصدقاء الثلاثة في الاتجاه الذي أخبرهم به قائد الحمام، بعد أن شكره " فَهَّامْ ٱلطُّيُورْ "، لأنه الوحيد الذي يفهم لغته.

وبينما هم في طريقهم وجدوا أحمد هائما لا يدري ما يفعل، فعانقوه وبكوا كثيرا، فأخبرهم بما جرى له، وأخبره " غَطَّاسْ ٱلْبُحُورْ " بأنه قادر على إعادة سيفه، فتوجهوا نحو النهر العميق، فغطس " غَطَّاسْ ٱلْبُحُورْ "، وبعد مدة وجيزة صعد وبيده السيف السحري، ولشدة فرحته، أخذ يلوح بالسيف، فطار من يده عاليا، فسقط في سدرة كبيرة كانت أمامه، لكن " سَلاَّكْ ٱللَّحْيَة بَٱلسَّدْرَة " تبسم، ودخل في تلك السدرة غير مبال بأشواكها المتشابكة، فأخرج السيف بسهولة، وقدمه لأحمد.

فرح أحمد كثيرا وشكر لهم صنيعهم، وودعهم مرة أخرى، وركب الباخرة التي تغادر إلى بلاد " ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ " من دون أن يفصح عن هويته، ولما وصل إلى المكان المقصود، جال في أرجاء البلاد، فسمع الناس يتحدثون عن " شُبْ ٱلْحَيَاة "، وعن مرضها الذي عجز الأطباء والسحرة عن إيجاد دواء له.

فكر أحمد كثيرا في حيلة يستعيد بها " شُبْ ٱلْحَيَاة "، فقصد نجارا، وقال له:

– أتريد أن تكون حاكم هذه البلاد؟. ضحك النجار المسكين وقال:

– أتسخر مني أيها الغريب، لا بد أنك لم تسمع ببطش " ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ "؟. أجاب أحمد قائلا:

– بلا. ولكن سمعت بأن الفتاة التي يرغب الزواج منها مريضة، وأن من يشفيها سينال كل ما يطلبه، وأنا أستطيع أن أدلك عن طريقة لمعالجتها، لكن بشرط، أن تسمع كلامي بالحرف الواحد، ومن ثم سأجعلك حاكم هذه البلاد.

وعد النجار أحمد بأن ينفذ كل أوامره، فأمره أحمد بأن يرسل والدته إلى الملك، فتخبره بأنها تستطيع معالجة " شُبّ ٱلْحَيَاة "، فإذا ما سمح لها بالدخول، تقدم هذه الجوهرة لـــ " شُبْ ٱلْحَيَاة "، فإنها ستتكلم، وحينما يريد الملك مكافأتها، تطلب منه أن يسمح لك بصنع أجود أثاث بمناسبة زواجه بـــ " شُبْ ٱلْحَيَاة ".

وافق النجار على كل ما طلبه منه أحمد، وفي الصباح الباكر، أخذت الأم من أحمد الجوهرة وتوجهت لتنفيذ المهمة المنوطة بها. ولما رأت " شُبْ ٱلْحَيَاة " الجوهرة فهمت أن أحمد مازال على قيد الحياة، وبأنه يعمل على إنقاذها، ففرحت كثيرا وأخذت تتكلم.

فرح الملك كثيرا، وكافأ والدة النجار، ونفذ كل ما طلبته، وأخذ يستعد لإقامة عرس كبير لم تشهده البلد من قبل. أما النجار فصنع كل ما أمره به أحمد، ولما انتهى من ذلك، اختبأ أحمد في إحدى الخزائن، وأمر النجار أن يأخذ الأغراض إلى القصر، وأن توضع في غرفة " شُبْ ٱلْحَيَاةْ "، ولما كان الجميع منشغلا بالتحضير للعرس، سمح للنجار بالدخول من دون تفتيش. أما أحمد فبمجرد أن سمع كلام " شُبْ ٱلْحَيَاة "، واطمأن بأن لا أحد يراه، خرج من مخبئه وعانقها، وأخبرها عن الذي جرى له، ففرحا كثيرا، وبقي في غرفتها إلى أن قدم إليها " ٱلْمَلِكْ لَصْلَعْ "، فأخرج أحمد سيفه وقطع رأسه ووضع الجثة في صندوق، ورمى به في النهر،

فارتدى ملابس الملوك و خرج رفقة " شُبّ ٱلْحَيَاة "، متوجها نحو شعبه الذي كان ينتظره للاحتفال بزفافه، فلما رأوه وقد تغير شكله، أخبرهم أحمد مبددا اندهاشهم:

– يا قوم أنا ملككم، فبمجرد أن قبلت " شُبّ ٱلْحَيَاة " عدت عشرين سنة للوراء، وأنتم الآن ترون بأنني عدت أقوى من ذي قبل، لذا يجب أن تقدموا لي الولاء والطاعة.

فحياه الجميع، وقبلوا الأرض التي يقف عليها، فاسترسل في الكلام قائلا:

– سأذهب رفقة زوجتي في رحلة طويلة، وسأترك مسؤوليتكم لهذا النجار الشجاع، ووالدته التي استطاعت أن تشفي " شُبّ ٱلْحَيَاة "، لذا يجب أن تطيعوهما و إلا نلتم ما تستحقون. ردد الجميع:

– السمع والطاعة يا مولاي الملك.

غادر أحمد المدينة رفقة " شُبّ ٱلْحَيَاة "، بعدما أوفى بالوعد الذي قطعه للنجار، وودعه قومه ووعده النجار بأنه سيكون حاكما عادلا. ولما وصل أحمد إلى قصر " شُبّ ٱلْحَيَاة "، جمع أغراضه واستمر في رحلة العودة برفقة زوجته.

وفي طريقه مر بأصدقائه الثلاثة، فرآهم جالسين في الروضة، فسلم عليهم وشكرهم مرة أخرى، وعرفهم على زوجته " شُبّ ٱلْحَيَاة "، وودعهم واستمر في رحلته، وبينما هو في طريقه، وصل إلى عين الماء، فوجد الجنية في انتظاره، وأصرت على مرافقته، ووعدته بأن تكون وصيفة وفية لـــ " شُبّ ٱلْحَيَاة"، فعانقتها " شُبّ ٱلْحَيَاة " وقررت بأن تكون صديقتها الوفية.

ولما وصل أحمد إلى أرض والده، سألته العفريتة عن المكان الذي يرغب أن تبني له به قصره الخاص، فلما وصل مسجدا، أمرها أن تبني له بالقرب منه قصرا لم ير له مثيل. ففعلت

الجنية ما أمرت به، وفي الفجر نهض الفقيه ليأذن للصلاة، ولما شاهد ذلك القصر الذي لم ير مثله من قبل بدل أن يقول: الله أكبر، أخذ يردد:

- الله ينصر ما أصبح!.

سمع الناس كلامه ولما خرجوا شاهدوا بأم أعينهم ما لم يشاهدوه من قبل، وصل الخبر إلى الملك، وأخذ جنوده وخرج يتحقق الأمر، ولما وصل إلى القصر، رحب به الحراس وأدخلوه، ولما رأى أحمد سقط مغشيا عليه، ولما استفاق أخذه بين ذراعيه، أما إخوته الستة، فقد ازدادوا غيضا. ولما رأوا زوجة أحمد وجاريتها العفريتة، أخذوا يلحون على والدهم بأن يطلب من أحمد تزويجه بالعفريتة، ويكتفي هو بـــ " شُبّ ٱلْحَيَاة "، كل هذا لينشب صراع بين أحمد وأبيه ويستفيدوا هم في الأخير.

ذهب الملك لزيارة أحمد وطلب منه تزويجه بالعفريتة، ولما رفض أحمد ذلك، غضب منه والده، وعاد إلى قصره، وأرسل جيشا كبيرا ليقضي عليه، لكن أحمد استطاع أن يلحق به هزيمة لا تنسى، فاشتد غضب الأب وأرسل أضعاف مضاعفة من الجنود، لكن دون جدوى.

ولما سمع أحد اليهود بالقصة، ذهب إلى الملك وأخبره بأنه قادر على مساعدته للقضاء على أحمد.

سر الملك كثيرا، ووعد اليهودي بأنه سيغدق عليه العطايا إن هو استطاع بالفعل القضاء على أحمد.

نصح اليهودي الملك بالذهاب عند أحمد وطلب العفو منه، ففعل الملك ما أمر به، فاستعاد أحمد الثقة بوالده، وبعد مرور عدة أسابيع، طلب اليهودي من الملك بأن يأمر أعوانه بذبح عدة أغنام، وأن يضعوا لها الكثير من الملح، فعل الأعوان ما أمروا به، وبعد أن جهز كل شيء، قال اليهودي للملك:

– يجب أن تقنع ابنك بالخروج معي في رحلة قصد معرفة أملاكك، وعدها.

ذهب الملك عند أحمد واستطاع إقناعه بذلك، فخرج أحمد في رحلة مع اليهودي، بعد أن أمر العفريتة بحراسة القصر. وبينما هم في الطريق، أخذ اليهودي يطعم أحمد من لحم الغنم المالح، من دون أن يسقيه ماء، ومرت أيام وهم على هذه الحال، وكانا قد ابتعدا كثيرا عن القصر، أغمي على أحمد، فتركه اليهودي بدون ماء ولا طعام ولا دابة، ولكن لحسن الحظ لم يأخذ أحمد السيف معه في رحلته. هذا من جهة، أما والد أحمد فبمجرد غياب ابنه، أخذ جيشه متجها نحو قصر ابنه بغية الاستيلاء على " شُبّ ٱلْحَيَاة " والجنية، لكن هذه الأخيرة كانت له بالمرصاد، وبالرغم من كل المحاولات لم يستطع هزيمتها واقتحام القصر. أما أحمد وبينما هو فاقد للوعي، مر به طائر كبير، فأخذ يصيح بصوت مرتفع إلى أن استفاق، فقال له الطائر:

– تماسك قليلا، فسوف تجد على مسافة قريبة منك، نباتا يعيد لك قوتك.

أخذ أحمد يحبو والألم يمزقه، إلى أن وجد نباتا أخذ يأكل منه، شعر بتحسن، وشكر الطائر لمساعدته. لما استعاد قوته، أراد العودة إلى بلاده، وفي طريقه وجد عجوزا تسكن وحدها، طلب منها المبيت، ووافقت على طلبه، وفي الصباح الباكر وجدها تمخض الحليب، وطلب منها أن تتركه ليساعدها، وفعلا استطاع أن يحصل على زبد كثير، استغربت العجوز لذلك وعرفت بأنه رجل كريم، لأنها هي نفسها لم تكن تحصل على تلك الكمية من الزبد، فطلبت منه أن يحكي لها قصته، روى لها ما جرى له، فأعجبت ببسالته وقوته وصبره، ودلته على طريق العودة، وقد منحته حصانها.

ولما وصل إلى قصره ساعدته العفريتة على الدخول، فأخذ سيفه، وخرج ليساعد الجنية على محاربة والده الذي كان يحيط القصر بكل ما يملك من جنود، وقد استطاع القضاء على كل من وقف في طريقه ابتداء من إخوته، وفي الأخير بقي والده وحيدا، فطلب منه العفو، فعفا

عنه أحمد لأنه إنسان نبيل، وهكذا أقام حفلا كبيرا احتفاء بزوجته، وبالنصر الذي ناله، وعاش حاكما عادلا رفقة أصدقائه الأوفياء".

الحكاية الخامسة

" كَانْ يَا لَجْوَادْ حَتَّى كَانْ، كانت في إحدى القرى النائية عائلة فقيرة تعيش على رعي بعض المواشي، وكان لهذه العائلة فتاتان، إحداهما شريرة، والأخرى فتاة صالحة، كانت الفتاة الشريرة تكره شقيقتها، وكثيرا ما حاولت التخلص منها، وكانت تفتعل المشاكل لتنال الفتاة الطيبة العقاب مكانها، فتضحك منها.

وفي يوم من الأيام وكعادتهما، خرجتا للرعي، فتعبت الفتاة الصالحة، وكان اسمها " شَعْبَة خَضَّارْ "، فطلبت من أختها أن تسمح لها بالاستراحة قليلا، رفضت الأخت الشريرة، ولكن سرعان ما وافقت، وكل هدفها التفكير في حيلة للتخلص منها. وبعد برهة غاصت " شَعْبَةْ خَضَّارْ " في النوم لأنها كانت متعبة جدا.

استغلت الأخت الفرصة، فربطت شعر أختها بسدرة كبيرة، و أحكمت وثاقها من دون أن تشعر " شَعْبَة خَضَّارْ" بذلك، أخذت الماشية وعادت إلى منزلها، و أخبرت والديها بأن شقيقتها قد هربت بعد أن أخبرتها بأنها ملت من العيش في الفقر. أما الفتاة المسكينة، لما استفاقت من نومها العميق، وجدت الظلام قد حل، فبقيت متصلبة في مكانها من شدة الخوف.

وفجأة! رأت نورا منبعثا من بعيد، فصرخت قائلة:

- " آ دِكْ اَلنَّارْ، إِلاَ انْتِ أَنْتَاعْ أَمَّا وَبَّا قَرْبِي قَرْبِي، وِيلاَ أَنْتَاعْ لَغْوَالْ أَوْ لَهْوَالْ بَعْدِي بَعْدِي "، أي إذا كان النور المنبعث هو لأحد أفراد أسرتها فليقترب، أما إذا كان لأحد غريب فليبتعد. فأخذ النور يبتعد شيئا فشيئا، ثم أعادت النداء من جديد قائلة:

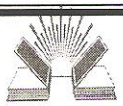

- " آ دِيكْ ٱلنَّارْ إِلاَ انْتِ أَنْتَاعْ مَّا وَبَّا بَعْدِي بَعْدِي، وِيلاَ أَنْتَاعْ لَغْوَالْ أُو لَهْوَالْ قَرْبِي قَرْبِي "، أي إذا كان النور لأحد أقاربها فليبتعد، أما إذا كان لأحد الغرباء فليقترب. وهكذا أخذ النور يقترب منها شيئا فشيئا، فأخذت ترتجف من الخوف، ولما تمكن لها مشاهدة صاحب الضوء الذي نادت عليه، عرفت بأنها ٱلْغُولَة، وهي قبيحة المنظر، لها أسنان كبيرة، وشعر مشعث، وثديان كبيران، ومع ذلك أسرعت " شَعْبَة خَضَّارْ " نحو ٱلْغُولَة، وأمسكت ثديها وبدأت ترضع منه، حينها تكلمت ٱلْغُولَة قائلة:

- " لُوكَانْ مَاشِي حْلِيبْ عِيسَى أُو مُوسَى، نْدِيرْ لَحْمَكْ فِي لُكْمَة، وَعْظَامَكْ انَّكِّي بِهُمْ سَنِّيَّ "، بمعنى لولا حليبي الذي شربته، لكنت قد أكلت لحمك، ونظفت أسناني بعظامك.

وهكذا نجت الشابة من بطش الغولة، فأخذتها معها إلى المنزل، وأخذت تعتني بها وتساعدها في الشؤون المنزلية، مرت الأيام والشهور، وذات يوم خرجت الفتاة بإذن من ٱلْغُولَة إلى الغابة لتتنزه قليلا، فرآها والدها الذي كان يرعى الماشية بالقرب من المكان، فناداها، لكنها أجابته بأنها لا تستطيع العودة معه، لأن ٱلْغُولَة ستراها، وستأكلهما معا.

لكن الأب استطاع بعد جهد كبير إقناع ابنته بالعودة معه، فلما ابتعدا عن منزل ٱلْغُولَة، تعانقا وبكت " شَعْبَة خَضَّار "، فحكت لوالدها كل ما جرى، فوعد بالانتقام لها ومعاقبة شقيقتها، وما إن وصلا إلى المنزل، اقتفت ٱلْغُولَة أثرهما، لكن الأب حفر حفرة كبيرة ورمى بها حطبا كثيرا وغطى الحفرة، ولما سقطت بها ٱلْغُولَة أشعل النار في الحطب فاحترقت، أما شقيقة " شَعْبَة خَضَّارْ"، فقد ضربها والدها ضربا مبرحا، إلى أن وعدته بالإقلاع عن التصرفات السيئة " وَاللهْ يَغْفَرْ لِنَا، مَا سْمَعْنَاهْ كُلْنَاهْ " ".

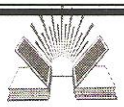

الحكـــايـــة الســـادســـة

" حَاجِيتَكْ. كان لرجل فقير سبعة بنات، أصغرهن تدعى " هَنْدَة " وفي يوم من الأيام، قرر زعيم القبيلة أن يذبح بقرة، ويفرقها على أهل عشيرته، ولما ذبحت البقرة، ذهب الأب الفقير فسرق قطعة من اللحم، ولما أراد الزعيم تفرقة اللحم، وجد قطعة مسروقة، فطلب من عشيرته أن يجتمعوا، فسألهم عن الذي تجرأ وسرق قطعة اللحم، لكن لم يجبه أحد، فطلب منهم أن يصطفوا، وأن يضع كل واحد منهم يده على صخرة كبيرة كانوا يعبدونها، وأن يقسموا بأنهم لم يسرقوا اللحم، فعلوا ما طلبه منهم الزعيم، ولما وصل دور الأب المسكين، ما إن وضع يده على الصخرة و أقسم بأنه لم يأخذ شيئا، حتى التصقت يده بالصخرة، فكان جزاؤه أن يبقى هناك إلى أن تأكله وحوش الغاب.

عرف بناته بما جرى لوالدهم، فجاءت البنت البكر، وبكت أمامه قليلا، وودعته ورحلت، ثم جاءت الثانية، ففعلت مثل شقيقتها، ثم الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، ولما جاء دور أصغرهن، وهي " هَنْدَة "، رفضت ترك والدها لوحده، والسفر مع باقي العشيرة. وقالت لهم:

- " إِيلاَ بْكَا بُويَا نَبْكِي، وِيلاَ سْكُتْ بُويَا نَسْكُتْ "، أي إذا بكى والدي سأبكي، وإذا سكت سأسكت.

حاول والدها إقناعها بالرحيل وتركه وحيدا، لكنها أبت، وجمعت رزمة من الحطب، وأحاطتها بوالدها، وغرست نواة تمر، فكبرت الشجرة، فكان كلما حل الظلام، صعدت إلى النخلة وهي تقول:

- " طْوَالِي يَا نَخْلَة أَمَّا أُو بُويَا "، فتصعد النخلة عاليا، أما في النهار فتقول:

- " هَوْدِي يَا نَخْلَة أَمَّا أُو بُويَا "، فتنزل النخلة وتذهب وتطمئن على والدها، و كلما كانت فوق النخلة، إذا رأت حيوانا قد اقترب من والدها تناديه قائلة:

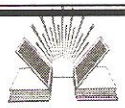

- "وَاشْ ذَاكْ أَلِّي جَايَّكْ آ بِيِّي حْنِينِي آ بِيِّي حْنِينِي إِلَى لَسْمَاحْ"، أي ما هذا الحيوان الذي يقترب منك يا أبتي، فيجيبها الأب قائلا:

- " هَذَا ٱلْكَلْبْ أَلِّي مَا يْخَافُو ابَّاكْ آ هَنْدَة ابْنِتِي آ هَنْدَة ابْنِتِي إِلَى لَسْمَاحْ"، أي إنه مجرد كلب، وأنا لا أخافه فلا تخشي من أن يصيبني مكروه، وكانت كلما رأت حيوانا تردد ذلك، فيجيبها والدها لترتاح.

وذات يوم، وبينما هي فوق النخلة، رأت أسدا مفترسا يقترب من والدها، فارتعدت فرائصها. وصاحت قائلة:

- " وَاشْ ذَاكْ أَلِّي جَايَّكْ آ بِيِّي حْنِينِي آ بِيِّي حْنِينِي إِلَى لَسْمَاحْ ". فأجابها الأب قائلا وقد عرف بأنها نهايته:

- " هَذَا ٱلسْبَعْ أَلِّي يْخَافُو ابَّاكْ آ هَنْدَة ابْنِتِي آ هَنْدَة بْنِيتِي إِلَى لَسْمَاحْ "،أي إنه الأسد يا ابنتي، و أنا أخاف منه.

ولما وصل الأسد زأر زأرة مرعبة، وقفز فوق سور الحطب الذي كانت قد بنته " هَنْدَة "، وبدأ يمزق جسم والدها، فبدأت تصرخ وتقول:

- "فِينْ وْصَلَّكْ آ بِيِّي حْنِينِي "، أي ماذا أكل لك الأسد؟. فيجيبها قائلا:

- " كْلَالِي رَجْلِي آ هَنْدَة ابْنِتِي"، بمعنى أنه التهم رجله، فبدأت تسأله وهو يجيبها، إلى أن التهم الأسد كل أطراف الأب، فلما وصل إلى الرأس لم تسمع " هَنْدَة " جواب والدها، فعرفت بأنه قد مات.

بكت بحرقة، وحزنت حزنا عميقا على والدها المسكين، مما جعلها ترفض النزول، وبقيت فوق النخلة، ورغم محاولة الأسد تسلق النخلة وأكل " هَنْدَة"، إلا أنه لم يستطع، فمات الأسد

من الحسرة والتعب، وقد ظهر في المكان الذي كان يجلس به والدها نبع ماء، فكانت كلما شعرت بالعطش نزلت وشربت منه.

وفي يوم من الأيام، كان أمير يتجول في البلاد، ولما وصل إلى ذلك المكان نزل ليروي عطشه، وبينما هو ينظر في حوض النبع، رأى وجها كالبدر على صفحة الماء، فأعجب به لكنه لم يعرف صاحبه، فذهب واختبأ في الجوار، وبعد برهة، رأى فتاة جميلة تنزل من فوق النخلة وتشرب من النبع، وتتسلق النخلة من جديد، ولما طلب منها النزول، رفضت ذلك، وطلبت منه الانصراف.

غادر الأمير المكان وهو حزين، ولما وصل إلى قصره، وقد بدت عليه علامات الحزن، سألته جدته:

– ما بك يا بني؟. أخبرها الأمير بعد أن ألحت عليه بما جرى له، وأخبرها بأنه وقع في حبها، فقالت له:

– أنا سأساعدك يا بني، ما عليك إلا أن تخبرني بمكانها.

رافق الأمير جدته إلى المكان المعلوم من دون أن تراه" هَنْدَة "، وكانت الجدة قد أخذت معها دجاجة، وخضرا، وكسكسا، وإناء لتهييء الطعام، فجلست أمام العين، وأمسكت الدجاجة من رجلها وأرادت أن تذبحها، كل هذا و" هَنْدَة " تراقبها، فصاحت " هَنْدَة ":

– " مَنْ رَقْبَتْهَا آ حَنّة لَعْكُوزَة "، أي من رقبتها يا جدتي.

فلما سمعت العجوز صوت الفتاة قالت:

– إن كنت من الإنس فتعالي وساعديني، وأما إن كنت من الجن فاغربي عن وجهي!.

لم تستطع هَنْدَة رؤية العجوز المسكينة وهي منهمكة في إعداد الطعام، خاصة وأنها لا تجيد تحضيره فنزلت " هَنْدَة "، وسلمت على العجوز الطيبة، وأخذت تساعدها في إعداد الكسكس

بالدجاج، وتبادلا أطراف الحديث، فسألت العجوز " هَنْدَة " عن قصتها، فأخبرتها بكل ما جرى، كل هذا والأمير يسمع حديثهما، فاقترب منهما، وطمأنتها الجدة فقالت لها:

– إن هذا الشاب حفيدي، فبمجرد أن رآك وقع في حبك، فهل تقبلين به زوجا؟. فكرت الفتاة قليلا، ووافقت على طلب الأمير، بشرط أن يجد شقيقاتها الستة.

وافق الأمير على شرطها، وعادوا إلى القصر، وأرسل أعوانه للبحث عن شقيقات " هَنْدَة "، ولما تم العثور عليهن، استقبلتهن شقيقتهن بفرحة كبيرة، وحكت لهن قصتها كاملة، وبعد مرور عدة أيام أعلن الأمير عن قيام حفل زفافه بـــ " هَنْدَة "، لكن الأخوات الستة لم تعجبهن الفكرة، فقررن الانتقام من " هَنْدَة "، وفي يوم زفافها طلبن منها أن يمشطن شعرها، ومن دون أن تدري، غرزن في رأسها سبع إبر سحرية، فتحولت للتو إلى حمامة، فطارت في السماء وحطت على غصن شجرة في حديقة القصر، فلما سأل الأمير عن عروسه، أخبرته شقيقاتها بأنها تركت القصر متوجهة نحو الغابة.

خرج الأمير للبحث عنها، أما " هَنْدَة " فكانت كلما حل الظلام قالت:

– " وَاشْ سِيدِي جَا وَلَّا مَازَالْ؟ شُوفْ لَحْدِيدْ مَادَارْ فِيَّ، ٱلنَّخْلَة رَبَّاتْنِي، وَخْوَاتَاتِي دَارُوهَا بِيَّ"، أي هل عاد سيدي من السفر، أنظروا ما جرى لي من قبل شقيقاتي. فيجيبها حارس القصر وهو لا يعلم من المتكلم:

– إن سيدي لم يعد بعد.

فكانت كل يوم على هذه الحال، إلى أن عاد الأمير من رحلة البحث، وحكى له الحارس ما يسمعه كل ليلة، فانتظر الأمير إلى أن سمع ذلك الصوت، فطلب من صاحبه الاقتراب، فحطت الحمامة على كتفه، فأخذ يمسح على رأسها، وأخذ ينزع الشوك منه وهو يقول:

– مسكينة هذه الحمامة، الله وحده يعلم ما بها وما هذه الأشواك التي برأسها؟. ولما انتهى الأمير من نزع الإبر السبعة من رأس الحمامة، تحولت من جديد إلى " هَنْدَة "، حبيبته التي لطالما بحث عنها، فعانقها، وأخبرته بما فعلته بها شقيقاتها، فأمر أعوانه بربطهن بأرجل الخيل، وضربها لتجري إلى أن يمتن، فكان عقابهن عسيرا. أما " هَنْدَة " فقد عاشت مع زوجها في سعادة وهناء. " وْخَبّيْرْتي مْشَاتْ ٱلْوَادْ ٱلْوَادْ وْأنَا بْقِيتْ مْعَ لَجْوَادْ " ".

الحكـــايـــة الســـابعـــة

" كَانْ حَتَّى كَانْ، في قديم الزمان، إمرأة رزقها الله سبعة أولاد ذكور، وأنثى واحدة سمتها " غْزَالَة "، فكانت الفتاة آية في الجمال، وكان للذكور سبعة نساء، وسبع عبيد، وسبعة إبل، وسبعة بغال. وكانت أختهم مدللة غاية الدلال، لأنها الصغرى، لا ينقصها أي شيء.

كانت الأسرة تعيش حياة الترحال، وكلما حان موعد الرحيل إلا وجهز للأخت " ٱلْعَطُّوشْ" أي الهودج، لكي لا تتعب أثناء الرحلة، وكان يقدم لها كل ما تشتهيه، من دون أن تتعب نفسها بالقيام بأي شيء.

اتقدت نار الغيرة في صدور الزوجات السبعة، وأخذن يفكرن في نصب مكيدة لها، وفي يوم من الأيام طلبن منها مرافقتهن للغابة من أجل الاستجمام، وبعد جدال طويل استطعن إقناعها لمرافقتهن، وفي الغابة انفردت بها إحداهن، أما الأخريات فأخذن يبحثن عن بيضة ثعبان، وما إن وجداها، حتى اجتمعن مرة أخرى، فأخذن يضحكن ويتحدثن معها، إلى أن حان موعد العودة إلى المنزل. ولما عدن إلى المنزل، نهضت إحداهن وجهزت " ٱلزّمّيطَة(*)" لـــ " غْزَالَة"، وقد دست بداخلها بيضة الثعبان، وقالت لها: إذا كنت تحبين إخوتك فعليك أن تبتلعي

*– ٱلزّمّيطَة: أكلة مغربية تحظر بدقيق القمح الذي يتم نزعه طريا، فيحمر فوق النار، ويطحن برحى اليد، وتتم غربلته، فيخلط الدقيق بالماء والزيت، والملح، وتصنع منه كويرات متوسطة الحجم، فيقدم مع الشاي.

هذه الزميطة دون مضغها. ففعلت " غْزَالَة" ما طلبته منها زوجة أخيها دون تردد، فصفقن لها لأنها نجحت في فعل ذلك، وأخذت تضحك دون أن تعرف عواقب ذلك.

ومع مرور الأيام، أخذ بطن " غْزَالَة " في الانتفاخ ، حينها توجهت النسوة السبع إلى أزواجهن، وقالت إحداهن:" انْتُمَا فْدَارْ غَفْلُونْ، وْخُتْكُمْ دَايْرَا مَا عْلِيهَا، خُتْكُمْ رَاهَا مْثَقْلَة "، أي أن أختكم التي تتباهون بها تنتظر مولودا، فبطنها ينتفخ يوما بعد يوم.

ثار غضب الإخوة وقرروا ترك أختهم لوحدها، وقاموا ببناء غرفة لها ووضعوا بها " غْزَالَة "، فشرعت الشابة في البكاء سائلة أخاها الأكبر:

– ماذا فعلت يا أخي؟. أجابها الأخ بعد أن أدخلها الغرفة، وقد أحكم إقفالها:

– انظري لنفسك، لقد شوهت سمعتنا، و خنت الثقة التي وضعناها بك.

توسلت الفتاة وبكت وهي لا تعرف ما يدور حولها، أما إخوتها فقد انطلقوا متجهين نحو المجهول.

كانت الأيام تمر وكأنها سنوات، وفي اليوم السابع، مر رجل بجانب الغرفة التي كانت مسجونة بداخلها، فسمع بكاءها، وصاح قائلا:

– يا أهل الدار، هل أنتم من الجن أم من الإنس؟. فأجابته:

– أنا من الإنس يا عماه، أرجوك أخرجني من هنا.

كسر الرجل الباب الموصد بعد عناء كبير، وأخرج " غْزَالَة " التي كادت أن تلقي حتفها، فسألها عن قصتها، فحكت له كل ما جرى لها.

سمع الرجل القصة كاملة، وطلب منها أن تنتظره قليلا، ذهب الرجل ولم تمر الساعة حتى عاد إلى " غْزَالَة "، وهو يحمل شاة، وكمية كبيرة من الملح، وعصا كبيرة.

قام الرجل بذبح الشاة وطهيها بعد أن وضع لها ملحا كثيرا، وطلب منها أن تأكل، فأخذت تأكل بنهم شديد دون أن تشعر بملوحته، إلى أن شبعت فشعرت بالعطش الشديد، ولما طلبت الفتاة الماء رفض الرجل أن يسقيها، بل أرغمها على أكل المزيد. ولما شعرت بالتخمة، أخذت تتقيأ، فخرج ثعبان ضخم من فمها، فهوى عليه الرجل بعصاه وأرداه قتيلا ووضعه في كيس، فرحت الفتاة المسكينة، وذهبت مع الرجل إلى منزله، و حكى لقومه حكاية " غْزَالَة " بعد أن أراهم الثعبان.

كان للرجل ابنا بارا، فزوجه بـــ" غْزَالَة "بعد أن أخذ موافقتها. مرت السنوات و أنجبت ولدا، وفي يوم من الأيام مرت قافلة رحل بالدوار، و طلبوا المبيت، فصادف أن نزلت القافلة بخيمة " غْزَالَة "، وما إن لمحت إخوتها حتى تعرفت إليهم، لكنهم لم يعرفوها. أخبرت زوجها بذلك، فأكرموهم غاية الكرم، ولما ذهب الجميع إلى النوم، جعلت ابنها يبكي، فأخذت تسكته بالموال الآتي: " أَرَ أَرَ عْلَى وَلْدْ لَغْرِيبْ، يِّمِّتْ مْوَحْلَة، اِلِّي خُّوتْهَا سَبْعَة، وَنْسَاهُمْ سَبْعَة، وْعَنْدْهُمْ غِي خُتْ وَحْدَة "، بمعنى أسكت يا ابن الغريبة التي حملت، وكان لها سبع إخوة وزوجاتهم سبعة. رددت موالها مرارا وتكرارا، فلما سمعها الإخوة، افتكروا شقيقتهم، فعرفوا أنها هي. فعانقتهم وحكت لهم ما جرى، فاعتذروا لها، أما زوجاتهن السبعة، فربطوهن بسبعة خيول، وتركوهن والخيل يجرهن، حتى قضين، وتزوج الإخوة السبعة من قبيلة صهرهم واستقروا بها، وعاشوا جميعا في سعادة وهناء. " وَاَفْهَمْ يَا اُلْفَاهَمْ، حَجَّايْتِي كَمْلَاتْ وَانْتَ بَاقِي سَاهَمْ " ".

الحكـــــايـــــة الثـــامنـــة

" يحكى أنه كان هناك رجل يعيش مع ابنته الوحيدة بعدما فقد زوجته، فألح عليه جيرانه وأصحابه بأن يتزوج، لكي تنشأ ابنته في جو عائلي ملائم، واختاروا له امرأة من القبيلة، فتزوجها ورزقهما الله بفتاة، حينها بدأت الزوجة تكره ربيبتها، وأخذت تفكر في طريقة

للتخلص منها. كبرت الأختان، وكانت زوجة الأب تعامل ربيبتها بقسوة، وتأمرها بغسل الصحون، وسقي الماء من العين، وجلب الحطب من الغابة، في حين كانت ابنتها لا تقوم بأي شيء، ومع ذلك كانت تتأثر بتلك المعاملة التي كانت تلقاها شقيقتها، فكانت تشفق عليها كلما غابت أمها، وفي يوم من الأيام، وبينما كان الأب غائبا، خرجت الأم برفقة ربيبتها باتجاه الغابة، بغية جمع الحطب.

ولما وصلتا إلى الغابة قادت المرأة ربيبتها باتجاه عين، يقال إن من شرب منها يتحول إلى حيوان، وأرغمت المرأة الشريرة ربيبتها على الشرب من تلك العين، فتحولت الفتاة المسكينة إلى بقرة.

ولما عادت المرأة إلى المنزل وجدت زوجها قد عاد، فلما سألها عن ابنته، قالت:

– إن ابنتك قد هربت بعدما ضربتني وشتمتني. وأخذت تبكي وتنتحب إلى أن استطاعت إقناع زوجها بالقصة، كما أخبرته بأنها وجدت بقرة في الغابة وقد جلبتها إلى المنزل. كل هذا وابنتها لم تصدق الأمر، فكانت تعتني بتلك البقرة وتقدم لها الطعام، وفي يوم من الأيام قررت الأم أن تذبح البقرة، بدعوى أنها أصبحت عالة عليها لأنها لا تذر الحليب، وفعلا أذعن الرجل لطلبها وذبح البقرة، فأخذت شقيقة الفتاة التي تحولت إلى بقرة تبكي، أما المرأة الشريرة فلم تأبه بالأمر.

تم سلخ البقرة ولما حضرت المرأة الطعام، لم يستطع الأب والفتاة الأكل من لحمها، أما الأم فقد أكلت ولم تبال، لأنها كانت قاسية القلب. أما شقيقتها فكانت كلما أعدت أمها الطعام وأكلت، أخذت العظام وجمعتها، ولما انتهت من جمع كل العظام، حفرت حفرة، ودفنت العظام بها، وكانت تذهب كل يوم وتسقي تلك العظام، وبعد مرور سبعة أيام، حفرت لإخراج تلك العظام، فخرج من الحفرة طير جميل المنظر، حط على كتفها، وأخذ يغني قائلا:

– " أَنَا ٱلطِّيرْ ٱلبَيْوُضْ، أَنَا ٱلطِّيرْ ٱلبَيْوُضْ، أَبَّا ذْبَحْنِي بِيدُو، وَمَّا كْلَاتْ لَحِيمِي، وَاخْتِي لَعْزِيزَة لَوَاهْ لَوَاهْ "، بمعنى أنا الطائر الأبيض، أبي ذبحني، وأمي أكلت من لحمي، وشقيقتي لم تفعل بي شيئا.

حلق الطائر عاليا، وهو يردد الكلام نفسه، وجال في القرية بأكملها فسمعه الأب، وذهب عند رجل حكيم، وأخبره بغياب ابنته، وبما يسمعه كل يوم على لسان الطائر، فنصحه الحكيم بأن يذهب عند زوجته، ويرغمها على أن تخبره بالحقيقة، وبعد عدة محاولات استطاع أن يعرف ما صنعته زوجته الشريرة بابنته المسكينة، فندم ندما شديدا، وأخذ يضرب زوجته إلى أن قتلها، أما هو فقد مات من شدة حزنه على ابنته.

وهكذا بقيت البنت برفقة الطائر الذي كان يؤنس وحدتها، وقد تقدم لها شاب من القرية فتزوجها "

الحكـايـــة التـــاسعـــة

" حَاجِيتَكْ لُوكَانْ مَاهُمَا مَاجِيتَكْ. كان لرجل سبع بنات، وقد توفيت زوجته وتركته يتحمل مسؤوليتهن، فلم يستطع، لذا تزوج بامرأة أخرى، لكنها كانت تعاملهن بقسوة، وسعت جاهدة للتخلص منهن. وفي أحد الأيام، طلب منها زوجها إعداد طبق من الكسكس باللحم، لكنها رفضت، مدعية أن بناته قد خربن " ٱلكَانُونْ(*)" وكسرنه، لذا طلبت منه طردهن لأنهن لا ينفعن لشيء.

استجاب الزوج لطلبها، لأنه كان مغلوبا على أمره، وفي الصباح الباكر طلب من بناته أن يرافقنه لجمع الحطب من الغابة، وبينما كن منهمكات في جمع الحطب، إنسحب ببطء، وعاد

---

*– ٱلكَانُونْ: اسم يطلق على موقد النار، المتكون من ثلاث صخور، وهو يستخدم لطهي الطعام بالطريقة التقليدية، ولا زال يستخدم في بعض المناطق المغربية لحد الساعة.

إلى البيت، ولما حل الليل علقت الفتيات السبعة في الغابة، لكن لحسن حظهن، كانت ترافقهن الكلبة، فاستطعن بمساعدتها العودة إلى المنزل، وبما أنهن وجدن الباب مغلقا دخلن من النافذة، وقد ارتطمت إحداهن بقصعة مليئة بالكسكس وكسرتها، وأيقظت زوجة أبيها التي صرخت في وجهها، وأمرتهن بجمع حبات الكسكس قبل أن يخلدن إلى النوم، عقابا لهن.

وفي يوم من الأيام، أصرت الزوجة مرة أخرى على التخلص من بنات زوجها، لكن هذه المرة ربطت الكلبة أمام المنزل، وأرسلت زوجها وقد أمرته بأن يترك بناته في الخلاء.

ومرة أخرى أوهمهن بأنه لن يبتعد بعيدا عنهن، فانهمكن في جمع الحطب، ولما بحثن عنه لم يجدنه، فعرفن بأنهن قد بقين وحيدات في الغابة ولن يستطعن العودة أبدا. وبينما هن يسرن في الطريق، حزينات على فراق والدهن، وجدن عين ماء، فشربن منها، وواصلن سيرهن، لكن في منتصف الطريق، تذكرت أصغرهن بأنها قد نسيت دملجها بالقرب من منبع الماء، فطلبت من أخواتها أن تسمحن لها بالعودة لجلبه، في البداية رفضن لأنهن خفن أن يصيبها مكروه، وبما أنها أصرت لأن الدملج كان هدية من والدتها المتوفاة، فأشفقن لحالها وتركنها تذهب لإحضاره، وقبل أن تذهب، قطفت غصنا من إحدى الأشجار، وأعطته لأختها الكبرى، وقالت:

– راقبن هذا الغصن، إذا بقي على حاله، فأنا بخير، أما إذا اصفر وذبل، فاعلمن أن مكروها ما قد أصابني.

ودعت الفتاة شقيقاتها وذهبت إلى العين، ولما وصلت وجدت الغول هناك، فانقض عليها ووضعها في كيسه، وسار بها وسط الغاب، وطلب منها أن تغني وإلا أكلها. أما شقيقاتها لاحظن بأن غصن الشجرة بدأ يذبل، فعرفن بأن شقيقتهن الصغرى في خطر، ومع ذلك واصلن مسيرهن إلى أن وصلن إلى منزل كبير، ولما دخلن اكتشفن بأنه منزل اَلْغُولَة، فطلبن منها استضافتهن.

أشفقت عليهن ٱلْغُولَة، وقررت تركهن معها، بشرط أن يختبئن في المطبخ كلما رأين أبناءها قادمين من عملهم، وقد كان لِلْغُولَة سبعة أبناء.

قبلت الفتيات شرط ٱلْغُولَة، وكن يساعدنها في شؤون المنزل وإعداد الطعام، ولما عاد أبناؤها من العمل، وبمجرد دخولهم قالوا لوالدتهم:

- " أَمْ أَمْ ٱلرِّيحَتْ نَبْنَادَمْ "، أي إننا نشم رائحة الآدميين. لكن الغولة أقنعتهم بأن لا أحد غريب في المنزل، ومع مرور الأيام أحس أبناء الغولة بأن منزلهم أصبح نقيا، وأن الأكل لذيذ، فشكوا في الأمر، وقرروا مراقبة والدتهم، وترك أكبرهم سنا ليرى ما يجري أثناء غيابهم، فتظاهر الابن الأكبر بالمرض، لكن الغولة عرفت نيته، فوضعت له مادة منومة في الطعام، فنام ولم ير شيئا.

ولما عاد إخوته وسألوه، أخبرهم بأنه لم يستطع التوصل إلى أي شيء، وفي اليوم الموالي تركوا في البيت الأخ الموالي للكبير، لكنه حصل له نفس الشيء، وهكذا إلى أن جاء دور الابن الأصغر، وقد كان محتالا ماكرا، فتظاهر بالنوم، وهكذا استطاع رؤية الأخوات الستة. وعند عودة إخوته أخبرهم بما رآه، فاندهشوا لذلك، فأرغموا أمهم على إخبارهم بالحقيقة، فوعدتهم بأن تطلعهم على سرها، بشرط أن لا يؤذوا الفتيات الستة.

وعدها أبناؤها، فأمرت الفتيات بالخروج من مخبئهن، وحكت لهم القصة كاملة. وبمجرد رؤية الفتيات قرر أبناء الغولة الزواج بهن، فوافقن على ذلك، فتزوجن وعشن في سعادة وأمان.

لكن الغول الصغير، كان حزينا لأنه لم يجد شريكة حياته، فحكين له قصة شقيقتهن الصغرى، مما جعل أبناء ٱلْغُولَة يشكون في ٱلْغُولْ، الذي لاحظوا بأنه يحدث شخصا ما يحمله في كيسه، ففكروا في استضافته، ولما وصل إلى منزلهم، طلبوا منه الدخول، فأعدوا له وجبة شهية، وبينما هو منهمك في الأكل، أخذ الإخوة الكيس وفتحوه، فوجدوا به الشقيقة الصغرى وكانت

أجملهن، فأخرجوها من أسرها ووضعوا في مكانها سلوقية، ولما غادر اَلْغُول المنزل، وسار وسط الغابة، طلب من الفتاة أن تغني كالمعتاد، لكن السلوقية لم تحدث أي صوت، ولما وصل اُلْغُول إلى غاره، فتح الكيس، وإذا بالسلوقية تنقض عليه، فمزقت بطنه، ونهشت لحمه.

أما الأخت الصغيرة فقد تزوجت الغول الصغير، وعاشت مع شقيقاتها في سعادة وهناء. " وَحْكَايْتِي مْشَاتْ اُلْوَادْ اَلْوَادْ، وْأَنَا بْقِيتْ مْعَ اوْلَادْ لَجْوَادْ" ".

الحكـــــاية العـــــاشـــــرة

" كان يا ما كان في قديم الزمان، ملك عادل له زوجتان، واحدة طيبة رزقها الله ابنة جميلة وقد سمتها " عِيشَة "، أما الثانية فقد كانت امرأة متكبرة كثيرة الكلام، وقد وهبها الله فتاة قبيحة تشبهها في التصرفات والأفعال. مات الملك وزوجته الطيبة، فبقيت " عِيشَة " مع زوجة أبيها التي سلبتها مال والدها، وكانت تعاملها معاملة الخدم، بحيث لا تسمح لها بالنوم في غرفتها، بل جعلت لها مكانا في المطبخ أمام موقد النار، فكان وجهها يتسخ بالرماد، لذالك أطلق عليها اسم " عِيشَة رْمَادَة ".

بالرغم من تلك المعاملة السيئة التي كانت تتلقاها من زوجة أبيها وابنتها، إلا أنها كانت ذات أخلاق حميدة، وكلما كبرت ازدادت حسنا وبهاء، مما يزيد من غضب زوجة الأب، فتعاقبها أشد العقاب.

وفي يوم من الأيام أعلن ملك البلاد المجاورة، أنه سيقيم حفلا كبيرا ليختار لابنه رفيقة حياته، وصل النبأ لقصر زوجة الأب، وقررت أن تزين ابنتها لكي تفوز بقلب الأمير، فأخذت تشتري لها كل ما هو غال ونفيس. ولما حان الموعد المحدد، جهزت نفسها، وألبست ابنتها أرفع الملابس وأجود الحلي، ومع ذالك كانت تبدو بشعة.

تجرأت " عِيشَة رْمَادَة " وقالت لزوجة أبيها:

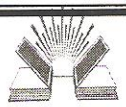

– أرجوك خذيني معك إلى الحفل. أجابتها زوجة أبيها بسخرية:

– بالطبع سآخذك معي ولكن بعد أن تنظفي غرف القصر بأكملها، وتغسلي الصحون كلها التي في المطبخ، وتغسلي ثيابي وثياب ابنتي، وقد أطلقت ضحكة مجلجلة في السماء وخرجت رفقة ابنتها.

أما " عِيشَة رْمَادة " فقد أخذت تفعل ما أمرتها به سيدتها، وقلبها يحترق من الداخل، وفجأة وجدت أمامها حورية فقالت لها:

– ما بك يا بنيتي؟ أخبريني لماذا تبكين؟.

بدأت " عِيشَة رْمَادَة " تسرد قصتها للحورية، وأخبرتها عن رغبتها في الذهاب إلى حفل الأمير، وسرعان ما أخرجت الحورية عصا سحرية وتمتمت ببضع كلمات غير مفهومة، فأصبح القصر نظيفا، والصحون نقية، والملابس مرتبة، ثم أعادت الكرة بعصاها السحرية، فأصبحت " عِيشَة رْمَادَة " ترتدي أجمل الملابس، لكن بقيت حافية القدمين، وأخذت تنظر بحسرة إليهما، فضحكت الحورية، وأمرت عصاها مرة أخرى، فوجدت الفتاة حذاء من الفضة في قدميها. حينها قالت لها الحورية:

– سأجعلك تذهبين إلى الحفل، لكن يجب أن تعودي قبل الساعة الثانية عشرة من منتصف الليل.

وافقت الشابة على شرط الحورية التي كانت قد جهزت لها أمام القصر عربة تنقلها لحفل الأمير، ولما وصلت إلى الحفل، بقي الكل مندهشا من جمالها، أما الأمير الذي كان مكتئبا في الحفل، فقد عادت له ابتسامته، فذهب ورحب بـــ" عِيشَة رْمَادَة "، فأخذا يرقصان معا، فنظرت الفتاة إلى زوجة أبيها وابنتها فرأتهما مندهشتين مثل باقي الحضور، لأنهما لم يتعرفا عليها، ولما اقتربت الساعة الثانية عشرة، طلبت الإذن بالانصراف، وعادت إلى قصرها مسرعة، من

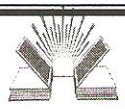

دون أن تترك أي معلومات عنها، وقبل انتهاء الحفل أعلن الملك بأن الحفل سيستمر، لأن ابنه لم يختر بعد شريكة حياته.

ولما وصلت زوجة الأب وابنتها إلى القصر في وقت متأخر، وجدتا " عِيشَة رْمَادَة " نائمة، فأيقظتها زوجة أبيها لكي تساعدها على خلع الملابس، وأخذا يحكيان عما وقع في الحفل، فكانت تستمع لحديثهما وأيقنت بأنهما لم يعرفاها، وفي مساء اليوم الثاني ذهبت المرأة وابنتها مجددا إلى الحفل، وبقيت " عِيشَة رْمَادَة" وحدها، لكن الحورية زارتها، وساعدتها مرة أخرى، وأهدتها حذاء من ذهب، ولحقت بزوجة أبيها إلى قصر الأمير، فأخذ الأمير يرقص معها بدون انقطاع، إلى أن حان موعد عودتها، حاول إيقافها لكنها خرجت مسرعة، فأعلن الملك مجددا بأن الحفل سيستوفي الثلاثة أيام. وهذه المرة عادت زوجة الأب غاضبة لأن الأمير لم يلتفت إلى ابنتها فصبت جام غضبها على ربيبتها.

وفي مساء اليوم الثالث، حدث ما حدث في اليومين السابقين، وأهدتها حذاء من ماس، فتمكنت " عِيشَة رْمَادَة" من الذهاب إلى الحفل، أخذ الأمير والشابة يرقصان ويرقصان، وهذه المرة لم تنتبه " عِيشَة رْمَادَة " إلى الوقت الذي كان يمر بسرعة، ولما دقت الساعة الثانية عشرة، خرجت مسرعة وقد سقط حذائها الماسي فلم تتمكن من أخذه، لحقها الأمير، لكن لم يجد أحدا، وسرعان ما عادت " عِيشَة رْمَادَة " إلى قصرها وهي ترتدي الأسمال البالية، جلست أمام الموقد وأخذت تبكي لأنها أحست بالذنب، أما الأمير فقد أخذ فردة الحذاء، وقرر أن يخرج رفقة والده ليبحث عن صاحبته.

وفي الصباح الباكر زار الملك والأمير كل القصور فلم يعثر على صاحبة الحذاء، ولما وصل، إلى قصر " عِيشَة رْمَادَة "، خرجت المرأة وابنتها محاولة ارتداء الحذاء بالقوة، وقد كانت " عِيشَة رْمَادَة " تطل من إحدى شرف القصر، فطلب من زوجة أبيها أن تناديها، رفضت قائلة:

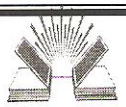

– إنها مجرد خادمة كريهة فلا داعي لأن تجرب هذا الحذاء. أصر الأمير على حضورها، ولما وصلت لم يصدق الأمير ووالده ما شاهداه، لأن الحذاء دخل بسرعة في رجلها، و قد أخرجت الحورية عصاها من دون أن يراها أحد، وألبست " عِيشَة رْمَادَة " ملابس الأميرات، لم تتحمل زوجة أبيها ذلك، فأغمي عليها من الحسرة والحقد، أما الأمير فقد أخذ " عِيشَة رْمَادَة " التي أخبرته بقصتها، فتزوجها، وأنجبا أولادا وعاشا معا في سعادة وهناء ".

الحكاية الحادية عشرة

" يحكى أنه كان في قديم الزمان، رجل له زوجتان، إحداهما عاقر، والأخرى لها طفل ذكر، ونتيجة لذلك كانت المرأة العاقر تغار من ضرتها، فسعت جاهدة للنيل منها.

وفي يوم من الأيام، ذهب الزوج لرعي الماشية كالمعتاد، فتعبت الزوجة ونامت بجانب رضيعها، استغلت الزوجة الحقود نوم ضرتها، فقامت بقطع اصبع ربيبها، ولطخت فم والدته بالدم ووضعته أمام رأسها، وأخذت الرضيع وأهدته لعجوز كانت تسكن وحيدة في الغابة الكبيرة المجاورة. ولما عاد الزوج إلى منزله، سمع صراخ زوجته العاقر وهي تشير إلى ضرتها قائلة:

–" وِيكْ وِيكْ كْلاَتْ وَلْدْهَا، وِيكْ وِيكْ كْلاَتْ وَلْدْهَا ". فهم الزوج من أن المرأة أكلت ابنهما، ولما نظر إلى زوجته التي بقيت مندهشة من هول الفاجعة، سكتت عن الكلام ولم تستطع قول أي شيء، قرر الأب أن ينتقم من زوجته لما فعلته بابنه الوحيد، فقام بتجريدها من ملابسها، وألبسها جلد خروف، وجعلها خادمة لضرتها التي كانت تعاملها بقسوة لا توصف، فكانت تنام مع البهائم، وتأكل مما يأكلون، فأطلق عليها اسم " أُمْ الْجْلُودْ ".

مرت الأيام والسنوات، وكبر ابنها الذي ربته العجوز، وصار شابا وسيما، وبينما كان يلعب بالكرة أصاب مربيته بها فصرخت في وجهه – من دون أن تحس– قائلة:

– اذهب بعيدا يا ابن " أُمْ ٱلْجْلُودْ ". استغرب الفتى لقولها وأدرك أنها تخفي سرا وراء كلامها، فطلب منها أن تحضر له " بَرْكُوكَشْ " لوجبة الغذاء، ولما هيأت له ما طلب، أحضر وعاء به حناء، وقال لها:

– أرجوك شاركيني في الأكل.

ولما مدت يدها إلى الصحن، أمسك به ووضعه داخل الطعام الساخن، فأخذت تصرخ، فقال لها:

– إن وعدتني بقول الحقيقة، فسأضع يدك في الحناء لكي يزول الألم.

وعدته بتنفيذ ما طلبه منها، فوضع يدها في الحناء، وقد زال الألم بسرعة. فأخذت تحكي له قصة والدته وما فعلته بها ضرتها، وأخبرته بأنها أحبته مثل ابن لها، وطلبت منه العفو، وجهزت له ما يلزم ليخرج في رحلة البحث عن والدته.

سار في طريقه باحثا عن أمه المسكينة، ولما وصل بلدته، سأل عن " أُمْ ٱلْجْلُودْ "، فرأى الناس ينفرون من سماع اسمها، وقد أخبره أحدهم بمكان إقامتها. ثم توجه إلى منزل والده، وطلب الضيافة، رحب به والده وأكرم وفادته، وبينما هما يتناولان الطعام، دخلت أم الجلود حاملة في يدها الماء، فسأل والده:

– من هذه المرأة؟. فقال:

– إنها زوجتي وقد عاقبتها كما ترى، لأنها أكلت ابني الوحيد.

وفي الليل تسلل الابن إلى الحظيرة، وطلب من " أُمْ ٱلْجْلُودْ " أن تحكي له قصتها، فأخبرته وهي تبكي، وأقسمت بأنها لم تؤذ رضيعها. فقال لها:

– وهل تعرفين ولدك إذا رأيته؟. أخبرته بأنها ستعرفه من خلال أصبعه المبتور، حينها كشف الابن عن إصبعه، فاحتضنته أمه وبكى على كتفيها، وأعطاها ملابس جديدة كان قد أحضرها معه.

وفي الصباح الباكر أخبر الابن الحقيقة كاملة لوالده، فطلب السماح من زوجته ومن ابنه، أما زوجته الحقود، فقد ربطها بحصان، وأطلقه في الغابة إلى أن ماتت. وهكذا عاش الابن مع أبويه".

الحكاية الثانية عشرة

" كان يا مكان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، رجل متزوج بامرأتين عقيمتين، وكانتا كل يوم تطلبان الله أن يرزقهما أولادا، وبينما كانت تقول إحداهن:

– يا رب أرزقني فتاة جميلة. كانت الأخرى تقول:

– يا رب أرزقني فتاة، ولو كانت مثل " اَلْهَنْدِيَّة" (*).

وبالفعل رزقهما الله كلا حسب طلبها، لكن المرأة التي أنجبت البنت الجميلة، توفيت وتركت ابنتها مع ضرتها. ولما كبرت الفتاتان بدأت تعامل البنت الجميلة معاملة الخادمة، وكانت أختها تغار منها، وأخذت هي ووالدتها تفكران في طريقة للتخلص منها.

وفي يوم من الأيام طلبتا منها أن ترافقهما إلى البئر لجلب الماء، وقد أخذت الأخت الشريرة معها رمانة، وجرت مسرعة نحو البئر بينما سارت الفتاة الجميلة وزوجة أبيها ببطء، قسمت الشريرة الرمانة نصفين وألقت بها في البئر من دون أن تراها شقيقتها وقالت لها:

– تعالي وانظري إلى الرمان الموجود في قاع البئر.

ولما أخذت تنظر إلى قاع البئر، دفعتها زوجة أبيها في قاع البئر.

---

*– اَلْهَنْدِيَّة: نبات شوكي، يكثر في الصيف، وهو من الفواكه اللذيذة المذاق.

ولما عادتا إلى المنزل، سألهما والدها عنها، فأخبرتاه بأنها قد ضاعت في الغابة، فخرج للبحث عنها، لكنه لم يجدها، فاعتقد أن وحوش الغاب قد افترستها.

وفي يوم من الأيام مر" ٱلشْيُوخْ (*)" بالبئر، فأرادوا الشرب، ولما نظر أحدهم إلى قاع البئر رأى شيئا يلمع، فنزل إلى قاع البئر، فسحب الفتاة الميتة، وقد كان في عنقها قلادة ذهبية، وفي أذنيها أقراط من ذهب، وفي يديها أسورة من ذهب أيضا، أخذ " ٱلشْيُوخْ " الذهب واقتسموه فيما بينهم، فقال أحدهم:

– إن جلدها يصلح لصناعة " ٱلبَنْدِير ". فسلخ جلدها وصنع منه بندير كبيرا، فلما وصلوا إلى القرية التي كانت تسكن بها الفتاة، أخذ أحدهم يضرب على البندير الذي صنع من جلد الفتاة، فسمعوا صوتا يقول:

– " حَاوَلْ عْلِيَّ ٱلْمَدَّاحْ حَاوَلْ عْلِيَّ، حَبْ ٱلرَّمَّانْ هُوَ ٱلِّي بِيَّ، وَامِّي وَشْقِيقْتِي هُمَا ڤْلِيبْتِي"، أي لا تقس علي أيها المغني، فحب الرمان قد أغواني، وأمي وأختي هما سبب موتي.

فلما سمع الناس غناء البندير أعجبوا به كثيرا، فكانوا يعطون المال " لِلشْيُوخْ "، طافوا بأرجاء القرية، ولما وصلوا إلى بيت الفتاة، خرج الأب وأعطاهم مالا كثيرا وطلب منهم أن يسمحوا له بالضرب على البندير، فلما فعل نطق البندير قائلا:

– " حَاوَلْ عْلِيَّ آ بُويَا حَاوَلْ عْلِيَّ، حَبْ ٱلرَّمَّانْ هُوَ ٱلِّي بِيَّ، وَامِّي وَشْقِيقْتِي هُمَا ڤْلِيبْتِي "، أي رفقا بي يا أبي، فحب الرمان قد أغواني، وأمي وأختي هما سبب موتي.

اندهش الأب لما سمع كلام البندير، فأرغم " ٱلشْيُوخْ " على أن يخبروه أين عثروا على هذا الجلد، فأخبروه بأنهم وجدوه في البئر، وأروه الحلي التي وجدوها مع الجثة، فعرف بأنها حلي

---

*– ٱلشْيُوخْ: مفردها شِيخْ وهو الرجل الذي يغني و يعزف على آلة البندير المصنوعة من الجلد.

ابنته المسكينة، فنادى على زوجته وابنته وأمرهما بالضرب على " ٱلْبَنْدِيرْ "، رفضا فعل ذلك، لكنه أرغمهما، فلما فعلتا، تكلم البندير قائلا:

- " حَاوْلِي عْلِيَّ آ مِّيمْتِي، حَاوْلِي عْلِيّ آ خِّيْتِي، حَبّ ٱلرَّمَّانْ هُوَ ٱلِّي بِيَّ، وَانْتِ وَاخْتِي هُمَا طْلِيبْتِي "، بمعنى رفقا بي يا أمي وشقيقتي، فحب الرمان قد أغواني، وأنتما السبب.

أرغمها الأب على قول الحقيقة، فاعترفتا أمام الملأ بأنهما السبب في موتها، فأحضر الأب حصانين قويين، فربط زوجته وابنته بهما، فضرب الحصانين بالسوط فركضا بسرعة نحو الغابة، وهكذا لقيتا ما تستحقانه من عقاب ".

الحكاية الثالثة عشرة

" كان يا مكان في قديم الزمان، تاجر يسكن في أحد الأحياء الشعبية لإحدى المدن، فكان محبوبا لدى الجميع لأنه كان رجلا صالحا، وكانت زوجته تحترمه كثيرا، فلا تخرج من منزلها ولا تطل من شرفته وفاء له، فكل ما يعرفه عنها سكان الحي أنها فاتنة الجمال.

وكان للرجل الصالح جار شرير، يغار منه ويتمنى أن يطعنه في شرفه، ورغم محاولاته المتكررة للإيقاع به، إلا أنه لم يستطع تحقيق ذلك. فقصد الرجل الشرير عجوزا كانت تسكن في الجوار، وطلب منها أن تفكر في حيلة للنيل من الرجل الصالح، وقد وعدها بأن يكافئها إن هي استطاعت تحقيق مراده.

بدأت العجوز تتقرب من زوجة الرجل شيئا فشيئا وتظهر لها طيبتها، إلى أن وقعت المرأة في شباكها فكانت لا تخفي عنها شيئا، وكانت العجوز ترافقها إلى الحمام، وكان في مؤخرة المرأة الجميلة خال أسود، انتبهت إليه العجوز، فذهبت إلى الرجل الشرير وأخبرته بما رأت، وقد وصفت له جسد امرأة الرجل الصالح بدقة. وفي اليوم الموالي، وبينما كان الرجل الصالح في دكانه، ذهبت العجوز عند زوجته، فرحبت بها، ومن دون أن تنتبه المرأة الحسناء وضعت لها

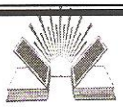

المرأة العجوز منوما في كوب الشاي، ولما أغمي عليها، أخذتها إلى سريرها، ونزعت عنها ثيابها، وأخذت بيضة، فأفرغت زلالها على السرير، وخرجت من دون أن يراها أحد متوجهة نحو الرجل الشرير، فأخبرته بما فعلت، وقالت له:

– إذهب إلى دكان الرجل الصالح، وجادله، واخبره بأنك قد ضاجعت زوجته، وإن حاول ضربك ابدأ في وصف جسد الزوجة، إلى أن تثير حفيظته.

ذهب الشرير إلى الرجل الصالح وفعل كل ما أملته عليه العجوز الشمطاء، بعد أن أعطاها مكافأتها، لأنه كان مـتأكدا من أن الخطة ستنجح لا محالة. فلما ثار غضب الزوج الصالح اتجه نحو المنزل، فوجد زوجته عارية، ووجد ماء أبيض فوق سريره، فـتأكد من أن زوجته قد خانته، حاولت الزوجة المسكينة أن تشرح له، لكنه أخذ يضربها ويشتمها، فسمع الجيران صراخهما، فكانت من بين الجمع الذي جاء مسرعا ليرى ما الذي حدث، عجوز فاقتربت من الرجل الصالح، فاستطاعت أن تهدأ من روعه وقالت له:

– احضر لي إناء طهي.

فجلب لها ما طلبت، وجمعت الزلال الذي كان فوق السرير، ودخلت إلى المطبخ، وأشعلت النار، فتحول الزلال الذي اعتقد الزوج الصالح أنه منيا إلى بيض مقلي، كل هذا والزوج والناس المحيطين به ينظرون للعجوز بدهشة. ولتؤكد له أكثر أن زوجته بريئة، طلبت منه أن يسأل الرجل الشرير عن موقع الخال الذي رآه في مؤخرة زوجته، هل هو في اليمين أم الشمال، فلما سأل، بقي الشرير ساكتا لأن العجوز لم تخبره بموقعه، فعاد الرجل الصالح إلى زوجته، وطلب منها العفو، واستمرت علاقتهما، وعاشا في ثبات ونبات، أما الرجل الشرير فقد رحل عن المدينة، بعدما عرف الناس نواياه السيئة ".

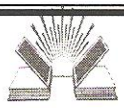

الحكاية الرابعة عشرة

" كان يا ما كان في قديم الزمان، إسكافي متزوجا بامرأة في غاية الجمال، ولشدة تعلقه بها وافتتانه بجمالها، كان لا يرفض لها طلبا، وكان لا يذهب إلا إذا حمل صورتها معه. وكان للإسكافي صديق، وهو أمير، وكان الإسكافي يتقن صناعة الأحذية الخاصة بالأمير وعائلته. بالصدفة، رأى الأمير صورة زوجة الإسكافي، ومنذ ذلك الحين وهو يتردد على محل الاسكافي، مفكرا في حيلة يستطيع من خلالها مقابلة صاحبة الصورة.

مرت عجوز بمحل الإسكافي، فاستغربت وجود الأمير هناك، خاصة وأنها استطاعت أن تعرف بأنه لا يبرح الدكان، فاقتربت منه وسألته بينما كان الإسكافي منشغلا:

– أيمكنني معرفة ما سر جلوسك مع هذا الاسكافي؟ فأنت أمير ولا يليق بك المقام هنا. فأجابها دون تردد:

– إن بحوزة الإسكافي صورة امرأة غاية في الجمال، وقد ملكت قلبي منذ أن رأيتها لأول مرة. قالت العجوز:

– هكذا إذا! وماذا ستعطيني إن أنا أخبرتك بمكانها؟. أجاب الأمير بلا تردد:

– كل ما تطلبينه أيتها العجوز.

طلبت العجوز من الأمير أن يمهلها بعض الوقت، ولما انتهى الإسكافي من عمله، وقفل عائدا إلى المنزل، تبعته العجوز، واستطاعت أن تعرف مسكنه، وفي الغد وبينما كان الإسكافي قد ذهب لعمله، طرقت المرأة العجوز على زوجته باب دارها، فخرجت المرأة، وقد كانت آية في الجمال، فقالت لها العجوز:

– أ أنت زوجة الإسكافي؟. أجابت الزوجة:

– نعم.

اقتربت منها العجوز وهمست في أذنها:

– إذا أحضرت لك ابن الملك، فما يكون قدر مكافأتك لي؟. أجابت الحسناء وهي مندهشة:

– الأمير! سأعطيك كل ما تطلبينه.

غادرت العجوز المكان، وفي الصباح الباكر، ذهبت العجوز إلى الأمير، وقادته إلى منزل الحسناء، من دون أن تخبره بأنها زوجة صديقه الإسكافي، وأخبرته بأن الطريق أمان، فأخذت مكافأتها وانصرفت.

دخل الأمير عند الحسناء في غياب زوجها، فاعتاد على زيارتها، وكانت كلما أحست بقدوم زوجها لفته في حصير، وأوقفته خلف الباب، إلى أن ينصرف الزوج فيخرج من مخبئه. بدأ الإسكافي يشك في تصرفات زوجته، لأن حالها قد تغير، وأصبحت سريعة الغضب.

وفي يوم من الأيام، بينما كان الإسكافي في طريقه إلى المنزل، التقى بوالد زوجته وأخذه معه إلى المنزل، فشكا له حال زوجته وهو يتألم، فنصحه والدها اللبيب بالصبر. فسمع الأمير الملفوف في الحصير الحوار الذي جرى بينهما، فتأكد من أن صوت الرجل هو نفسه صوت صديقه الإسكافي، ومنذ ذلك الحين لم يعد الأمير إلى زيارة زوجة صديقه، وقد ندم ندما شديدا على ما فعله، أما زوجة الإسكافي التي غواها المال والجمال، فقد عاقبها الله على خيانتها لزوجها، بأن سقطت من أعلى الدرج فماتت ".

الحكاية الخامسة عشرة

" يحكى أنه كان في قديم الزمان امرأة فائقة الجمال، تعيش مع والدها العجوز، وتقوم بالاعتناء به، وقد كانت امرأة ذكية لا أحد يستطيع خداعها، حاول العديد من الناس نصب أشراك لها ليسخروا منها لكنهم لم يفلحوا في ذلك، وكان يسكن بجوارها أحد السحرة.

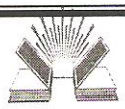

قصده شبان القرية فأخبروه بأنهم سيكافئونه إن هو استطاع الإيقاع بها. جرب الساحر جميع حيله لكنها لم تنجح، ولم تنطل عليها، وبينما هو جالس يفكر فيما سيفعله، ظهر له الشيطان، فعرض عليه مساعدته، شكره الساحر، فذهب الشيطان عند المرأة، وعندما رأته خافت في البداية لأن شكله كان بشعا مخيفا، لكن سرعان ما استعادت قواها، فأخذا يتبادلان أطراف الحديث، فكان الشيطان طوال حديثه يتباهى بقوته وذكائه، فقالت له المرأة الذكية:

– هل لي أن أرى قوتك هذه التي تتحدث عنها؟. قال الشيطان:

– بالطبع، ولكن إذا حققت رغبتك فسوف أقتلك؟.

وافقت المرأة على شرطه وقالت له:

– أريد أن أراك وحشا كبيرا لم أر مثله من قبل.

وسرعان ما تحول الشيطان إلى عملاق بسبعة رؤوس، فحملها بين يديه وقال:

– الآن سآكلك. أجابت المرأة الذكية:

– بالطبع ستأكلني ولكن عندي طلب آخر. فقال لها:

– و ما هو؟. أجابته:

– بما أنك استطعت أن تتحول إلى وحش مرعب، فهل يمكنك التحول إلى فأر صغير؟. ضحك ضحكة هزت المكان، وأجابها:

– بالطبع أيتها المسكينة.

وسرعان ما تحول إلى فأر صغير لا يظهر للعيان، وقالت له: هل بإمكانك دخول هذه القارورة؟ فأجاب مستهزئا:

– بالطبع أستطيع فعل ذلك. وبعد دخوله في القارورة التي كانت في يدها، أحكمت عليه سدادتها وحبسته داخلها، فخرجت إلى أهل القرية فأخبرتهم بما حدث، وقد أخذ الشيطان يطلب المساعدة منها، فأشفقت لحاله وأطلقت سراحه، ومنذ ذلك الحين لم يعترض طريقها أحد ".

الحكاية السادسة عشرة

" كان في قديم الزمان، أحد الرجال الأغبياء يدعى " لَقْرَعٌ "، توفي والده وترك له ثروة كبيرة، لكن عمه استولى على ماله، ولم يترك له سوى بيت قديم، وفي يوم من الأيام خرجت حاكمة البلاد في رحلة، لكن الرياح كانت قوية، والمطر كان غزيرا، فلم تستطع العودة إلى قصرها، لذا توجهت نحو القرية التي كان يسكن فيها " لَقْرَعْ "، وبالصدفة وجدت " لَقْرَعٌ " في طريقها، فاستضافها من دون أن يعرفها بأنها حاكمة البلاد، لكنه أخبرها بأنه لا يملك مالا ليعد لها واجب الضيافة، لأن عمه الغاشم استولى على حقوقه، فطلبت منه أن يذهب إلى عمه ويطلب منه أن يعد له طعاما لضيوفه، مقابل أن يشتغل عنده عاما كاملا بدون أجر.

فعل" لَقْرَعْ " ما أمر به بصدر رحب، وطلب من عمه ذلك، وبعد تردد وافق العم، فأعد له العشاء، فأكلت الحاكمة ومن معها، وفي الصباح الباكر، قالت لـــ" لَقْرَعْ "، إذا قال لك عمك تعالى لتشتغل، فلا تذهب، وقل له:

– اذهب واشتكيني للحاكمة، وقد عرفته بنفسها.

قبل " لَقْرَعْ " يديها، وعمل بنصيحتها، استغرب العم الظالم ردة فعل " لَقْرَعْ "، ثم سارا في طريقهما إلى قصر الحاكمة، وفي هذه الأثناء، وجدا حمارا يحاول صاحبه أن يوقفه، فأراد " لَقْرَعْ " المساعدة، فأمسك ذيل الحمار، فخلعه، فطلب منه صاحب الحمار أن يعوضه، فقال لقرع:

– اذهب واشتكيني للحاكمة.

فذهب الثلاثة جميعا، وفي طريقهم، بدأ المطر يهطل بغزارة، فاستضافهم رجل كان بالجوار، ولما أدخلهم لمنزله، جلس لقرع على طفل صغير كان تحت الحصير، فقتله، ولما طلبوا فديته قال لهم:

– أنا لا أملك مالا، اذهبوا واشتكوني للحاكمة.

فذهبوا كلهم للحاكمة، ولما كادوا أن يصلوا فكر لَقْرَعْ في الانتحار لأنه خاف من العقاب، فصعد إلى مكان مرتفع وألقى بنفسه من فوقه، وإذا به يسقط على فقيه كان يعلم الصبيان وقتله، فتبعه الأطفال وذهبوا يشتكونه للحاكمة. ولما وصلوا، قال صاحب الحمار للحاكمة:

– أنا أريد حماري. فقالت له:

– لا بأس سنعوضك بحمار آخر. بشرط أن تترك حمارك القديم.

لكن الرجل لم يرض بذلك لأن حماره القديم كان يعرف الطرق بسهولة، فانصرف من دون أن يأخذ شيئا. ثم قال الرجل الذي قتل " لَقْرَعْ " طفله:

– أنا أريد فدية تعويضا عن ابني المقتول. فقالت له الحاكمة:

– وأين كان ولدك؟. أجابها:

– كان تحت الحصير.

حينها نادت على الحراس وقالت:

– خذوه إلى السجن وعاقبوه، لأنه فرط في ابنه بوضعه تحت الحصير.

أما الأطفال الذين مات مدرسهم، فقالت لهم الحاكمة:

– العين بالعين والسن بالسن، سيجلس " لَقْرَعْ " مكان مدرسكم، واقفزوا من المكان الذي قفز منه لكي تقتلوه.

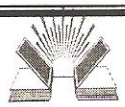

خاف الأطفال من فعل ذلك، وعادوا إلى ديارهم. أما العم الغاشم، لما سمع الأحكام كلها، عرف بأنها حاكمة عادلة، وستكشف أمره، فأراد الفرار، لكنها أمرت جنودها أن يمسكوه، فقالت له:

– أنت ستنال عقابك لأنك سرقت أموال ابن أخيك، أتدري، أنا هي الحاكمة التي أعددت لها الطعام مقابل أن يشتغل عندك " لَقْرَعْ " بدون أجرة.

وهكذا نال العم الغاشم جزاءه، واسترد " لَقْرَعْ " أملاك والده".

الحكاية السابعة عشرة

" يحكى أن طفلا كان يتيم الأبوين وكانت أخته المتزوجة هي عائلته الوحيدة التي أصبح يحيى في كنفها، ولما بلغ سن الرشد أفصح لها عن رغبته في الزواج ولكنها نصحته قائلة:

– عليك بالصبر يا أخي، فأنت لا زلت غير مهيئ لمسؤولية الحياة الزوجية. ولما كان الأخ مصرا على التشبث برغبته، فإن أخته أجابته بالسؤال الآتي:

– أنت تحسب أنك ذكي، أليس كذلك؟ غير أنك سهوت عن الحقيقة قوة النساء التي لا تعرف الرحمة ولا الشفقة.

سألها الفتى وهو حائر:

– أين تكمن هذه القوة؟

قالت الأخت:

– سأبين لك ذلك من خلال تجربتي مع زوجي، أما الآن فاذهب إلى السوق لشراء سمك جيد.

لبى الفتى أمر أخته، إذ سرعان ما أتى بالسمك الذي رغبت فيه. خبأت الزوجة السمك تحت ثوبها، وبعد ذلك طلبت من أخيها أن يرافقها إلى الحقل لكي تحمل الطعام إلى زوجها. كان الرجل يشق الأرض بمحراثه، لما سمع صوت زوجته وهي تناديه:

– أترك جمالك وتعالى لتناول غذائك. توقف الرجل عن عمله، ومضى ليقعد إلى جانب زوجته وشقيقها. قالت الزوجة وهي تقدم الطعام:

– رأيت في منامي الليلة الفارطة أننا أقمنا حفلا بهيجا. اكتفى الرجل بأن أجاب قائلا:

– سيأتي يوم نحتفل فيه إنشاء الله. وأثناء تناول الزوج طعامه، قامت المرأة وأمسكت بالمحراث متظاهرة باستئناف الحرث، استغلت فرصة عدم نظر الزوج إليها فقامت بدفن السمك في الأخدود الذي شقه المحراث قبل حين. وبعد أن فرغ صاحبنا من الأكل نهض إلى عمله، وأما الزوجة فقد أخذت طريقها عائدة إلى منزلها صحبة أخيها. لكن ما إن ابتعدا قليلا حتى رجعا على عقبيهما بعد أن سمعا صوت الرجل، فسألته الزوجة وقد بدت عليها علامات الاندهاش المصطنع:

– هل حدث لك شيء؟

أجاب الزوج:

– لقد عثرت على السمك تحت التراب، وكأن الله شاء أن يمدنا بعونه على إقامة الحفل الذي تحدثنا عنه سابقا، عودي إلى المنزل وأعدي كل شيء هذه الليلة، وجهي الدعوة إلى الفقيه وإلى تلاميذه قصد حضور الحفل.

عاد الأخوان إلى المنزل. وطبخا السمك وأكلاه، ثم أخفيا الفضلات. ولما عاد الزوج من حقله مر بالمسجد وقال للفقيه:

– إنه لمن الفخر أن أدعوك أنت وتلامذتك لحضور الحفل الذي أقمته. وبعد أن قبل الفقيه دعوته، وصل إلى المنزل رفقة ضيوفه وتوجه إلى زوجته وسألها:

– هل أعددت الشاي والأكل، والبخور والعطور؟

نظرت إليه في اندهاش وقالت:

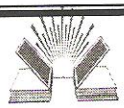

– ولماذا أفعل ذلك؟

نظر إليها الرجل غير مصدق وقال:

– ألم نتفق من قبل على إقامة الحفل؟

قالت الزوجة:

– وبأي شيء سنقيمه في نظرك؟ وهل اشتريت اللحم والسكر والشاي؟

لم يصدق الزوج أذنيه فقال:

– لكن ألم أعطيك في منتصف النهار، وفي الحقل، السمك الذي عثرت علية بين الأخاديد التي شقها المحراث؟

أجابت المرأة وهي تتصنع الدهشة:

– هل حدث يوما ما أن سمع أحد بعثور رجل على السمك في أرض قاحلة؟

ازدادت حيرة الرجل وتضرع إلى امرأته قائلا:

– أترومين أن أجن؟

تظاهرت الزوجة بالجزع الشديد فتوجهت إلى الفقيه قائلة:

– أرجوا منكم ألا تفارقوني وقد جن زوجي! وإلا فهل يمكنكم أن تتصوروا وجود السمك في الحقل؟

صدق الضيوف حجتها ووثبوا على الرجل وأودعوه في سرداب خشية من ارتكاب هذا المجنون حماقة ما. بعد ذلك انصرف كل واحد منهم إلى منزله. وفي المساء أخذت الزوجة طاحونة من الحجر وقصدت إلى جوار فوهة السرداب، وشرعت في طحن حب اللوبياء. كان هدير الطاحونة يتسرب إلى السرداب حتى ظنه المحجوز دوي الرعد. وكانت المرأة الكائدة من حين لآخر تتوقف عن الطحن لتمرر بسرعة فوق فوهة السرداب خشبة مشتعلة حتى

توحي للرجل بصورة البرق. وفي الأخير قامت الزوجة بسكب كمية كبيرة من الماء حسبها الرجل وابلا من المطر مما اضطر إلى الانزواء في ركن من السرداب.

أتاه أصدقاؤه في صباح الغد يسألونه عن أحواله الصحية، فأجابهم صائحا:

– أحمد الله على أني لم أصب بأي مكروه، إن الشيء الوحيد الذي يحز في نفسي هو اعتقادهم أني استحلت إلى مجنون، ولكن لتطمئنوا من هذه الناحية فأنا في كامل قوتي العقلية، ولكن أخبروني عما إذا كان الحقل لا زال مثلما كان في الليلة الفارطة؟

سأله أصدقاؤه في استغراب:

– ما قصدك؟

أجاب قائلا:

– بما أن السماء قد أرعدت وأبرقت وأمطرت، فإن الأرض كلها قد انقلبت وصارت وحلا.

أجابوه وقد اقتنعوا بحمقه:

– ليكن الله في عونك!

ثم تركوه محتجزا في سردابه الذي لم يخرج منه بعد أن مر أسبوعان.

لقد كان ذلك بالنسبة للفتى برهانا على قوة أخته، فلقد ظل يفكر في ذلك مدة طويلة، حتى انتهى إلى النتيجة التالية:

– لن أتزوج بطبيعة الحال، ذلك أن قوة النساء لا تعرف حقا الرحمة".

الحكـــــايـــــة الثـــامنـــة عشـــرة

" يحكى أن ثلاث أخوات توجهن ذات يوم إلى الطريق المفضي إلى المدينة، قصد اصطياد أحد المغفلين، ولما وصلن إلى أسوار المدينة توقفت كبراهن متظاهرة بأنها تنتظر أحدا، وبعد

لحظات مر بها شاب قروي كان يسوق حمارا محملا بأكياس القمح. ولما التقى بها حيته المرأة وقالت له:

– واها يا ابن عمي العزيز، أين كنت؟ وإلى أين وجهتك الآن؟

أجابها الشاب:

– أتوجه إلى السوق لبيع القمح.

استطاعت المرأة الخبيثة بعد إغراء الشاب وخداعه بالكلمات، أن تقنعه بأن يسير في أثرها خاصة وأنها وعدته بأن تشتري منه كل ما يحمله من القمح بثمن غال.

كانت المرأة والفتى الساذج يسيران في أزقة المدينة الضيقة حتى الوصول إلى باب منزل، أمسكت بلجام الحمار وقالت للقروي:

– انتظرني هنا لحظة ريثما أفرغ من إنزال الحمل في فناء الدار. وبعد ذلك اختفت المرأة في الدروب.

مضت مدة طويلة في انتظار عودة المرأة الكائدة حتى ظهرت الأخت الثانية التي حاولت أن تتظاهر بأن لقاءها بالفلاح خضع لمحض الصدفة وقالت له:

– ما أنت فاعل هنا؟

رد وهو يشير إلى مدخل الفناء:

– لقد بعت القمح لابنة عمي ولذلك بقيت هنا أنتظرها حتى تعود إلي بالدراهم.

قالت له:

– إذن ستظل هنا أبدا الدهر في الانتظار، نعم إني أعرف هذه المرأة! إنه لمن الأفضل أن تتبعني حتى أجد لك منفذا من ورطتك.

وفي غضون ذلك سحبت يده وقادته إلى فناء آخر حيث توجد بئر وقالت له:

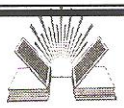

– إذا كنت قادرا على النزول إلى هذه البئر وسحبت سوارا كان قد سقط مني وأنا أجلب الماء، فإني سأكافئك بالمبلغ الذي تطلبه ثمنا لقمحك.

خلع الشاب عنه ثيابه، وبمساعدة المرأة لف حبلا حول خاصرته ونزل إلى البئر، ولم يكد ينزل حتى أخذت ثيابه وأسرعت بها إلى السوق لبيعها.

ولما فطن الشاب إلى لعبة الفخ التي وقع فيها، وأمام تعذر الخروج من البئر دون مساعدة، فإنه أخذ يصيح بأعلى صوته طلبا للنجدة، مر بعض الوقت دون أن يمر به أحد، إلى أن مرت به هذه المرة الأخت الثالثة وقالت له:

– سأساعدك على الخروج من هناك إن عاهدتني من قبل على الزواج.

قبل الفتى شريطة الخروج من ورطته. وبعد خروجه أمرته المرأة قائلة:

– إن ما يجب القيام به قبل العرس هو الذهاب إلى السوق قصد شراء مفروشات المنزل وأثاثه.

وبعد ذلك مباشرة قادته إلى " بازار " تاجر كبير حيث يتوفر كل ما يحتاجه بيت الزوجية. شرعت الفتاة في اقتناء كل ما راق لها من الألبسة والأواني والأثاث والمفروشات. وجمعت كل ما قدرت على حمله وتهيأت لمغادرة " البازار " وأمرت الفتى الشقي بأن لا يغادر مكانه حتى عودتها والنقود بيدها.

ولما مرت ساعات عديدة ولم يظهر أثر للمرأة، فإن التاجر اشتم رائحة مكيدة، فتوجه إلى الفتى قائلا:

– لماذا تأخرت امرأتك كثيرا؟

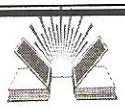

كان الشاب مرتبكا ويائسا، واعترف للتاجر بأنها ليست امرأته، بل إنه لا يكاد يعرفها، اشتد الغضب حينئذ بالتاجر فرفض الإصغاء لما زعمه من براءته، فقام بإحضار رجال الشرطة الذين أسرعوا للقبض عليه ووضعه في مكان آمن.

ولما علمت المرأة الكائدة بما جرى ذهبت ليلا إلى المقبرة ونبشت قبر طفل دفن قبل أيام وأخرجت جثمانه ولفته في قطعة من الثوب حملتها لهذه الغاية، وفي الساعة الأولى من صباح الغد حضرت إلى " البازار " وسألت التاجر بنبرة مشوبة بالوعيد:

– أخبرني بما فعلته بزوجي!

أجاب التاجر مضطربا:

– موجود في السجن.

تظاهرت المرأة حينئذ بالإحساس بالغضب ووثبت عليه مما أجبره على الدفاع عن نفسه، وأثناء العراك تركت الطفل الميت يسقط منها في الوقت الذي انخرطت في عويل شديد، وهي تتهم التاجر بقتل طفلها الوحيد.

وفي الختام انتهى الأمر بهذا الرجل المسكين إلى مثوله أمام العدالة، واعترافه بجريمة قتل الطفل التي قادته إلى السجن، ومن الناحية الأخرى أفرج عن الزوج المزعوم الذي أخذته حينئذ الرأفة بهذه الفتاة فقرر الزواج منها واضعا بذلك نهاية سعيدة لهذه المغامرة ".

الحكـــايـــة التاسعـــة عشـــرة

" كان ذات يوم رجل " أمازيغي " يجلس عند باب خيمته، ولما دنا منه مسافر كان يمر من هناك ليسأل عن مأوى، رحب به الأمازيغي في خيمته، وذبح من أجله ــ وفقا لما جرت به الأعراف الجميلة ــ دجاجتين يبعث بهما إلى زوجته قصد إعدادهما للضيف إعدادا جيدا.

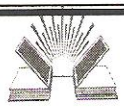

وخلال إعداد هاتين الدجاجتين، خرج " الأمازيغي " يلتمس نصيبا من العسل في خلايا النحل، إذ أن العسل يعتبر شرطا لا مندوحة عنه للترحيب بالضيف، جلست المرأة تسعر النار لطهي الدجاجتين بينما كانت تحزم طفلها فوق ظهرها بتنورتها الداخلية مثلما تعودت النساء " الأمازيغيات " فعله أثناء عملهن.

وكان الطفل سرعان ما يستيقظ من نومه ويشرع في البكاء قصد لفت انتباه أمه إليه، ولكن هذه كانت منهمكة في عملها، ولم تكن لتعيره أي أهمية، غير أن صياح الطفل كان يزداد كل مرة حدة مما أغضب المسافر ودفعه إلى نهر المرأة قائلا:

– ما الذي جرى لهذا الطفل الذي كثر بكاؤه؟ أعطيه ما يرغب فيه حتى يدعنا في أمن وسلام.

أجابته المرأة:

– اسمع سيدي، إن قضية هذا الطفل هي أنه يأخذ في البكاء كلما أبصر رجلا غريبا في خيمتنا، وليس هناك من وسيلة لتهدئته إلا حينما يعود أبوه الذي يقوم بجز أذني ضيفه وتقديمهما له لكي يلهو بهما.

وما أن سمع المسافر قولها حتى نهض في وثبة واحدة وأطلق ساقيه للريح وهو مذعور، وأما المرأة فإنها أسرعت إلى إخفاء الدجاجتين عن عيني زوجها الذي عاد في هذه اللحظة يحمل عسله، ولما لاحظ غياب الضيف سأل زوجته فأجابته بكل طلاقة:

– لقد هرب بعد أن أخذ مني الدجاجتين.

ومن دون تردد لحظة واحدة، أخذ " الأمازيغي " يجري وراء الهارب، في الوقت الذي كان يعلو صراخه وهو يحاول إيقافه بالكلمات الآتية:

– هب لي واحدة على الأقل.

غير أن الرجل الهارب لما سمع كلامه، لم يداخله شك في أنه يقصد أذنه فزاد من سرعة خطواته.

وأما المرأة فقد قيل أنها انتهزت فرصة وجودها في الخيمة وحيدة، فأخرجت اللحم المشوي من مخبئه والتهمته كله بحيث لم تترك منه ولو عظما واحدا ".

الحكـــايـــة العشـــــرون

" كانت يَشُّو قد أسأمت زوجها الحسن إلى حد اليأس. وفي يوم من الأيام، يوم في سبحة الأصباح العاصفية والأماسي المضطربة، قرر الحسن أن يستهوي زوجته المشؤومة لإيجاد مخرج ناجع من الشجار الذي بات يهدد صحته. فاقترح: لنذهب لزيارة والديك.

ومن بين ما أخذته يشو هدية للوالدين بغلة شرسة كانت تعيق عمل الحسن، فجهزها لزوجته، وحملا بعض الهدايا، ثم انطلقا يسيران عبر طريق صخري على حافة تقود نحو أسفل الوادي الذي يقسم القبيلة التي ينتميان إليها إلى قسمين.

وكان على الزوج المسالم أن يتحمل ألف حكاية تأنيب خلال مضي قدميه المتعبتين عبر الطريق الوعر الضيق، وإذا اشتكى من عثرة، انطلقت يشو في لجاجها تحتج بأنه في كل القبيلة حارب أجدادها وآباؤها كثيرا من أجل الاستقلال، بل حتى هي نفسها كانت تحمس الرجال الشجعان وتسم الجبناء بعلامة الخزي. لم يجد الحسن طريقا أسهل للعبور من هذا. وخلال اجتياز هذا الطريق، وجدا نفسيهما في مواجهة مع خلافاتهما، مما جعلهما يرغبان في السلام الدائم.

وعندما جف حلق الحسن بسبب محاولة ترويض البغلة وتوجيهها، كانا قد وصلا إلى الجدول المار بقاع الوادي، وبعد أن انتعش الزوج ببرودة ماء الجبل الصافي، حذر يَشُّو:

– عند اجتياز النهر لا تخزي البغلة، ولا تهيجيها، تذكري أنها تركل، وقد تطرحك أرضا.

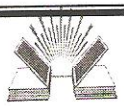

غير أنها أجابته متحدية:

– من أجل الإله، يا للرغبة في تهييجها، ما دمت تحرص على عدم تعذيبها والإسراع بها.

وبدا كأن تحذير الحسن ليشو لم يكن إلا صلفا منه لذا عندما أصبحت البغلة تسير في النهر على طبيعتها بحرية لتثبيت حوافرها، وبلغت وسط النهر تماما، شرعت يشو تسرع بالدابة، ولما أحست البغلة المتوترة المعجلة بالانزعاج، حملت رجليها الخلفيتين في غير توقع متسببة في فقدان يشو للتوازن ثم السقوط في الماء.

وكما هو طبيعي، فإن تيار النهر الممتلئ جدا في هذه الفترة، جرف يشو نحو الأسفل. لكن الحسن انطلق يجري في الماء نحو الأعلى ملتفا بين الحين والحين إلى التيار المضطرب، إلى أن التقى بمار استفسره:

– ألم تر امرأة جرفتها المياه؟

بيد أن الرجل أجابه:

– لكن هل أنت مجنون يا سيدي؟ لاحظ النهر يجري إلى هناك، نحو الأسفل.

فبرر الحسن:

– لا، لا، إن زوجتي بالنسبة إلي هي روح العناد. فليبحث النهر عن مصبه نحو الأسفل، أما زوجتي فتريده يسير إلى الأعلى.

ومن أجل هذا العناد المستعصي، ذهبت يَشُّو إلى الشيطان ".

الحكـــايـــة الـــواحـــدة والعشـــرون

" اشترى " قبايلي " لحما من السوق، وعاد مبكرا إلى بيته من أجل إكرام زوجته. فطبخته فرحة، وعندما جاء الزوج ليلا لتناول العشاء، جلس إلى المائدة ورائحة الطبيخ تفوح. وفي هذا الوقت أثارت الزوجة الحوار التالي:

– هل أغلقت الباب جيدا عند الدخول؟

– لا. نسيت أن أفعل. اذهبي وتداركي الأمر.

– لا. من أجل الإله! يجب أن تقوم أنت لتذهب وتغلق الباب.

– لا. فقط لن أذهب. إلا أنني آمرك أن تذهبي لإغلاقه.

إثر صمت قصير، اتفق الاثنان في قولهما:

– أقسم أنني لن أغلق الباب، ومن يفتح منا أولا فمه أو يتكلم سيذهب لإغلاقه...

سكتا معا في هيئة تدل على خصامهما الذي تفضحه أيضا شفاههما التي لا تخرج منها أية نامة.

مر متسول يستعطي إحسانا، وبما أنه رأى الباب مفتوحا، دخل البيت. رأى الزوجين متخاصمين ولا يتحدثان، ويعطيان ظهرهما لبعضهما، من غير لمس الطبق اللذيذ القابع في مكانه. ودون أن يعبأ بهذا المشهد، جلس إلى المائدة وشرع يأكل. وبما أنه وجه مجموعة من الأسئلة إلى الرجل من غير أن يجيبه، لهذا عندما شبع تناول العظم المتبقي ووضعه تحت لحية الزوج، ثم انصرف.

ولدى خروجه عثر في كلب قادته حاسة شمه حتى المائدة، حيث لعق الصحن الخاوي تقريبا، وأخذ العظم المعلق في لحية الرجل. حينئذ نطقت المرأة لإفزاع الكلب:

– تسس...

فأصدر الزوج الحكم:

– بما أنك أول من تكلم، فاذهبي لإغلاق الباب ".

الحكاية الثانية والعشرون:

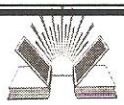

" رغم أن مماس كانت شريرة، إلا أن رجلا تزوجها. وقد أدى ثمن فعلته، حيث صارا يتخاصمان باستمرار ويتضاربان مرارا. وذات يوم تركته مماس الغدارة ينام أكثر وقت ممكن مما هو معتاد، ثم أفزعته وهي توقظه:

– انهض، أوه! يا رجل! إن كل الجماعة غادرت القرية وفرت معجلة.

فشرع الزوج المسكين النائم وهو في حالة فزع، يلم الأثاث ويوزعه في شحن. واستدعت مماس والديها، لتريهما حال زوجها، وأقنعتهم قائلة:

– لقد فقد عقله، إنه أحمق.

فارتموا عليه، وقيدوه، وانتهزت مماس هذه الوضعية المؤسفة، فأهانت شرف زوجها بصورة فاضحة أمام أعينه. وأخذ الزوج المضحك يصيح ويصيح. ولكن الجميع كان يفكر:

– يا له من مسكين! إنه أحمق.

وظل عدة أيام على تلك الحالة، إلى أن تذكر أنه يحتفظ بمقص. فجعل يشحذه، وعندما صار قاطعا ترك الزوج مماس تنام، وعند الفجر كانت قد استغرقت في نوم عميق، فقطع لسانها وعلقه على الدعامة العليا للخيمة. وفي اليوم الموالي جاء والدا المرأة كالعادة، وعندما رأيا ابنتهما مسجية في بركة دم سألاها:

– ماذا وقع لك؟ ماذا حدث؟

ولما لم تستطع أن تتكلم، أشارت إلى الدعامة. وبما أنهما شاهدا اللسان معلقا، فقد احتجا:

– من قطعه لك؟

فوضح لهما الزوج المجبر:

– تشير ابنتكما إلى أن الله هو من علق لسانها".

الحكـــايـــة الثـــالثـــة والعشـــرون

" ذات يوم عاد رجل إلى منزله وقال لامرأته:

– هاهو السميد، ستصنعين منه كسكسا، وشعرية من أجل كريم، وكان بقصد بذلك شهر رمضان، الذي سيأتي.

فانخرطت المرأة في العمل، وعندما انتهت من إعداد الكسكس والشعرية، سمعت ضوضاء في الدرب، كان هناك لص. فخرجت فرأته، وسألته:

– ما هو اسمك؟

أجابها:

– كريم.

حينئذ قالت لنفسها:

– إنه جاء للبحث عن المؤونة.

فاستمهلته قليلا، ثم سلمته كل الكسكس والشعرية اللذين أعدتهما، و حينما عاد زوجها، قالت له:

– كريم جاء وقد سلمته كل المؤونة.

– أي كريم؟ كريم سيبدأ بعد شهرين.

في النهاية فهم أنها أعطت كل شيء لرجل يسمى كريم وعندها استشاط غضبا، وأقسم ألا يعود إلى منزله إلا إذا قابل امرأة أكثر بلاهة من زوجته. ثم رحل، ووصل إلى بلد آخر ورأى امرأة قالت له:

– من أين أتيت أنت؟

– من العالم الآخر.

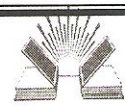

– ألم تر ولدي. وهل يمكنك أن تمدني بأخباره؟

– أجل إنه عريان وينقصه معطف ومال.

وهنا دخلت البلهاء منزلها وتناولت معطفا جديدا ومالا، وسلمت الجميع للرجل محملة إياه بألف وصية لابنها الذي يوجد في العالم الآخر. فانطلق الرجل فورا في طريق العودة. وعندما رجع زوج هذه المرأة حكت له بأن لديها أخبارا من العالم الآخر وأنها أرسلت إلى ولدها معطفا ومالا. فدخل الزوج في حالة من الغضب الشديد، وركب الحصان ثم انطلق متعقبا الرجل، ولما لاحظ هذا الأخير فارسا يعدو في الطريق، أدرك بسرعة أنه يبحث عنه، وبما أنه كان يجتاز حقل فول فقد أخفى سرته وجعل يقطف الفول، واقترب الزوج منه، ثم سأله:

– ياصاحب الحقل، ألم تر رجلا يمر من هنا حاملا معطفا شكله كذا وكذا؟

أجاب الرجل:

– بلى. لقد مر من هنا، لكنه يمشي مسرعا، سر في هذا المعبر وستلحق به، على ألا تمشي بالحصان لأنه سيسمع صوت الحوافز فيختفي.

استأمنه الزوج، الذي اعتبره صاحب الحقل على الحصان، وانطلق في المعبر. عندئذ امتطى الرجل الحصان وعاد على وجه السرعة إلى منزله. ولما وصل قال لزوجته:

– لقد عدت لكوني عثرت أيضا على امرأة أكثر بلاهة منك.

أما بالنسبة لزوج المرأة الأخرى فقد اجتاز المعبر، ولم يجد الرجل الذي يطارده. وعاد إلى حقل الفول دون أن يجد لا حصانه ولا ذاك الذي اعتقده صاحب الحقل، وهنا رجع ممتلئا خجلا إلى منزله، قال لامرأته:

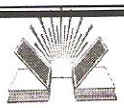

– يا امرأة، لقد كان معك الحق، إن الناس يعودون من العالم الآخر. وقد عثرت على الرجل الذي عاد من هناك وأعطاك أخبارا عن ولدنا، ولكي يلتحق به في أكثر سرعة أعطيته حصاني أيضا "

الحكـــايـــة الـــرابعـــة والعشـــرون

" حَاجِيتَكْ مَا جِيتَكْ. يقال إنه كان هناك فتاة في مقتبل العمر تسمى " خَضْرَة "، تعيش مع أبيها وزوجته التي كانت تعاملها بقسوة، وذات يوم أرسلتها زوجة أبيها لملء جرة الماء من النبع، وفي الطريق عرفت من صديقاتها أن ابن عمها سيتزوج اليوم.

رجعت " خَضْرَة " إلى البيت بعد أن ملأت جرتها، وتوسلت لأبيها أن يسمح لها بحضور العرس، خصوصا وأنها قامت بكل ما طلب منها من أشغال البيت، وأمام دموعها سمح لها بالذهاب على أن تعود باكرا.

أخذت الفتاة زينتها المتواضعة وتوجهت نحو دار عمها، وفي الطريق التقت بنحلة تصدر أزيزا كالزغاريد، فاتبعت الصوت ظنا منها أنه مكان الاحتفال، وبعد مدة وجدت نفسها داخل غابة " ٱلْغُولَة " حيث أيقنت أنها هالكة لا محالة. لكن سرعان ما ارتمت على صدر الغولة، ورضعت من ثديها، فقالت " ٱلْغُولَة ":

– " قْسَمْتْ بَاللَّهْ فُمِّي لِّي بْعَثْ عِيسَى وْمُوسَى لُوكَانْ مَا دَمَّكْ تْخَلَّطْ بْدَمِّي، حَتَّى نْدِيرْ لَحْمَكْ فِي مَضْغَة، وْدَمَّكْ فِي جُغْمَة، وَعْظِيمَاتَكْ نَّكْي بِهُمْ سْنِينَاتِي"، بمعنى أنه لولا حليبي الذي رضعته لكنت قد أكلتك.

أخذت " ٱلْغُولَة " " خَضْرَة " وخبأتها في ركن من أركان المطبخ بعيدا عن مرأى أبنائها، وواضبت على إطعامها أحسن ما كانت تصطاده، لأن الفتاة كانت متفانية في عملها داخل

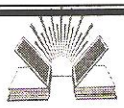

الكوخ. لاحظ الأبناء تغير حالة الكوخ، بحيث تحولت رائحته النتنة إلى رائحة زكية، وكذا أصبح الأكل يعد بطريقة جيدة، ورغم بساطته كان المكان يبدو مرتبا.

وفي يوم من الأيام تجرأ أحدهم وسأل والدته عن السر الذي وراء هذا التغيير، فأجابته ٱلْغُولَة:

– " آ مَمِّي قَا يِّيفَاسِّينْ أَ يَّمَّاثْوَنْ ثُوُرْقِمِينْ " أي، يا ولدي هذا من صنع يدي والدتكم المنقوشتين. استمر الحال على ما هو عليه لمدة طويلة، ولما ماتت " ٱلْغُولَة " كان الإخوة عند عودتهم من الصيد يجدون الطعام جاهزا، والمكان نظيفا. فاتفقوا على أن يقوم أحدهم بالحراسة وألا ينام ليكشف السر. وفي الغد، بقي الأخ الأكبر ليراقب، لكن داهمه النعاس ولم ير شيئا، وفي الصباح سأله إخوته فقال لهم:

– هذا من عند الله.

وفي الليلة الموالية أنيطت المهمة بالأخ الأصغر، فاستطاع النجاح في مهمته وقد راقب " خَضْرَة " من دون أن تعلم بوجوده، فأخبر إخوته بما شاهده وقد اعتقد أنها أختهم. فناداها الإخوة وقد واعدوها بأنهم لن يؤذوها، فخرجت الفتاة، وأخبرتهم بقصتها كاملة، فأعجب بها الأخ الأكبر فتزوجها، فعاشت في أمان وسلام " وْهَكْذَا أَنَا دِّيتْ ٱلْجْمَلْ بَٱلْكُوشَة وَنْتُومَا دِّيتُو ٱلنَّاقَة ٱلْمَغْشُوشَة".

بيبليوغرافيا

بـبـلـيـو غـرافـيـا:

أ- كـتـب

- القرآن الكريم.

- إبراهيم نبيلة، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1974.

- ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد الرابع عشر، الطبعة الثالثة 1994.

- أديوان محمد، الثقافة الشعبية المغربية (الذاكرة والمجال والمجتمع)، مطبعة سلمى، الرباط 2002.

- استيتو محمد، الفقر والفقراء في مغرب القرنين 16و17م، الطبعة الأولى، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة 2004.

- أغربي موسى، من حكايات البربر الشعبية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 65، سلسلة بحوث ودراسات 19، وجدة 2003.

- ألكزاندر هجرتي كراب، علم الفولكلور، ترجمة: رشدي صالح، وزارة الثقافة، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب العربي.

- آيت لفقيه لحسن، إملشيل: جدلية الإنغلاق والإنفتاح، الطبعة الأولى، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، مطبعة أمبريال، الرباط، يوليوز 2001.

- بخوشة محمد، أدب المغاربة وحياتهم الإجتماعية والدينية وبعض خرافاتهم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 1943.

- برونو بتلهايم، التحليل النفسي للحكايات الشعبية، ترجمة طلال حرب، دار المروج، 1985.

- بن شماعو محمد، المجتمع المغربي...كما عرفته خلال خمسين سنة (1350-1400هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، الرباط، 1980.

- بورايو عبد الحميد، الحكايات الخرافية للمغرب العربي: دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان 1992.

- حرب طلال، بنية السيرة الشعبية وخطابها الملحمي في عصر المماليك، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1999م.

- الحسين بن علي بن عبد الله، قصص وأمثال من المغرب، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1417هـ 1996م.

- الحسين رشيد، الحيوان في الأمثال والحكايات الأمازيغية، الطبعة الأولى، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، البوكيلي للطباعة والنشر، 2000.

- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، الطبعة الأولى، مطبعة الانتصار، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1993.

- حسين كمال الدين، مدخل في دراسة أدب الطفل، د.ت، القاهرة 2000.

- الجراري عباس، الزجل في المغرب: لقصيدة، مطبعة أمينة، الرباط، مارس 1970.

- الجراري عباس، في الإبداع الشعبي، الطبعة الأولى، رجب 1408- مارس 1988.

- الجراري عباس، من وحي التراث، الطبعة الأولى، مطبعة الأمنية، الرباط.

- ركوك علال، المقاومة وأحداث من التاريخ الاجتماعي في الأدب الشفوي المغربي (1890-1956)، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، مطبعة بني يزناسن، سلا 2001.

- السعداوي نوال، المرأة والصراع النفسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 1988.

- السعداوي نوال، الوجه العاري للمرأة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

- الشرادي الفاضلي محمد و القباج محمد، باقة من الأمثال المغربية أو أصالة المغرب عبر أمثاله، د.ت.

- صبار خديجة، المرأة بين الميثولوجيا والحداثة، مطابع إفريقيا الشرق، 1999.

- عابد توفيق، التربية في التوراة العهد القديم (عرض وتقويم) بميزان للإسلام، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت 1415هـ 1995م.

- العاصمي مليكة، المرأة وإشكالية الديموقراطية: قراءة في الواقع والخطاب، مطبعة إفريقيا الشرق، لبنان 1991م.

- عبد السلام المهماه مصطفى، المرأة المغربية والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري، الطبعة الأولى، مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1398هـ/ 1978م.

- عبد الغفور عطار أحمد، مقدمة الصحاح، الجزء الأول، مطابع دار الكتاب العربي.

- الفاسي محمد، من وحي البينة، الطبعة الأولى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1970.

- فون دير لاين فردريش، الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت.

- كرم إدريس، الأدب الشعبي بالمغرب: الأدوار والعلاقات في ظل العصرنة، الطبعة الأولى، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط 2004.

- مبارك ربيع، صورة المرأة في المتخيل الشعبي، سلسلة ندوات ومناظرات، الخطاب حول المرأة، تنسيق: فوزية غساسي، رقم: 65، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

- المجدوب عبد الرحمان، القول المأثور من كلام سيدي عبد الرحمان المجذوب: مع مقدمة وشروح، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء.

- المرنيسي فاطمة، كيد النسا؟ كيد الرجال، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1982.

- المريني عبد الحق، دليل المرأة المغربية، جزءان، الطبعة الأولى، دار المعرفة للنشر، مطبعة المعارف، الرباط، 1993م.

- الوزان الفاسي الحسين بن محمد، المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية، محمد حجي ومحمد الأخضر، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1983.

- يونس عبد الحميد، التراث الشعبي، سلسلة كتابك 91، مطبعة دار المعارف، القاهرة.

ب- مقـــالات

- الأهواني عبد العزيز، الخيال في الأدب العربي، نقلا عن مجلة الفنون الشعبية، العدد الأول، القاهرة 1965.

- التازي عبد الهادي، المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي: مغربيات مواطنات الغد، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1413هـ/1992م.

- حجو محمد، الحكي الشعبي حقيقة الناس، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة دار المناهل، عدد 65/64، السنة 25، شعبان 1422- ماي 2001.

- سهوم أحمد، المرأة في الملحون، مجلة المناهل: " قضية المرأة III"، عدد 45، سنة 19، صفر 1415 يوليوز 1994، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط.

- شرف الدين فهيمة، مشكلة امرأة أم مشكلة رجل، مجلة الوحدة، العدد 9، يونيو 1985.

- عبد النور إدريس، الكتابة النسائية: حفرية في الأنساق الدالة.. الأنوثة.. الجسد.. الهوية، الطبعة الأولى، مطبعة وراقة سجلماسة، مكناس، شتنبر 2004م.

- العاصمي مالكة، الموروث الشعبي وصورة المرأة، مجلة المناهل، مجلة تصدرها وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربي، العدد 54، السنة الثانية والعشرون، ذو القعدة 1417 مارس 1997.

- العنتيل فوزي، بين الفولكلور والأدب الشعبي، نقلا عن مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الثاني، وزارة الإعلام، الكويت 1988.

- مؤدن عبد الرحيم، تأملات في السرد الشعبي: المتلقي في المحكي الشعبي المغربي، مجلة حفريات مغربية، العدد الثالث، فبراير 2004.

- مسلك ميمون، " المرأة في المغرب الأقصى"، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، محور خاص عن " المرأة "، ع:2، المجلد:34، أكتوبر- ديسمبر 2005.

- يعلى مصطفى، وظائف المرأة في الحكاية المغربية المرحة، مجلة المناهل، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة دار المناهل، عدد 65/64، السنة 25، شعبان 142

ج- كتب باللغة الفرنسية:

- Calvet louis jean ; La tradition Universitaires de France 1984.

orale ; presses

- NICOLE BELMONT : Poétique du contes : Essai sure le conte de la tradition orale. Gallimard 2000.

- vansina jean ; La tradition orale et sa méthodologie.

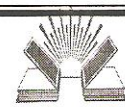

د- مقالات مستخرجة من الانترنيت:

- الأطفال والقصص الخرافية ; www.al-shia.com/html/ara/ejt/a; le : 18/01/2005

- معتصم محمد، *الرواية المعاصرة وإشكالية الكتابة*، *www.nizwa.com/volume12/le:25/10/04*

- عبد الله صلاح نيفين، أطلق إبداع ابنك بالحكايات، *www.islamonline.net/arabic/ada/le:01/06/2005*

- La femme ou la genèse de l'homme, par Doukhan, le lundi 25/02/2003

.www.google.com

هـ- الـروايـة الشفـويـة:

- *السيد بلعمران بوفلجة، من مواليد 1970، القاطن بمدينة أبركان.*

- *السيدة بوشفر الياقوت، من مواليد 1966، القاطنة بمدينة وزان.*

- *السيدة الزغلي منانة، من مواليد 1950، القاطنة بمدينة أبركان.*

- *السيدة شيخي رحمة، من مواليد 1955، القاطنة بمدينة أبركان.*

- *السيد الصحراوي لحسن بن محمد الصحراوي، من مواليد 1938، القاطن بمدينة طاطا.*

- *السيدة الطاهري خضرة، من مواليد 1941، القاطنة بمدينة أبركان.*

- *السيدة قدوري فاظمة، من مواليد 1945، القاطنة بمدينة أبركان.*

- *السيدة قضاض فاظمة، من مواليد 1889، القاطنة بمدينة أبركان.*

- *الآنسة مركوم غزلان، من مواليد 1989، القاطنة بمدينة أبركان.*

- *الآنسة مركوم فاطمة، من مواليد 1969، القاطنة بمدينة أبركان.*

- *السيدة مركوم يمينة، من مواليد 1945، القاطنة بمدينة أبركان.*

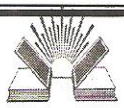

الفـــهـــرس

مقدمة:.....ص:1

تمهيد:.....ص:5

الفصل الأول: التراث الشعبي والحكايات الشعبية:.....ص:11

1- التعريف بالتراث الشعبي:.....ص:12

2- التعريف بالحكاية الشعبية:.....ص:17

الفصل الثاني: رصد لصور المرأة من خلال حكايات شعبية مغربية.....ص:23

1- صورة المرأة البطلة أو الأميرة:.....ص:24

2- صورة شقيقات البطلة وزوجات إخوتها:.....ص:60

3- صورة زوجة الأب:.....ص:72

4- صورة المرأة العجوز المجربة:.....ص:88

5- صورة المرأة الذكية أو المشاكسة:.....ص:96

6- صورة المرأة المتغطرسة و العنيدة:.....ص:110

7- صورة المرأة الغولة:.....ص:119

8- مقاربة تحليلية لصور المرأة:.....ص:123

الفصل الثالث: دور الحكاية الشعبية في المحيط الاجتماعي:.....ص:128

1- الحكاية الشعبية وتأثيرها في الناشئة: ص:128

2- كيفية المحافظة على موروثنا الشعبي:.....ص:134

خاتمة:.....ص:139

متن الحكايات:.....ص:141

ببليوغرافيا:.....ص:212

الفهرس:.....ص:218